NETFLIX
يعرض الآن على نتفليكس

السلسلة الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

الـ100

محتالون. لصوص. متمردون. أبطال.







"سـريعة الوتيـرة أخَّاذة.. يبـدو أن العديد من القضايـا المـثيرة قـد ظـهرت في مجتمع مـا بعد نهاية العالم هذا".

- The Bookbag

"مظلمـة وخاطفــة.. مزيـج مـن أمير الذبــاب وعبر الكون ومباريات الجوع".

- Booklist

"إن نَسْـج كاس مورجـان لعناصـر الثقافـة الشـعبية (البـوب) مـع السياســة جعـل لقـراءة أعمالهـا جاذبية خاصة".

- School Library Journal

"سـيقع عشـاق مباريـات الجـوع في حب هذه السلسلة".

- Sun Journal


100
محتالون. لصوص. متمردون. أبطال.


عصير الكتب



إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The 100
- العنوان العربي: الـ 100
- طُبِع بواسطة: Little, Brown and Company
- حُقوق النشر:
Copyright © Alloy Entertainment, 2013
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: إسراء محمود
- تحرير: محمد الجيزاوي
- تدقيق لغوي: د. محمد حمادة جاد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: فبراير/ 2023م
- رقم الإيداع: 4386/2023م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-229-4

الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار





السلسلة الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز



محتالون. لصوص. متمردون. أبطال.

كاس مورجان

ترجمة: إسراء محمود



تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق:

▪ ميساء طه ▪

▪ إسراء▪

▪ شادية الرياشي ▪

ترتيب وتصميم:

▪ أشرف غالب ▪



خالص الحب والعرفان إلى والديَّ وأجدادي.

الفصل الأول

كلارك

فُتح الباب على مصراعيه، فأدركَتْ كلارك أنّ نهايتها قد حانت.

وقعت عيناها على حذاء الحارس، بينما تصلب جسدها تحت وطأة الرعب والهلع الذي يفيض يئسًا بداخلها. ولكن ما إن اتكأت على ساعِدِها وانفصل قميصها المشبع بالعرق الذي كان ملتصقًا بسريرها الصغير، لم تشعر سوى بالارتياح.

لقد أُرسِلَت إلى الحبس الانفرادي بعد مهاجمتها أحد الحراس. ولكن رغم ذلك، لم تشعر كلارك بأي شكل من أشكال العزلة؛ إذ كانت تسمع أصواتًا من كل ناحية، أصواتًا تتحدث إليها عبر زوايا زنزانتها المظلمة، وتملأ الصمت الذي لم يتخلله سوى نبضات قلبها، بينما تنبعث صرخاتهم من أعمق خبايا عقلها. لم تكن تتمنى الموت، ولكن لو أن ذلك هو السبيل الوحيد لكي تصمت تلك الأصوات، فقد كانت على استعداد للموت.

لقد اتُّهِمَت بالخيانة، ولكن حقيقة الأمر كانت أسوأ مما يمكن لأي أحد أن يتخيل. حتى لو أن معجزة ما حدثت وأُعيدَ النظر في محاكمتها، فمن المستحيل أن يتم العفو عنها حقًّا؛ فقد كانت أفكارها أثقل من كل جدران السجون.

تنحنح الحارس وبَدَّلَ وقفته من جانب إلى الآخر وقال: «السجينة رقم 319، قفي من فضلك».

كان أصغر مما توقعت؛ إذ تدلَّت بدلته الرسمية على بنيته الجسدية النحيفة وفضحت كونه وُظِّفَ حديثًا. ولم تفلح شهور قليلة من التغذية العسكرية أن تخفي آثار المجاعات التي تسيطر على معسكرات السفن الخارجية الفقيرة، والدن وأركاديا.

تنفست كلارك نفسًا عميقًا ونهضت واقفة. أمرها الحارس وهو يسحب زوجين من القيود المعدنية من أحد جيوب بدلته الرسمية الزرقاء: «ضعي يديك أمامك».

ارتجفت كلارك عندما لمسها بيديه؛ فهي لم تَرَ أيَّ إنسان مذ أحضروها إلى زنزانتها الجديدة، فما بالك بأن تلمس أحدهم؟

سألها الحارس بلهجة حادّة يتخللها شيء من الشفقة شعرت كلارك على إثرها بألم في صدرها: «هل هي شديدة الإحكام؟».

مر وقتٌ طويل منذ أن تعاطف معها شخصٌ آخر غير تاليا؛ شريكتها السابقة في الزنزانة وصديقتها الوحيدة في العالم.

هزت كلارك رأسها نافية.

- فقط ابقي جالسة على السرير، سوف يأتي الطبيب.

سألته كلارك بصوت مبحوح وكأن الكلمات كانت تجرح حلقها: «هل سيفعلون ذلك هنا؟».

لو أن الطبيب آتٍ، فذلك يعني أنهم رفضوا إعادة محاكمتها، وليس ذلك بشيء مفاجئ؛ فبحسب قانون المستوطنة، فإن البالغين يُعدَمون فورًا لدى توجيه اتهام رسمي ضدهم، أما الذين تحت السن القانونية، فيُسجَنون إلى حين بلوغهم الثامنة عشرة، ثم تكون لديهم فرصة وحيدة لإعادة النظر في مصيرهم. ولكن في الآونة الأخيرة، أصبح حكم الإعدام يُنَفَّذُ في غضون ساعات من إعادة المحاكمة، وعلى الجرائم التي كانت قبل سنوات مضت يمكن أن تحصل على العفو.

رغم ذلك، ما زال عسيرًا عليها أن تصدق أنهم بصدد فعل ذلك بداخل زنزانتها حقًّا، فعلى نحو غريب، كانت تأمل في جولة أخيرة سيرًا إلى المشفى الذي قضت فيه وقتًا طويلًا في أثناء تدريبها الطبي، كان ذلك بمنزلة فرصة لعيش تجربة تألفها، كرائحة المطهر وأزيز نظام التهوية، قبل أن تفقد قدرتها على الشعور بأي شيء للأبد.

قال الحارس دون أن ينظر إلى عينيها: «أريد منكِ أن تجلسي».

خطت كلارك بضع خطوات صغيرة وجلست بجسد متخشب على طرف سريرها الصغير. رغم إدراكها حقيقة أن العزلة تفقد المرء القدرة على الشعور بماهية الوقت، كان من الصعب أن تصدق أنها ظلت هنا بمفردها طوال ما يقرب من الأشهر الستة. أما السنة التي قضتها برفقة تاليا وشريكتهما الثالثة في الزنزانة؛ ليز، وهي فتاة ذات وجه صارم لم يهش لها ثغر إلا عندما أخذوا كلارك بعيدًا، فقد بدت وكأنها دهر من الزمان. ولكن ليس هنالك تفسير آخر، لا بد أن اليوم هو يوم ميلادها الثامن عشر، ويبدو أن هدية كلارك التي تنتظرها هي حقنة سوف تشل عضلاتها حتى يتوقف قلبها عن النبض، وسيكون مصير جسدها الميت أن يُلقى في الفضاء، كما في المستوطنة، ليظل هائما إلى ما لا نهاية في قلب المجرة.

لَمَحَتْ شخصًا ما أمام الباب، قبل أن يخطو رجلٌ طويل القامة عريض المنكبين إلى داخل الزنزانة. لم تكن كلارك في حاجة إلى رؤية شارته التعريفية المثبتة على ياقة معطفه المعملي -والتي أخفاها شعره الرمادي الذي يبلغ كتفه- لكي تعرف أنه رئيس الأطباء في المجلس؛ فقد قضت الجزء الأكبر من العام السابق لتوقيفها متدربةً لدى الطبيب لاهيري، ولا تعرف عدد الساعات التي وقفت فيها بجانبه في أثناء إجرائه عمليات جراحية. لطالما حسد المتدربون الآخرون كلارك على مهمتها تلك، وتذمروا من وجود المحسوبيات لدى اكتشافهم أن الطبيب لاهيري من أقرب أصدقاء والدها. وعلى الأقل، فلقد كان بجانبها بعد تنفيذ حكم الإعدام على والديها.

قال لها بودٍّ كمن يحييها في صالة طعام المشفى وليس داخل زنزانة الإعدام: «كيف حالك؟».

- أظن أنني أفضل حالًا عما سأكون عليه في غضون دقائق.

اعتاد الطبيب لاهيري أن يبتسم لدى حس الكوميديا السوداء لكلارك، ولكن هذه المرة اكتفى بأن جفل، واستدار إلى الحارس وقال: «هل بإمكانك أن تفك قيودها وتمنحنا بعض الوقت من فضلك؟»

اضطرب الحارس في وقفته وأجاب: «لا يمكنني أن أتركها دون مراقبة».

قال الطبيب لاهيري بصبر بالغ: «بإمكانك أن تنتظر أمام الباب مباشرة. إنها فتاة عزلاء في السابعة عشرة من عمرها. أعتقد أن بإمكاني السيطرة على الأمر».

تحاشى الحارس النظر إلى عيني كلارك وهو يفك قيودها. وأومأ إلى الطبيب لاهيري إيماءة مقتضبة وهو يخطو خارج الغرفة.

قالت كلارك وهي تتكلف ما ظنت أنها ابتسامة: «تقصد فتاة عزلاء في الثامنة عشرة من عمرها.



أم إنك تتظاهر كأولئك العلماء المجانين الذين لا يعرفون أبدًا في أي سنة نحن؟»

لطالما كان والدها هكذا؛ كان ينسى ضبط نظام إضاءة الساعة البيولوجية في شقتهم، وتنتهي به الحال ذاهبًا إلى عمله في الساعة الرابعة مساءً، وينهمك في أبحاثه العلمية حتى لا يلاحظ أبدًا ممرات السفينة التي أصبحت خالية.

قال الطبيب لاهيري بأسلوبه الهادئ المتأني ذاته الذي اعتاد أن يخاطب به المرضى الذين خضعوا لتوهم لعملية جراحية: «إنكِ ما زلتِ في السابعة عشرة يا كلارك، لقد قضيتِ ثلاثة أشهر في الحبس الانفرادي».

سألته كلارك غير قادرة على كبح الرعب البادي في صوتها: «فما الذي تفعله هنا إذن؟ ينص القانون على أن تنتظر حتى أبلغ الثامنة عشرة». - لقد طرأ تغيير في الخطط، هذا كل ما يُسمَحُ لي بإخبارك به.

- إذن مسموح لك بإعدامي، ولكن لا أن تتكلم معي. تذكرت رؤيتها الطبيب لاهيري في أثناء محاكمة والديها، وتمكنت حينها من قراءة وجهه المتجهم تعبيرًا على عدم موافقته على ما يحدث. ولكنها لم تكن متأكدة منه الآن؛ فهو لم ينبس ببنت شفة دفاعًا عنهما، ولم يفعل أحد. فقط ظل جالسًا ملتزمًا الصمت بينما يوجه المجلس إلى والديها -وهما اثنان من أنبغ علماء فينيكس- تهمة انتهاك عقيدة الجايا، القوانين التي وضعت عقب حدوث الفاجعة في سبيل إنقاذ الجنس البشري من الفناء.

- وماذا عن والدَيَّ؟ أقتَلتهما أيضًا؟

أغمض الطبيب لاهيري عينيه كأن كلمات كلارك قد استحالت من أصوات إلى شيء مادي لا يود رؤيته. قال بصوت هادئ: «أنا لست هنا لأقتلك».

فتح عينيه، ثم أشار إلى ناحية كرسي صغير بجانب سرير كلارك وقال: «هل يمكنني؟».

عندما لم تجبه كلارك، تقدم الطبيب لاهيري واتخذ مجلسا ليصبح مواجها لها، وتابع: «أيمكنني إلقاء نظرة على ذراعك لو سَمَحتِ؟».

شعرت كلارك بثقل يجثم على صدرها؛ مما تطلَّبَ منها جهدًا لكي تتمكن من التنفّس. هو يكذب، إنه لأمرٌ قاسٍ وخبيث، ولكن كل شيء سينتهي خلال دقائق.

مدت كلارك يدها إليه، فأدخل الطبيب لاهيري يده في جيب معطفه وأخرج قطعة قماش مشبعة بمادة معقّمة. ارتجفت كلارك عندما مسح ذراعها بالقماشة. لا تقلقي، لن يؤلمك هذا.

أغمضت كلارك عينيها.

تذكرت نظرة الألم التي اكتسى بها وجه ويلز عندما اصطحبها الحراس خارج ديوان المجلس. على الرغم من أن الغضب الذي كاد يقضي عليها في أثناء المحاكمة قد انتهى، فإن تفكيرها في ويلز أرسل موجة من النيران المتأججة عبر جسدها، كنجم يحتضر باعثًا آخر ومضة ضوء قبل أن يفنى إلى العدم.

لقد مات والداها، والذنب كله يقع عليه.

أمسك الطبيب لاهيري بذراعها، وراحت أصابعه تبحث عن وريدها.

أراكما قريبًا يا أبي وأمي.

ثم أحكَمَ قبضته فجأة. هكذا حدث الأمر.

سحبت كلارك نفسًا عميقًا إلى رئتيها إذ شعرت بلدغة تخترق ذراعها.



- ها نحن أولاء؛ أنت مستعدة.

استفاقت كلارك فجأة ونظرت إلى الأسفل، ورأت سوارًا معدنيًا محكَمَ الغلق حول ذراعها. راحت تتحسسه بأصابعها، وجفلت عندما شعرت وكأن عشرات الإبر الصغيرة مغروسة في جلدها.

سألت باهتياج وهي تدفع نفسها بعيدًا عن الطبيب: «ما هذا؟».

أجابها بهدوء أثار غيظها: «لا عليك، استرخي. إنه مُستقبِلٌ حيوي؛ سيعمل على مراقبة معدل تنفسك وتحليل مركبات دمك، وسيجمع كل المعلومات المفيدة عن حالتكِ».

- معلومات مفيدة لمن؟

سألته كلارك رغم أنّها تمكنت بالفعل من تخمين إجابة سؤالها عن طريق كتلة الرعب التي راحت تتشكل بداخل معدتها.

أجابها الطبيب لاهيري وقد بدا وكأن والد ويلز -المستشار جاها- واقفٌ أمامها يلقي خطابا بمناسبة يوم إحياء الذكرى: «لقد طرأت بعض التطوّرات المهمّة. ينبغي أن تكوني فخورة جدًّا؛ الفضل لوالديكِ في كل هذا».

- لقد أُعدِمَ والدايَّ بتهمة الخيانة.

- حدجها الطبيب لاهيري بنظرةٍ لائمة كانت قادرة منذُ عامٍ مضى أن تجعل كلارك تنكمش على نفسها خزيًا، أما الآن، فلم يرمش لها جفن أمامه.

- لا تفسدي الأمر يا كلارك. لديكِ فرصة لفعل الشيء الصحيح، لتبرّئي والديكِ من تلك الجريمة البشعة.

في حركة سريعة، وجَّهت كلارك قبضتها إلى وجه الطبيب. تبعها صوت ارتطام رأسه بالحائط. وفي ثوان، دلف الحارس إلى الغرفة وقَيَّدَ يدَيّ كلارك خلف ظهرها وسأل: «هل أنتَ بخير يا سيدي؟».

نهض الطبيب لاهيري ببطء وراح يُدَلِّكُ فكيه بينما يحدج كلارك بنظرةٍ تحملُ مزيجًا من الغضب والدهشة، وقال: «على الأقل أصبحنا نعرف أن بإمكانكِ الدفاع عن نفسك أمام المجرمين الآخرين عندما تذهبين إلى هناك».

قالت كلارك بينما تحاول تحرير نفسها من قبضة الحارس: «أذهب إلى أين؟»

- إننا بصدد إخلاء مركز الاحتجاز اليوم. سيُمنَح مئة من المجرمين المحظوظين فرصة لصنع التاريخ. ارتسمتْ ابتسامة مُفْتَعلة على زوايا فمه وأردف: «سوف تذهبون إلى الأرض».

الفصل الثاني

ويلز

لقد بلغ المستشار من الكبر عتِيًّا، على الرغم من أنّه لم يمض سوى ستة أسابيع منذ أن رأى ويلز أباه، فإنه بدا وكأنه أكبر بسنوات؛ كسَتْ خطوط الشيب صدغيه، وأضحت الخطوط حول عينيه أخاديد.

سأله المستشار وهو يتنهّدُ في إعياء: «هل قررت أخيرًا أن تخبرني لم فعلت ذلك؟».

اضطرب ويلز في جلسته إذ شعر أنه على وشك أن ينطق بالحقيقة. سوف يفعل أي شيء ليمحو نظرة خيبة الأمل عن وجه أبيه. ولكنه لم يقدر على المخاطرة، ليس قبل أن يتأكد من نجاح خطته المتهورة. تحاشى ويلز نظرات أبيه، وراح يجيل بصره في أنحاء الغرفة. حاول أن يسجل في ذاكرته أكبر قدر من الأشياء التي يراها المرة الأخيرة: هيكل عظام النسر المثبت بداخل قفص زجاجي، ويضع لوحات نجت من حريق متحف اللوفر، وصور المدن القفار الفاتنة التي دائمًا ما يقشَعِرّ جسد ويلز لدى سماع أسمائها.

راح المستشار يتحدث بالنبرة الهادئة الخفيفة ذاتها التي اعتاد استخدامها في أثناء تحقيقات المجلس.

هل تحداك أحدهم؟ هل كنت تحاول أن تتباهى أمام أصدقائك؟

رفع المستشار حاجبه كإشارة إلى أنه دور ويلز ليتكلم.

- كلا يا سيدي.

هل كنت مغيّبًا تحت تأثير نوبة من الجنون؟ هل تعاطيت مخدِّرًا ما؟

كلا يا سيدي.

شعر ويلز برغبة عارمة في أن يربِّت على ذراع أبيه، ولكن شيئًا آخر دون الأصفاد التي تقيد معصميه منعه من أن يمد يديه عبر المكتب. حتى عندما كانا مجتمعين أمام بوابة الإطلاق، ويتبادلان كلمات الوداع الأخيرة الصامتة مع والدة ويلز، لم يتخَطَّ أيٌّ منهما مسافة البوصات الست التي تقع بين كتفيهما قط. بدا الأمر وكأن ويلز وأباه كقطبَي المغناطيس، كلما تملّك منهما الحزن تنافرا بعيدًا بعضهما عن بعض.

هل كان بيانًا سياسيًّا بطريقة ما؟

جفل أبوه قليلًا وكأن الفكرة قد تفجرت بداخله كالقنبلة. وتابع: «هل دفعك فردٌ ما من والدن أو أركاديا إلى فعلها؟».

أجابه ويلز محاولًا كبح جماح غضبه: «لا يا سيدي».

على الأرجح فإنّ والده قد أمضى الأسابيع الستة الأخيرة في محاولة إعادة التفكير في أمر ويلز بطريقة أشبه بثورة على ذكرياته، وإعادة برمجة عقله لكي تساعده على فهم السبب الذي دفع ابنه -الذي اعتاد أن يكون تلميذًا نجيبًا في

السابق وأصبح الآن المرشَّح العسكري الأقوى على الإطلاق- إلى ارتكاب أبشع انتهاك في التاريخ. ولكن، حتى لو أخبره بالحقيقة، فلن يجدي ذلك نفعًا للتخفيف من شدة حيرة والده، ففي نظر المستشار، لا يوجد ما يبرِّر فعلة إضرام النار في شجرة عدن؛ الشجيرة الوحيدة التي حملت إلى متن فينيكس قبل النزوح الجماعي مباشرة. أمّا بالنسبة إلى ويلز، فلم يكن لديه خيار؛ فلمّا أن اكتشف أنّ كلارك كانت من ضمن المئة الذين سيتم إرسالهم إلى كوكب الأرض، وجب عليه أن يفعل شيئًا ليكون من بينهم. ولكونه ابن المستشار، فشيء لن يودي به إلى الاعتقال غير ارتكاب أشد المخالفات انتهاكًا للمجتمع. يبرر تذكر ويلز مروره بين الحشود في أثناء احتفال يوم إحياء الذكرى تحت ثقل مئات الأعين التي تترصده. أخذت يده ترتجف بينما يخرج القدّاحة من جيبه، ثم أشعل شرارة راحت تتوهّج في قلب القاعة المكفهرة. أخذ الجميع يحدقون في صمت إلى النيران التي لفحت الشجرة. وحتى رغم الحراس الذين هرعوا مسرعين في اضطراب فوضوي، لم يتسنَّ لأحد أن يتجاهل الشخص الذي تم القبض عليه.

سأله المستشار وهو يرميه بنظرات غير مصدقة: «ما الذي كنت تفكر فيه بحق الجحيم؟ كان من الممكن أن تتسبب في حرق القاعة بأكملها وقتل كل من فيها».

كان من الأفضل له أن يكذب، لكان أخف وطأة على والده أن يعتقد أن ويلز كان ينفذ تحديًا ما. أو ربما أمكنه أن يتظاهر بأنه كان تحت تأثير المخدرات، أيٌّ من هاتين الحالين من الممكن أن تكون مقبولة لدى المستشار عدا الحقيقة؛ حقيقة أنه جازف بكل شيء من أجل فتاة.

ظلّت ابتسامة ويلز متجمدة كما هي، حتى بعد أن أُغلِقَت أبواب المشفى من خلفه، وكأن الجهد الذي تطلبه لكي يحمل زاويتي فمه على النظر إلى الأعلى قد

تسبب في ضمور عضلات وجهه تمامًا. على الأرجح ظنّت والدته أن ابتسامته تلك كانت حقيقية؛ إذ كانت تحت تأثير المخدر، وهو كل ما كان يهمه. كانت تمسك بيد ويلز بينما يصب عليها الكذب صبًّا من فمه، كذبًا مريرًا، لكن مفيد: «أجل، أنا وأبي في خير حال». فهي لم تكن في حاجة إلى معرفة أنهما بالكاد لم يتبادلا سوى كلمات قليلة على مدى أسابيع. «عندما تتحسن صحتك، سوف ننهي كتاب انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية». كلاهما كان يعرف أنها لن تتمكن أبدًا من بلوغ نهاية المجلد.

غادر ويلز المشفى وسار متجها إلى الجناح (ب)، الذي كان خاليًا لحُسن حظه؛ ففي هذه الساعة كان معظم الناس إمّا في دروسهم وإمّا في العمل، وإمّا في قسم المقايضة. كان من المفترض به أن يكون في محاضرة التاريخ، مادّته المفضّلة في العادة. لطالما أحب قصص المدن القديمة؛ مثل روما، ونيويورك، التي لا تقل انتصاراتها إبهارًا وجلالًا عن سقوطها. ولكنه لم يستطع قضاء ساعتين وسط أقرانه نفسهم الذين ملؤوا صندوق رسائله بعبارات مواساة مُبهَمَة ومُوجِعَة. كانت جلاس هي الشخص الوحيد الذي بإمكانه أن يتكلم معه عن والدته، ولكنها كانت تتجنبه على نحو غريب في الآونة الأخيرة.

لم يدرك ويلز كم من الوقت ظلّ واقفًا أمام الباب قبل أن يدرك أنه وصل إلى المكتبة. وقف أمام الماسح الضوئي ليتعرف على بصمة عينيه، وانتظر انتهاء العملية التي استغرقت وقتًا، ومن ثم ضغط بإبهامه على اللوحة. انتظر ويلز حتى انفرج الباب بما يكفي لكي يدلف إلى الداخل، ثم أغلقه من خلفه مُصدرًا صوتًا عنيفًا، كأنه يخبره بأنه قد أسدى إلى ويلز معروفا عظيما بالتعرف عليه أصلًا.

أطلق ويلز زفرة تحت تأثير السكون والهدوء الذي أحاطه. حُفِظَت الكتب التي هاجرت على متن فينيكس قبل الكارثة بداخل خزانات عالية الارتفاع ومفرّغة من الأكسجين، وهو أمر ذو دور هائل الأهميّة لإبطاء عملية التلف. ولهذا

السبب تحديدًا لا يمكن قراءتها خارج أبواب المكتبة، وخلال ساعات قليلة فقط في كل زيارة. كانت قاعة المكتبة الهائلة بمعزل عن أضواء الساعة البيولوجيّة، وفي أجواء خافتة من الشفق الدائم.

بأقصى ما أمكنه أن يتذكر، فقد اعتاد ويلز أنْ يمضي ليالي الأحد في هذا المكان برفقة والدته، وكانت والدته تقرأ له بصوت عالٍ في صغره، ثم أصبحا يقرآن بعضهما بجانب بعض عندما أصبح أكبر سنًّا. ولكن أصبح ويلز يقرأ لها عندما اشتدّ عليها المرض وازدادتْ نوبات صداعها حدَّة. كانا قد بدأ المجلد الثاني من «انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية» مباشرة في الليلة التي سبقت نقلها إلى المشفى.

سار عبر ممرات المكتبة الضيّقة حتى بلغ قسم اللغة الإنجليزية، ومنه إلى الكتب التاريخيّة والتي كانت متجمّعة في إحدى الزوايا الخلفيّة المظلمة. كانت المجموعة محدودة أكثر ممّا ينبغي؛ فقد نظمت الحكومة الأولى للمستوطنة مشروعًا لإنشاء مكتبة رقمية على متن فينيكس، ولكن بعد من مئة عام، محى فيروس ما جُلَّ السجلات الرقمية، ولم يتبقَّ من الكتب سوى تلك المحفوظة في مجموعات سرية، وتحتوي على الإرث الذي تركه المستوطنون الأصليون لسلَّانهم. وقد تم التبرع بمعظم مقتنياتهم القديمة من الكتب للمكتبة على مدى القرن الماضي.

انحنى ويلز حتى أصبح في مستوى النظر مع لوحة القفل. ضغط بإبهامه على القفل، فانفرج الزجاج مفتوحًا مُصدِرًا صفيرًا حادًّا إثر تفكُّك ضغط الهواء بالداخل. مد يده ليمسك بمجلد الانهيار والسقوط، ولكنه توقف فجأة. أراد أن يتابع القراءة ليتمكن من إخبار أمه بالبقية، ولكنه وجد أن الأمر سيبدو وكأنه سيذهب إلى غرفتها بالمشفى وهي مصابة بفقدان الذاكرة ويسألها أن تتذكر معلومات لم تعد تعرفها.

أتى صوت من خلفه: «لا ينبغي لك أن تترك الخزانة مفتوحة».



قال ويلز بحزم أكثر مما كان يقصد: «أجل، شكرًا لك».

انتصب واقفًا والتفت، ليرى فتاة بدت مألوفة بالنسبة إليه تحدِّق إليه. كانت الطبيبة المتدرِّبة من المشفى. شعر ويلز بشيء من الحنق على ذلك العالم الصغير؛ فقد ذهب إلى المكتبة لكي ينسى كل شيء متعلِّق بالمشفى، ورائحة المطهّرات وصوت جهاز القلب الذي بدا وكأنه جهاز عد تنازلي للموت عوضًا عن كونه مؤشّرًا على استمرار الحياة.

اتخذت الفتاة خطوة إلى الخلف وأمالت رأسها، فانزلق شعرها الأشقر إلى ناحية واحدة.

- آه، هذه أنت!

تجمَّد ويلز لدى أول لمحة من التعرف عليها. وحركة عينيها السريعة بدت وكأنها كانت تبعث برسائل إلى أصدقائها بواسطة عينيها. ولكن عيني هذه الفتاة كانتا مثبتتين عليه تمامًا، وكأنها تكاد تخترقه لتنظر إلى داخل دماغه مباشرة، وتمر عبر كل ما يعوق طريقها عن الوصول إلى كل الأفكار التي تعمد ويلز إخفاءها. أومأت برأسها ناحية الرف الذي يحمل كتاب الانهيار والسقوط وقالت: «ألا تريد ذلك الكتاب؟».

هز ويلز رأسه نافيًا وأجاب: «سوف أقرؤه في وقت لاحق».

ظلَّت صامتة ثواني، ثم قالت: «أظنُّ أنّ عليك أخذه الآن».

أطبق ويلز فكيه، ولكنها عادت تقول عندما لم يقل شيئًا: «لقد اعتدتُ رؤيتك هنا مع أمك، عليك أن تأخذه إليها».

قال دون أن يحاول إخفاء بعض الازدراء البادي في صوته: «فقط لأن والدي هو رئيس المجلس، فإن ذلك لا يعني أن بإمكاني أن أخرق قانونًا عمره ثلاثمئة عام».

سيكون الكتاب بحال جيدة بضع ساعات. إنهم يبالغون في التهويل من تأثير الهواء.

ارتفع حاجب ويلز وهو يقول: «وهل يبالغون في مدى قوة أقفال المداخل أيضًا؟ إن معظم أبواب فينيكس العامة تحتوي على لوحات أقفال بإمكانها أن تبرمج على أية مواصفات خاصة؛ ففي المكتبة على سبيل المثال، تراقب التركيب الجزيئي لكل شخص يغادر المكتبة للتأكّد من أن أحدًا لم يغادر بكتاب؛ سواء في يديه أو مخَبَّأً أسفل ملابسه».

لاحت ابتسامة واثقة على وجهها، وقالتْ: «لقد تمكّنتُ من هذا الأمر منذ وقت طويل».

استرَقت نظرةً من خلف كتفها إلى الممر المظلم بين خزائن الكتب، ثم وضعت يدًا في جيبها وأخرجت قطعة قماش رمادية وراحت تقول: «إنها تمنع اللوحة من التعرف على جزيئات مادة السليلوز في الورق». مدّت يدها لتعطيه إياها: «تفضل، خذها».

تراجع ويلز خطوة إلى الخلف؛ ففرصة أن تكون هذه الفتاة تسعى إلى وضعه في موقف محرج كانت تفوق كل الاحتمالات الممكنة بأنها تحمل قطعة قماش سحرية في إحدى جيوبها.

لماذا تحملين شيئًا كهذا؟

هزت كتفيها هزة خفيفة وأجابت: «أحب القراءة في أماكن مختلفة».



ابتسمت عندما لم يجبها، ثم مدت يدها الأخرى، وقالت: «فقط أعطني سآخذه خلسة من أجلك وأُحضره إلى المشفى»

فوجئ ويلز من نفسه وهو يناولها الكتاب، وسألها: «ما اسمك؟».

- لتعرِفَ من هو الشخص الذي ستكون مدينًا له إلى الأبد؟

- لكي أعرف من يجب أن ألقي عليه اللوم لو قُبِضَ علي.

وضعت الفتاة الكتاب تحت ذراعها ثم مدت يدها قائلة: «كلارك».

اقترب مادًّا يده ليصافحها وهو يقول بدوره: «ويلز».

ابتسم، ولكن دون أن يتألم هذه المرة.

بالكاد تمكنوا من إنقاذ الشجرة. أخذ المستشار يحدِّق إلى ويلز كأنما يبحث عن أي أثر للندم أو التوبة، أو أي شيء يساعده على فهم الشيء الذي دفع ولده إلى محاولة حرق الشجيرة الوحيدة التي هاجرت معهم من كوكبهم الُمدمَّر.

تابع المستشار: «يريد بعض أعضاء المجلس أن ينفذ بك حكم الإعدام على الفور. لا يهمهم إن كُنْتَ قاصرًا أم لا. لم أكن قادرًا على إنقاذ حياتك سوى بأن أجعلهم يوافقون على إرسالك إلى الأرض».

تنهّد ويلز بارتياح. إن عدد الأولاد المحبوسين أقل من مئة وخمسين، لذا، فقد افترض أنهم سيأخذون المراهقين الأكبر سنًا، ولكنه حتى هذه اللحظة لم يكن واثقا من أنه سيُرسَل ضمن فريق المهمة.

اتسعت عينا والد ويلز وراح يحدق إليه في ذهول محاولًا فهم ما يحدث، وقال: «هذا ما أردته، أليس كذلك؟».

أومأ ويلز موافقًا.

تجهم وجه المستشار، وقال: «لو كنت أعرف أنك تتوق إلى هذا الحد لرؤية الأرض، لتمكنتُ بسهولة من تنظيم انضمامك إلى البعثة الثانية بمجرد أن نتأكد من أنها آمنة».

لا يمكنني أن أنتظر، أريد أن أذهب مع أول مئة.

ضيّق المسن بعض الشيء، ودقق النظر إلى وجه ويلز الجامد وقال: «لماذا؟ إنك تدرك خطورة هذا الأمر أكثر من أي شخص آخر».

- مع كامل احترامي، إنك أنت من أقنع المجلس أن الشتاء الذري* قد انتهى؛ لقد قلت إنه أصبح آمنًا.

قال المستشار بصوت يحمل مزيجًا من الازدراء وعدم التصديق: «أجل، آمن بما يكفي بالنسبة إلى المجرمين المئة المدانين، والمحكوم عليهم بالموت في جميع الأحوال. لم أعن أنها آمنة لابني».

اعتمل في صدر ويلز غضب كان يحاول جاهدًا لإخماده، فجعل شعوره بالذنب يستحيل رمادًا. هز يديه حتى تصدر أصفاده صوتًا، وقال: «أعتقد أنني أصبحت واحدا منهم الآن».

---

* هو أثر بيئي افتراضي عن حالة الطقس التي يمكن أن تعقب أية حرب نووية. المتوقع أن يسود طقس بارد مدة أشهر أو سنوات، نتيجة الغمام والهباب الناتج عن الانفجارات النووية، والذي يمكن أن ينتشر في الغلاف الجوي.

- لم تكن أمك لتودّ أن تفعل شيئًا كهذا يا ويلز، ليس لأنها اعتادت أن تحلم بالذهاب إلى الأرض فإن ذلك يعني أنها ستوافق على أن تعرض حياتك للخطر.

مال ويلز بجسده إلى الأمام متجاهلًا قبضة المعدن التي تنغرس في لحمه، وقال وهو ينظر إلى عيني والده مباشرة أول مرة منذ جلس على كرسيه: ليست هي من أفعل ذلك من أجلها، رغم ظني أنها كانت ستفخر بي».

كان ذلك صحيحًا إلى حد ما؛ لقد كانت ذات شخصية رومانسية، وكانت ستحبذ رغبة ولدها في حماية الفتاة التي يحبها. ولكن تقلصت معدته عندما فكر في أن تدري أمه ما أقدم على فعله لكي ينقذ كلارك. ستجعل الحقيقة الأمر يبدو وكأن إضرامه النار في شجرة عدن مقلب مزيف.

قال والده وهو يحدق إليه: «أتقول لي إن هذه الكارثة التي قُمتَ بها كانت من أجل تلك الفتاة؟».

أومأ ويلز بحركة بطيئة من رأسه، وقال: «أنا السبب في إرسالها إلى الأسفل كفأر تجارب، ولسوف أذهب لكي أتأكد من توفير كل السبل لبقائها على قيد الحياة».

التزم المستشار الصمت ثواني، ولكن عندما تكلم مجددًا أصبح صوته هادئًا: «لن يكون ذلك ضروريًّا».

أخرج المستشار شيئًا ما من درج مكتبه ووضعه أمام ويلز؛ كان سوارًا معدنيًّا مستديرًا مثبتة به شريحة بحجم إبهام ويلز.

أردف والده شارحًا: «في هذه اللحظة يتم تثبيت واحد من تلك الأساور في معصم كل فرد من المبعوثين. ستقوم تلك الأساور بإرسال معلومات إلى السفينة لنتمكن من تحديد موقعكم ومراقبة عملياتكم الحيوية، وما إن نصل

إلى دليل قاطع على أن بيئة الأرض صالحة لاستقبالنا، فإننا سوف نبدأ في استعدادات النزول».

تكلف ابتسامة صغيرة وتابع: «لو سار كل شيء حسب ما هو مخطط له، فإن الوقت لن يطول حتى ينضم إليكم بقيتنا ونلحق بكم إلى الأسفل».

وأشار إلى يدي ويلز المقيدتين ثم قال: «وكل هذا سوف يصبح طي النسيان».

فُتِح الباب ودلف حارس عبر العتبة. حان الوقت يا سيدي.

أومأ المستشار، فسار الحارس عبر الغرفة ليساعد ويلز على الوقوف. قال والد ويلز دون أن يتخلى عن جفائه المعتاد: «حظًّا طيبًا يا بني. لو أن أحدًا بإمكانه إنجاح هذه المهمة، فهو أنت».

- مدّ ذراعه ليصافح يد ويلز، ولكنه ما لبث أن تركها تهوي بجانبه عندما أدرك الخطأ الذي ارتكبه؛ فلا تزال ذراعا ابنه الوحيد مقيَّدَتَين وراء ظهره.

الفصل الثالث

بيلامي

بالطبع كان الوغد اللعين متأخرًا. ضرب بيلامي الأرض بقدمه نافِدَ صبر، غير عابئ بالصوت الذي تردَّدَ دويه عبر أنحاء الغرفة. لم يعد أي أحد يهبط إلى هذا المكان؛ إذ نُقِلَت كل الأشياء الثمينة إلى الأعلى منذ سنوات مضت. أصبح كل شيء هنا مغطى بالقاذورات: أجزاء مختلفة لماكينات عفا عليها الزمن حتى نُسيَت وظيفتها، وعملات ورقية، وأكوام لا نهائيو من الأسلاك المتشابكة، وأنواع مختلفة من الشاشات الخربة.

شعر بيلامي بيد تُوضَعُ على كتفه، فاستدار متحفزًا وهو يرفع قبضتيه ليحمي وجهه بينما يتنحى جانبًا.

صاح صوت كولتن: «على رسلك يا رجل».

ثم أشعل ضوء مصباحه اليدوي ووجَّهه إلى عيني بيلامي مباشرة. راح يحدق إلى بيلامي ووجهه الطويل الصغير يكتسي بعلامات الذهول.

قال متهكمًا: «لماذا أردتَ أن نلتقي هنا بالأسفل؟ هل تبحث عن مقاطع إباحية للإنسان القديم على أجهزة الحاسوب الخربة؟ لا عليك، فلو أنني كنتُ عالقًا

مع أي شيء يحمل شبهة أن يكون أنثى على متن والدن، لكنتُ على الأرجح أخترعتُ لنفسي بعض العادات السيئة أيضًا».

تجاهل بيلامي ضربة الكوع التي تلقاها؛ فعلى الرغم من تولي صديقه السابق منصبًا جديدًا حارسًا، لم يكن كولتن ليضيع أية فرصة مع فتاة دون أن يكترث للسفينة التي هو على متنها.

قال بيلامي محاولًا أن يبقى صوته هادئًا ما استطاع: «فقط أخبرني ما الذي يجري، حسنًا؟».

أسند كولتن ظهره إلى الحائط وابتسم قائلًا: «لا تنخدع بالزي الرسمي أخي العزيز، إنني لم أنسَ القاعدة الأولى للعمل».

مد يده وتابع: «أعطِنيه».

- إنك أنت من تختلط عليه الأمور يا كولت. أنت تعلم أنني دائمًا ما آتي إلى هنا.

ربت على الجيب الذي يحمل فيه الشريحة المزودة بحصص إعاشة مسروقة وتابع: «والآن أخبرني، أين هي؟».

تكلف الحارس ابتسامة، فأحس بيلامي بثقل يجثم فوق صدره. لقد كان يحاول أن يرشي كولتن للحصول على معلومات عن أوكتافيا منذ توقيفها، ولطالما بدا ذاك الأبله وكأنه يتلذذ بشكل دنيء بنقل الأخبار السيئة.

- إنهم بصدد إرسالهم اليوم. تمكنوا من إصلاح إحدى سفن الهبوط من الطابق (ج).

هوت الكلمات كالمطرقة على صدر بيلامي. مد كولتن يده مجددًا، وقال:

«والآن، هيا بحقك، هذه المهمة شديدة السرية، وأنا أجازف بمؤخرتي من أجلك، عليَّ أن أنهى هذا العبث».

تقلصت معدة إذ تتابعت سلسلة من الصور أمام عينيه: أخته مُقَيَّدَة بداخل قفص معدني عتيق، ويتم قذفها إلى الفضاء بسرعة ألف كيلومتر في الساعة. تحتقن دماء وجهها ويستحيل لونها إلى الأزرق بينما تناضل لتتنفس وسط الهواء المُسَمَّم، حتى يتكوم جسدها على الأرض في سكونٍ كسكون...

تقدم بيلامي خطوة للأمام وقال: «آسف يا رجل».

ضَيِّق كولتن عينيه وسأله: «من أجل ماذا؟».

- من أجل هذا.

أرجع بيلامي ذراعه إلى الخلف ثم هوى بأقصى قوته على فك الحارس مباشرة أصدرت الضربة صوت تهشم قوي، ولكنه لم يشعر بشيء عدا ضربات قلبه المتلاحقة، بينما سقط كولتن مرتطمًا بالأرض.

***

بعد ثلاثين دقيقة، كان بيلامي لا يزال واقفًا يحاول أن يتمالك شتات عقله أمام المشهد الغريب الذي تشهده عيناه. ظهرت مستند إلى جدار ممر واسع يقود إلى بوابة السفينة المنحدرة. انتشر المُدانون في أنحاء المكان مُرتَدِين سترات رمادية. يقتادهم عدد من الحراس عبر الممر المنحدر الذي يقود إلى سفينة الهبوط التي تربض أدناه. شيء دائري غريب الشكل بالغ التعقيد، وبداخلها صفوف من المقاعد يُتَحكم بها من بعد، والتي ستأخذ أولئك الفتية المراهقين المساكين إلى الأرض.

الأمر بكامله كان محض هراء. ولكنه افترض أنه على الأقل أفضل من البديل الآخر، في حين يُفتَرَضُ بك أن تحصل على إعادة مُحاكَمَة في يوم ميلادك الثامن عشر، ومنذ السنة الأخيرة تقريبًا غالبًا ما يُحكَمُ على كل الأحداث المُدانين بالإعدام؛ أي إنه دون تلك المهمة، كانوا سيقضون ما تبقى من عمرهم يعدون الأيام حتى تنفيذ حكم الإعدام.

تقلصت معدة بيلامي إذ وقعت عيناه على بوابة أخرى، وانتابه القلق ثواني أنه لم يلحق بأوكتافيا. ولكن لا بأس لو لم يرَ بوابتها؛ لأنهما سيتقابلان مجددًا قريبًا. خلع بيلامي عن كولتن زيه الرسمي. بالكاد ناسَبَه. ولكن حتى الآن لم يلاحظه أي أحد من الحراس الآخرين؛ إذ كانوا مُنهمِكين أمام المركبة بالأسفل، حيث كان المستشار جاها يحدث الركاب.

راح المستشار يقول: «لقد أُتيحَت لكم فرصة غير مسبوقة لكي ترموا الماضي خلف ظهوركم، إن المهمة التي أنتم بصدد خوض غمارها شديدة الخطورة، ولكن عليكم التحلي بالشجاعة. إذا تكللت مهمتكم بالنجاح، فإنها سوف تسقط عنكم جرائمكم، وستكونون قادرين على بدأ حياة جديدة على الأرض».

بالكاد تمكن بيلامي من كتم ضحكة ساخرة؛ إذ لدى المستشار ما يكفي من الجرأة لكي يقف هناك ويلقي كلامًا فارغًا يُمَكِّنه من النوم ليلًا.

تابع المستشار: «سنتابع تقدمكم لحظة بلحظة، لكي نُؤَمِّن سلامتكم». بينما وصل آخر عشرة مساجين إلى السفينة بصحبة حارس قام بإلقاء تحية صارمة قبل أن يودع عُهدَتَه عند سفينة الإنزال ويعود أدراجه إلى الأعلى ليقف في الممر. تفحص بيلامي الحشد باحثًا عن لوك؛ الشخص الوحيد الذي يعرفه من مواطني والدن، والذي لم يتحول إلى وغد لعين بعد أن أصبح حارسًا. ولكن كان هناك نحو عشرة حراس يحيطون بالسفينة؛ فقد قرر المجلس بمنتهى الوضوح أن السرية أكثر أهمية من الأمن.

حاول ألا يضرب الأرض بقدمه بينما يصطفُّ المساجين أمام سلم السفينة. لو قُبِضَ عليه مُنتَحِلًا شخصية حارس، وتآمر، وكل ما يحلو للمجلس إضافته إلى القائمة. وبما أنه في العشرين من عمره، فلن يتم توقيفه ووضعه في السجن، وفي غضون أربع وعشرين ساعة من محاكمته سيصبح في عداد الأموات.

انقبض صدر بيلامي إذ وقعت عيناه على شريط شعر أحمر يألفه في نهاية الممر، يزين شعرًا أسود طويلًا ولامعًا. إنها أوكتافيا.

لقد أمضى الشهور العشرة الأخيرة يعذبه قلقٌ مُضنٍ بشأن ما يحدث لها في السجن: هل تحصل على ما يكفيها من الطعام؟ هل تُمضي وقتها جيدًا؟ هل ما زالت متماسكة؟ ففي حين أن السجن مكان موحش لأي أحد، أدرك بيلامي أنه سيكون أشد وحشة بالنسبة إلى أوكتافيا.

إن بيلامي تقريبًا هو من قام بتربية أخته، أو على الأقل قد حاول؛ فبعد حادث والدتهما، وُضِعَ هو وأوكتافيا تحت رعاية المجلس. لم تكن هناك سابقة للتعامل مع وجود أشقاء -فمع القوانين الصارمة لتحديد السكان، من المستحيل أن يُسمَحِ لزوجين أن يحظيا بأكثر من طفل واحد. وأحيانًا، لا يؤذن بالحصول على أية أطفال- وعليه، فإن أحدًا في المستوطنة لا يدرك ما يعنيه أن يكون لديك أخ أو أخت. عاش كل من بيلامي وأوكتافيا في بيوت مختلفة سنوات عدة، ولكن هذا لم يمنع بيلامي من الاعتناء بها واختلاس المزيد من حصص الإعاشة من أجلها عندما يذهب للتنزه في أي من أقسام المؤن المحظورة، ويعرض نفسه لمواجهة الفتيات المتنمرات الأكبر منه سنًّا.

اللواتي يجدن تسليتهن في الاستهزاء بالولد اليتيم ممتلئ الخَدَّين ذي العينين الزرقاوين الواسعتين. كان بيلامي قلقًا بشأنها باستمرار. لقد كُتِبَ عليه أن يكون فتى مميزًا، ولن يتردد في فعل أي شيء ليمنحها فرصة عيش حياة مختلفة؛ أي شيء ليعوضها عما عاشته.

كبح بيلامي ابستامته بينما يقتاد الحارس أوكتافيا إلى متن السفينة. وبدأ جليًّا في أثناء تقدم الفتيان الآخرين في خضوع بينما يقتادهم الحراس باتجاه سفينة الإنزال أن أوكتافيا كانت تتقدم المسير؛ تسير بتأنٍّ وتُجبِرُ حارسها على أن يخفف من سرعة مشيته. ما إن أصبحت أمام السفينة، حتى بدت في حال أفضل كليًّا عن آخر مرة رآها. فكر في أن الأمر يبدو منطقيًّا؛ فقد حُكِمَ عليها بالسجن أربع سنوات إلى حين إعادة مُحاكَمَتِها في يوم ميلادها الثامن عشر؛ المحاكمة التي ستقودها لا محالة إلى الإعدام، أما الآن، فقك مُنِحَت فرصة ثانية لكي تحيا، وسيحرص بيلامي على أن تحصل عليها مهما كلفه الأمر. لم يهمه أيُّ مما كان عليه فعله؛ فقط اتخذ قراره بالذهب إلى الأرض معها.

تعالى صوت المستشار وغطى على ضجة خطوات الأقدام وأصوات الهمس المحموم. ما زال محتفظًا بروح الجندي لديه، ولكن السنوات التي قضاها في المجلس أكسبته مهارات دبلوماسية ثاقبة. راح يقول: «لا يملك أي أحد في المستوطنة أية فكرة عما أنتم مقبلون عليه. ولكن لو نجحتم، فسوف ندين لكم جميعًا بحياتنا. أعلم أن جميعكم لن تدخروا وسعًا من أجل أنفسكم وأهليكم، وكل من على متن هذه السفينة؛ أي ما تبقى من الجنس البشري بأكمله».

فغر فو أوكتافيا عندما وقعت عيناها على بيلامي. كان بإمكانه أن يشعر بحيرتها لكي تستوعب ما يجري؛ فكلاهما يدرك أن من المستحيل أن يُختارَ ليصبح حارسًا، مما يعني أنه لا بد من أنه ينتحل شخصية أحدهم. ولكنها ما إن أوشكت على تحذيره، حتى التفت المستشار ليوجه حديثه إلى السجناء الذين لا يزالون في طريقهم عبر ممر النزول. أدارت أوكتافيا رأسها بسرعة، ولكن استطاع بيلامي رؤية كتفيها المتشنجتين.

تسارعت ضربات قلبه إذ أنهى المستشار خطابه وأشار إلى الحراس لينتهوا من تحميل المهاجرين على متن السفينة. عليه فقط أن ينتظر اللحظة المواتية؛

لو أنه تحرك باكرًا كثيرًا، فسيكون لا يزال أمامهم فرصة للقبض عليه، ولو انتظر أطول مما ينبغي، فستسبح أوكتافيا في الفضاء بسرعة هائلة باتجاه كوكب مُميت، بينما يبقى هنا ليواجه عواقب عرقلة البعثة.

وأخيرًا، جاء دور أوكتافيا. نظرت من خلف كتفها إلى عينيه وهزت رأسها هزة خفيفة كتحذير قاطع بألا يقدم على فعل شيء غبي.

ولكن بيلامي اعتاد أن يفعل أمورًا غبية طوال حياته، وليس لديه أي نية لكي يتوقف الآن. أومأ المستشار إلى امرأة ترتدي زيًّا رسميًّا أسود، فالتفتت إلى لوحة التحكم بجانب سفينة الإنزال وراحت تضغط على الكثير من الأزرار، فظهرت أرقام ضخمة على الشاشة.

لقد بدأ العد التنازلي.

أمامه ثلاث دقائق ليعبر ذاك الممر المنحدر، ومن ثم يدخل إلى السفينة، الرابضة أسفله، وإلا فسيفقد أخته إلى الأبد.

عندما صعدت الدفعة الأخيرة من المهاجرين إلى متن السفينة، أصبح الجو العام في الفرقة مختلفًا؛ إذ استرخى الحراس بالقرب من بيلامي وراحوا يتجاذبون أطراف الحديث بين بعضهم بعضًا بهدوء، وأصدر أحدهم شخيرًا شنيعًا من مكان ما على ممر البوابة الأخرى.

2:48... 2:47.. 2:46..

شعر بيلامي بموجة هائلة من الغضب تختلج داخله وتسيطر عليه لحظات. كيف لأولئك الحمقى أن يضحكوا ملء افواههم بينما تُرسَلُ أخته وتسعة وتسعون مراهقًا آخرين إلى شيء يقترب من كونه مهمة انتحارية؟

2:32... 2:31.. 2:30..

همست المرأة من أمام لوحة التحكم بشيء ما للمستشار، ولكنه تهجم وأشاح بنظره بعيدًا.

شرع الحراس الحقيقيون في التراجع إلى أماكنهم في الممر. إما أنهم ظنوا أن لديهم أشياء أفضل ليفعلوها بدلًا من أن يشهدوا المحاولة الأولى لعودة البشرية إلى الأرض، وإما أنهم خشوا أن تنفجر سفينة الإنزال العتيقة وتوجهوا إلى مكان آمن.

2:14... 2:13.. 2:12..

سحب بيلامي نفَسًا عميقًا إلى رئتيه. حان الوقت.

شق طريقه عبر الحشد وتسلل خلف حارس بدين وقصير القامة ثبت جيب مسدسه بإهمال في حزامه تاركًا يد المسدس مكشوفة. استل بيلامي السلاح وعدا مُسرِعًا باتجاه السفينة.

وقبل أن يتمكن أي أحد من إدراك ما كان يحدث، قام بيلامي بغرس كوعه في معدة المستشار ولف ذراعه حول عنقه مطوقًا إياه بإحكام. انفجرت الصيحات والحركات العشوائية في كل أنحاء منصة الإطلاق، ولكن قبل أن يمتلك أحدهم وقتًا ليلحق به، وجه بيلامي فوهة المسدس إلى جبهة المستشار. كان من المستحيل أن يُقدِمَ فعلًا على قتل ذاك الحقير، ولكن لا بد من أن يصدق الحراس أنه جاد فيما يفعل.

1:12... 1:11.. 1:10..

صاح بيلامي بينما يزيد من إحكام قبضته: «فليتراجع الجميع!».

أصدر المستشار أنينًا، وانطلق صفيرٌ عالٍ وتغير لون الأرقام على الشاشة من الأخضر إلى الأحمر ليصبح أمامه أقل من دقيقة. كل ما عليه فعله هو الانتظار

حتى يبدأ إغلاق باب سفينة الإنزال، ومن ثم يلقي بالمستشار بعيدًا. ثم ينسل إلى الداخل مُسرِعًا، ولن يكون أمامهم أي وقت لمنعه.

- دعوني أصعد إلى سفينة الإنزال ولن أطلق عليه.

ساد الصمت في الغرفة إلا من صوت دزينة من الأسلحة التي صوبت نحوه.

ثلاثون ثانية واحتمالان: إما أن يكون في طريقه إلى الأرض مع أوكتافيا وإما أن يعود إلى والدن في كيس جثث.

الفصل الرابع

جلاس

كانت جلاس انتهت للتو من ربط حزامها عندما سمعت ضوضاء عالية تزداد اهتياجًا، بينما يحاصر الحراس شخصين بالقرب من مدخل سفينة الإنزال. تعذرت عليها الرؤية عبر حشد الملابس العسكرية. ولكنها التقطت بناظريها طرفًا من كم بدلة وشعرًا رماديًّا وشيئًا معدنيًّا لامعًا. جثا بعض الحراس على ركبهم وأشهروا أسلحتهم فوق أكتافهم؛ مما وفر لجلاس مجالًا أوسع للرؤية. إن المستشار مُحتَجَزٌ رهينة.

صاح الآسر بصوت مرتجف: «فليتراجع الجميع!».

كان يرتدي زيًّا رسميًّا، ولكن كان جليًّا أنه ليس حارسًا؛ شعره أطول كثيرًا من الطول المسموح به، وسترته بالكاد تناسبه، وتبين من قبضته غير الملائمة على المسدس أنه لم يسبق له وأن تدرب على استخدامه.

لم يتحرك أحد، فصاح مجددًا: «قلت تراجعوا إلى الخلف».

تبخر الخدر الذي جسدها في أثناء سيرها الطويل من زنزانتها وإلى حجرة الإطلاق كمذنب ثلجي يمر بمحاذاة الشمس، تاركًا بصيصًا من الأمل في داخلها. إنها لا تنتمي إلى هنا، لم تستطع أن تتظاهر بأنهم بصدد الانطلاق في مغامرة

تاريخية؛ إذ إن قلب جلاس سيتوقف في اللحظة التي تنفصل فيها سفينة الإنزال عن السفينة. هذه فرصتي! خطرت لها الفكرة فجأة، فسَرَت عبر جسدها حمة من الإثارة والرعب.

خلعت جلاس حزامها وانتصبت واقفة على قدميها. لاحظ بعض السجناء الآخرين حركتها، ولكن انشغل أغلبهم بمتابعة المشهد الشائق الذي يحدث بالخارج. هرعت جلاس إلى نهاية سفينة الإنزال حيث توجد بوابة منحدرة أخرى تقود إلى حجرة التحميل.

صاح الفتى وهو يجرُّ المستشار إلى الخلف باتجاه الباب: «سأذهب معهم، سأذهب مع أختي».

ساد في منصة الإطلاق صمت مباغت. أخت! تردد صدى الكلمة في رأس جلاس. ولكن قبل أن تتمكن من استيعاب معناها، أفاقها صوت مألوف من شرودها: «اتركه».

تجمدت جلاس عندما نظرت إلى مؤخرة سفينة الإنزال. ذهلت ثواني لدى رؤيتها وجه أقرب أصدقائها. لقد سمعت بالطبع الشائعات السخيفة عن احتجاز ويلز، ولكنها لم تكترث للتفكير في الأمر. ما الذي يفعله هنا؟ راحت تحدق إلى عيني ويلز الرماديتين المثبتتين باهتمام على أبيه، عندها أدركت إجابة سؤالها: لا بد أنه حاول أن يذهب خلف كلارك. سيُقدِمُ ويلز على فعل أي شيء في سبيل حماية من يهتم لأمرهم، وبخاصة كلارك.

ثم دوى صوت يصمُّ الآذان. طلق ناري؟ خطرت في عقلها فكرة، ودون أن تضيع وقتًا في التفكير، دون أن تأخذ نفسًا، انطلقت عدوًا عبر الباب وتسلقت البوابة. حارَبَت رغبتها في أن تنظر إلى خلفها، وأخذت تعدو بأقصى سرعة عدت بها في حياتها محافظة عل رأسها منخفضًا.

لقد اختارت اللحظة المناسبة تمامًا؛ إذ ظل الحراس جامدين في أماكنهم وكأن ارتداد الطلقة شل حركتهم. ولكنهم ما لبثوا أن لاحظوا وجودها. صاح أحدهم: « سجينة هاربة!».

التفت بقيتهم بسرعة إلى اتجاهها. ذَكَّرَتهم سرعة حركتها بكل الأمور التي غُرِسَت في عقولهم في أثناء التدريب. ليس مُهِمًّا أنها فتاة في السابعة عشرة من عمرها؛ إذ بُرمِجَت عقولهم تلقائيًا على عدم الاكتراث بالشعر الأشقر الحريري والعينين الواسعتين الزرقاوين اللتين لطالما وَدَّ الناس أن يحموا جلاس من أجلهما، ولم يروا فيها سوى مجرم هارب.

ألقت جلاس بنفسها عبر الباب غير عابئة بالصيحات الغاضبة التي تعالت في أعقابها. هَروَلَت عبر الممر الذي يقودها مجددًا إلى فينيكس. أخذ صدرها يعلو ويهبط بأنفاس متسارعة وثقيلة.

صاح بها أحد الحراس بينما يطاردها بخطوات سريعة محمومة: «أنتِ! توقفي عندك!».

ولكنها لم تتوقف. لو أنها تعدو بالسرعة الكافية، لو أن حظها العاثر يتوقف ولو مرة واحدة عن إتعاس حياتها، فلربما تمكنت من رؤية لوك المرة الأخيرة، ولربما، ربما فقط تمكنت من أن تجعله يسامحها.

ترنحت جلاس بين أنفاسها الثقيلة وهي تعبر ممرًّا تَحُدُّه أبواب صماء لا تحمل علامات. انثنت ركبتها اليمنى، فاستندت بيدها إلى الحائط كي لا تفقد توازنها. أغبش الممر أمام ناظريها وتشوش. أدارت رأسها، فتمكنت بالكاد من تمييز فتحة تهوية. أدخلت جلاس أصابعها بين الألواح المعدنية وسحبت إلى الخارج، ولكنَّ شيئًا لم يحدث. سحبت مرة أخرى وهي تئن، حتى شعرت بصرير المعدن، ومن ثم انتزعته بقوة، فانفتح كاشفًا عن نفق مظلم ضيق يعجُّ بأنابيب ذات مظهر عتيق.

دفعت جلاس نفسها لتتسلق الحافة الصغيرة، ثم أخذت تزحف على بطنها إلى أن توفرت لها مساحة لتضم ركبتيها إلى صدرها. كان المعدن باردًا بالنسبة إلى حرارة جلدها الملتهب. وبآخر مليجرام من قوة لديها، راحت تزحف بداخل النفق، وأغلقت الفتحة من خلفها. أصاخت سمعها بحثًا عن أي إشارة لأحد يتعقبها، ولكن لم يكن هناك أي صياح الآن، ولا أي خطوات أقدام تتبعها، فقط صوت ضربات قلبها المتلاطمة اليائسة.

رمشت جلاس في قلب الظلام الذي يحفها من كل اتجاه. تفكر مليًّا فيما ينبغي لها فعله الآن، إذ امتدت المساحة الضيقة في كلا الاتجاهين، وفي جو خانق ومُترب. لا بد أنها إحدى منافذ الهواء الأصلية، من قبل أن تبني المستوطنة أنظمة التهوية والتنقية الجديدة. لا تملك جلاس أية فكرة عن إلى أين تصل، ولكنها كذلك لا تملك خيارًا. وبدأت تشق طريقها زحفًا.

وبعد ما يقرب من ساعات، بلغت جلاس مفترق طرق بداخل النفق وقد أصاب الخدر ركبتيها وآلمتها يداها. إذا كان حدسها في تحديد الاتجاهات سليمًا، فإن النفق على شمالها سيأخذها إلى فينيكس، أما الآخر، فهو يمتد بمحاذاة الجسر السماوي الذي سيوصلها إلى والدن، ومن ثم إلى لوك.

لوك، رجلها الذي تحب، والذي أُجبِرَت على هجره طوال كل تلك الأشهر الماضية، وأمضت كل ليلة من ليالي حبسها تفكر فيه وتتوق إلى لمسته، لدرجة أنها شعرت بذراعيه تطوقانها.

تنفست بعمق، واتجهت يمنيًا غير عارفة ما إذا كانت في اتجاه حريتها أم موتها الحتمي.

***

بعد مرور عشر دقائق، خرجت جلاس بهدوء من فتحة التهوية ومالت بجسدها إلى الأرض. تقدمت خطوة إلى الأمام وسعلت تحت وطأة الغبار الذي تناثر حول وجهها والتصق ببشرتها المتعرقة، فوجدت نفسها في مكان أشبه بغرفة تخزين.

استغرقت وقتًا لكي تتضح رؤيتها الأشكال على الحائط بعد أن اعتادت عيناها الظلمة، حتى تجسدت الكتابات أمام ناظريها. تقدمت بضع خطوات أخرى إلى الأمام، فاتسعت عيناها. كانت هناك رسائل محفورة على الجدران.

فليغفر السلام روحك.

تخليدًا لذكراك.

من بين النجوم إلى جنات النعيم.

كانت في قسم الحجر الصحي، أقدم قسم في والدن؛ فبعد الحرب الذرية والحيوية التي أهلكت كوكب الأرض، بات الفضاء الخيار الوحيد أمام أولئك الذين حالفهم الحظ في النجاة من المراحل الأولى للكارثة. ولكن بعض الناجين المصابين قاتلوا من أجل اللحاق بكبسولات النقل، فقط ليجدوا أنفسهم محظورين من الوجود على متن فينيكس، وتُرِكوا على والدن ينتظرون الموت. أما الآن، فإنه يُوضَعُ أي مصاب في الحجر الصحي مع أقل بادرة تنذر بالمرض، ويتم عزله بعيدًا عن بقية سكان المستوطنة لحمايتهم من خطر العدوى، فهم آخر ما تبقى من الجنس البشري.

ارتَجفَت جلاس وهي تتحرك مسرعة ناحية الباب تدعو ألا يكون الصدأ قد جعله مُقفَلًا إلى الأبد. ولكن حمدًا لله، تمكنت من دفعه بقوة حتى انفتح، ومن ثم دلفت عبر المدخل. خلعت عنها سترتها الغارقة في العرق، ليصبح بإمكانها أن تتنكر في هيئة عامل. ربما كأحد عمال النظافة؛ بفضل بلوزتها

البيضاء وسروال السجن. تأملت السوار الذي يحيط بمعصمها مليًّا. لم تكن واثقة ما إذا كان يعمل على السفينة، أم أنه صُنِع خصيصي ليرسل البيانات من الأرض. ولكنها في كلتا الحالين كانت في حاجة إلى إيجاد طريقة لتنزعه بأقصى سرعة؛ فحتى لو تجنبت الطرق التي تحتوي على ماسحات شبكية العين، فسوف يسعى كل حارس في المستوطنة خلفها.

أملها الوحيد أن يظنوها ستهرب إلى فينيكس. لن يتوقعوا أنها ستأتي إلى هنا أبدًا. تسلقت سلم سفينة والدن الرئيسي حتى بلغت مدخل جناح لوك السكني. التفتت إلى الممر المؤدي إليه وأبطأت من سرعتها، وراحت تمسح يديها المتعرقتين في بنطالها وقد زاد توترها أكثر مما كانت على متن سفينة الإنزال.

لم تستطع أن تتخيل ما قد يقوله، النظرة التي سينظر بها إليها عندما يراها أمام بابه بعد اختفائها أكثر من تسعة أشهر.

ولكن على الأرجح لن يقول أي شيء. ربما ما إن يراها، ما إن تتدفق الكلمات من فمها، سيسكتها بقُبلَة يعتمد فيها على شفتيه لكي تُخبِرَاها أن كل شيء على ما يُرام، وتُخبِراها أنه قد سامحها.

ألقت جلاس نظرة من فوق كتفها قبل أن تخرج من الباب. لا تظن أن أحدًا قد رآها، ولكن وجب عليها أن تتوخى مزيدًا من الحذر. كان تصرفًا في غاية الوقاحة أن تغادر مراسم الزواج قبل المباركة الأخيرة. ولكن جلاس لم تظن أنها ستتمكن من قضاء دقيقة أخرى جالسة بجانب كاسيوس بعقليته النتنة ورائحة فمه التي تفوق عقليته نتانة. تُذَكِّرها يداه المتطاولتان بكارتر، رفيق لوك في السكن، ذي الوجهين، الذي لا يُظهِرُ وجهه الخبيث إلا عندما يخرج لوك في مناوبة حراسته.

هرعت جلاس إلى السلم متجهةً إلى قمرة المراقبة دون أن تغفل عن رفع طرف فستانها في كل خطوة. لقد كان من الحماقة أن تهدر الكثير من نقاط حصص إعاشتها في سبيل تجمع مواد الفستان؛ وهو قطعة من قماش الخيزران قامت بخياطته بشق الأنفس مع بطانة فضية. وقد ضاع جهدها هباءً منثورًو عندما لم يكن لوك هناك ليراها وهي ترتديه.

لن تُطِق أن تقضي الليلة بصحبة فتى آخر. ولكن والدة جلاس رفضت أن تسمح لها بالظهور في مناسبة اجتماعية دون رفيق، وابنتها عزباء على حد علمها. ولم تستطع أن تفهم لماذا لم «تصطد» جلاس ويلز. لم تُبالِ بكل المرات التي شرحت لها جلاس أنها لا تحمل هذا النوع من المشاعر تجاهه. زفرت أمها وراحت تتذمر بأنها ستدع الفرصة لواحدة من العلماء مبتذلة المظهر أن تسرقه منها.

ولكن جلاس كانت سعيدة لأن ويلز مُغرَم بالفتاة الجميلة-ولو أنها رصينة بشكل مبالغ فيه قليلًا- كلارك جريفين. تمنت فقط لو أمكنها أن تخبر أمها بالحقيقة؛ أنها تحب فتى وسيمًا وذكيًّا لن يتمكن أبدًا من مرافقتها إلى حفل موسيقي أو إلى مراسم زواج.

- أتسمحين لي بهذه الرقصة؟

شهقت جلاس والتفتت بسرعة، واتسعت ابتسامتها ما إن تقابلت عيناها مع عينين بنيتين تألفهما. همست وهي تنظر إلى ما حولها لكي تطمئن أنهما بمفردهما: «ماذا تفعل هنا؟».

أجابها لوك بينما يرجع خطوة إلى الخلف ليبدي إعجابه بفستانها: «لم أتمكن من أن أدعكِ لفتيان فينيكس أولئك، ليس وأنتِ بهذه الأناقة».

- هل تدرك حجم المتاعب التي ستتورط بها لو أمسكوت بك؟



أحاط خصرها بذراعيه وأجاب: «فليجربوا حظهم».

حملها وراح يدور بها في الهواء مع أنغام الموسيقي المنبعثة من الأسفل. همست جلاس من بين ضحكاتها وهي تضرب كتفه بغنج: «أنزلْني!».

سألها مُصطَنِعًا لهجة سكان فينيكس بفظاعة: «أهكذا يجدر بالشابات المهذبات أن يخاطبن معجبيهن النبلاء؟».

أمسكت بيده وهي تقهقه، وقالت: «بحقك، لا ينبغي لك الوجود هنا حقًّا».

توقف لوك وضمها إليه.

- أينما تكونين هو حيث ينبغي لي أن أكون.

قالت بصوتٍ حانٍ وهي تقرب وجهها من وجهه: «هذا خطرٌ جدًّا».

ابتسم وقال: «من الأفضل إذن أن نحرص على أن نجعل الأمر يستحق المخاطرة».

أحاط رأسها بيديه وراح ينهل من شفتيها.

انفتح الباب عندما رفعت جلاس يدها لتطرقه مرة ثانية، فشعرت أن قلبها توقف ثواني.

كان واقفًا أمامها، وشعره الأصفر كلون الرمل وعيناه البنيتان الداكنتان تمامًا كما تتذكرهما بالضبط كما كانت تراهم في أحلامها كل ليلة في السجن. اتسعت عيناه في ذهول، فهمست قائلة: «لوك».

أخذت كل عواطفها التي تراكمت تسعة أشهر تختلج في صدرها. كانت تتوق إلى إخباره بما حدث: لماذا هجرته واختفت، وأنها أمضت كل دقيقة طوال الستة الأشهر المرعبة الماضية تفكر فيه، وأنها لم تتوقف قط عن حبه. قالت مجددًا وقد هربت دمعة إلى خدها: «لوك».

فبعد انهيارها مرات لا تُحصَى في زنزانتها تهمس باسمه من بين شهقات نحيبها، بدا لها مشهدًا خياليًّا أن تنطق به أمامه.

ولكن قبل أن تتمالك نفسها لتنطق بكلمة مما يدور في عقلها، رأت شخصًا آخر يقف أمام الباب. كانت فتاة ذات شعر أحمر مموج.

- جلاس؟

حاولت جلاس أن تبتسم لكاميل، صديقة طفولة لوك. لقد كانا مقربين كما كانت جلاس وويلز، والآن ما هي ذي هنا في شقة لوك. قالت جلاس لنفسها بمرارة لاذعة: «بالطبع».

لطالما تساءلت عما إذا كانت علاقتهما تحمل أكثر مما أخبرها به لوك. سألتها كاميل بأدب مبالغ فيه: «هل تودين الدخول؟».

عانقت يد لوك بيدها. ولكن جلاس شعرت وكأن كاميل غرست أصابعها بداخل قلبها بدلًا من يده. بينما تقضي جلاس شهورًا في السجن يقتلها شوقها إلى لوك حتى استحال غيابه مرضًا يفتك بجسدها، تمكن هو من أن يمضي قدمًا مع غيرها.

قالت جلاس بصوت مبحوح: «لا... لا، هنا جيد».

حتى لو أسعفتها الكلمات، فقد أصبح من المستحيل أن تخبره بالحقيقة الآن. أضحى الأمر برمته سخيفًا بعد أن رأتهما معًا.



لقد قطعت كل تلك المسافة، وخاطرت بكل شيء لكي ترى شخصًا قد نسيها بالفعل.

- أتيتُ فقط لأقول مرحبًا.

قال لوك: «أتيت لتقولي مرحبًا؟ هل فَكَّرتِ بعد ما يقرب السنة من تجاهلك رسائلي في أن تظهري هكذا فجأة؟ وبهذه البساطة؟».

لم يكن يحاول أن يخفي غضبه حتى. تركت كاميل يده واستحالت ابتسامتها إلى تكشيرة.

- أعلم إنني... إنني آسفة، سأترككما بمفردكما.

سأل لوك وتبادل نظرة مع كاميل أشعلت في قلب جلاس شعورًا قاسيًا بالحماقة والوحدة والرهيبة في الوقت ذاته: «ما الذي يجري حقًّا؟».

أجابت جلاس بسرعة في محاولة فاشلة لئلا يرتعش صوتها: «لا شيء، سوف أحدثك... سوف أقابلك».

توقفت ورسمت على وجهها شبح ابتسامة، وتنفست بعمق متجاهلة توسل جسدها المحموم لكي تظل بقربه.

ولكنها بمجرد أن التفتت، لمحت بطرف عينيها زي حارس يمر. شهقت شهقة قصيرة وأدارت وجهها حتى مر الحارس.

ضم لوك شفتيه بينما يحدق مليًّا إلى جلاس. علمت جلاس أنه أدرك شيئًا للتو، وراودها إحساس مؤرق من الطريقة التي زم بها فكه بأنه كان بشأنها.

اتسعت عيناه في فهم ما لبثَ أن استحال رعبًا، وقال بصوت مبحوح: «جلاس! لقد كُنتِ مسجونة».

لم يكن سؤالًا، ولكنَ جلاس أومأت.

بدل نظرته إلى جلاس مجددًا ثواني، ثم زفر واقترب منها ليربت بيده على ظهرها. كان بإمكانها أن تشعر بلمسة أصابعه عبر نسيج بلوزتها الخفيفة. أرسلت لمسته قشعريرة في جسدها رغم اضطرابها. قال وهو يضمها إليه: «تعالي معي».

تنحت كاميل جانبًا وغضبها بادٍ عليها، بينما دخلت جلاس إلى الشقة، وأسرع لوك يغلق الباب من خلفهم.

كانت غرفة المعيشة الصغيرة مظلمة. لوك وكاميل كانا بالداخل والأنوار مقفلة. حاولت جلاس أن تدفع تداعيات تلك الحقيقة عن رأسها، وأخذت تراقب كاميل وهي تجلس على الكرسي الذي عثرت عليه جدة لوك في قسم المقايضة، بينما تقلبت جلاس أرقة، غير واثقة أتجلس أم لا. بدا كونها حبيبة لوك السابقة أكثر غرابة من كونها مجرمة هاربة. لقد استغرقت ستة أشهر لتتقبل حقيقة أنه أصبح لها سجل إجرامي. ولكن لم تتخيل جلاس قط كيف يكون شعور أن تقف في هذه الشقة وتشعر أنها غريبة.

- كيف هربتِ؟

ظلت جلاس صامتة. لقد أمضت كل وقتها في السجن وهي تتخيل ما ستقوله للوك لو أنها تمكنت من رؤيته مرة أخرى، والآن بعد أن تمكنت أخيرًا من الوصول إليه، شعرت أن كل الأحاديث التي تدربت عليها أصبحت واهية وأنانية. إنه في خير حال، بإمكانها أن ترى ذلك الآن، لماذا يجب عليها أن تخبره وحيدة كما هي الآن؟ وهكذا، راحت جلاس تخبره بصوت مرتعش بشأن المئة ومهمتهم السرية، وعن مشهد الرهينة، ثم مطاردة الحراس لها.

- ولكنني ما زلت لا أفهم.

رمى لوك نظرة من خلف كتفه إلى كاميل، والتي كفت عن التظاهر بأنها لم تكن منتبهة إليهما، ثم تابع: «لماذا لم توقيفك في الأصل؟».

أشاحت جلاس بنظرها. لم تقدر أن تواجه عينيه في أثناء ما يصارع عقلها لإيجاد تفسير. لم تتمكن من أي تخبره. ليس الآن، ليس بعدما نسيها ومضى قدمًا، وليس بعدما أصبح في غاية الوضوح أنه لم يعد يشعر بالشيء نفسه تجاهها.

قالت بهدوء: «لا يمكني أن أتحدث عن هذا الأمر، لن تفهم...».

قاطعها لوك بحدة قائلًا: «لا يهم، لقد أوضحتِ بما فيه الكفاية العديد من الأشياء التي لا يمكنني فهمها».

تمنيت جلاس في تلك اللحظة لو أنها بقيت على متن سفينة الإنزال مع كلارك وويلز. ورغم أنها كانت واقفة بالقرب من الرجل الذي أحبته، لم تستطيع أن تتخيل نفسها تشعر بالوحشة على الأرض المهجورة مثلما تشعر في تلك اللحظة.

الفصل الخامس

كلارك

ظل السجناء مهتاجين بفعل جلبة إطلاق النار، لدرجة أنهم لم ينتبهوا إلى أنهم كانوا يسبحون عبر الفضاء عشر دقائق كاملة. أول البشر الذين يغادرون المستوطنة منذ ما يقرب من ثلاثمئة عام. لقد حصل الحارس المُحتَال على مُبتَغَاه؛ دفع بجسد المستشار الواهن إلى الأمام ما إن بدأ باب سفينة الإنزال في الإغلاق، وراح يتعثر حتى وجد لنفسه مقعدًا. ولكن تمكنت كلارك من خلال وجهه الأصفر الذي اكتسى بأمارات الصدمة من أن تفهم أن إطلاق النار لم يكن ضمن الخطة قط.

على الرغم من ذلك، فرؤية المستشار وهو يُضرب بالنار لم يكن أمرًا شديد الوطأة بالنسبة إلى كلارك مقارنة بما رأته قبل لحظات من حدوث ذلك. ويلز كان على متن سفينة الإنزال.

عندما ظهر أول مرة أمام الباب. لم تشك في أنها تهلوس؛ فاحتمال أنها فقدت عقلها في أثناء عزلتها التامة كان يفوق احتمال أن ابن المستشار قد انتهت به الحال مزجوجًا به في السجن. لقد نالت كفايتها من الصدمات عندما رأت جلاس-صديقة ويلز المقربة-في الزنزانة التي تلي زنزانتها مباشرة بعد شهر واحد من محاكمتها. والآن ويلز أيضًا؟ بدا ذلك ضربًا من المستحيل، ولكنه واضح وضوح الشمس؛ فقد رأته وهو ينتفض منتصبًا على قدميه في أثناء المواجهة،

وهو يرتمي مجددًا على مقعده عندما أطلق الحارس الحقيقي مسدسه، بينما هرع المزيف عبر الباب وهو مغطى بالدماء. شعر ثواني. بمشاعر قديمة العهد تحثها على أن تذهب إلى ويلز وتواسيه، ولكن شيئًا ما أثقل من الحزام الذي يقيدها أبقى قدميها مثبتين على الأرض؛ فبسببه قد شاهدت والديها يُقتادان إلى غرفة الإعدام، ومهما كان قدر الألم الذي يعانيه، فلم يكن أقل مما يستحق.

- كلارك.

نظرت إلى جانبها ورأت تاليا على بُعد بضعة صفوف منها تبتسم لها. كانت رفيقة زنزانتها المقيدة إلى مقعدها هي الشخص الوحيد على متن سفينة الإنزال الذي لم يكن يحدق إلى الحارس. ورغم تلك الأجواء القاسية، لم تستطع كلارك ألا تبتسم لها بدورها. لطالما امتلكت تاليا هذا التأثير، حتى في تلك الأيام التي تلت القبض على كلارك وإعدام والديها، عندما تثاقل الحزن عليها حتى لم تعد قادرة على التنفس، نجحت تاليا في أن تجعلها تضحك حقًّا بتعبيرات وجهها عن ذاك الحارس الذي تحول هياجه زهوًا واختيالًا عندما لاحظ أن الفتيات كن ينظرن إليه.

أدارت تاليا رأسها ناحية ويلز، ثم همست قائلة: «أهذا هو؟».

تاليا هي الشخص الوحيد الذي يعرف كل شيء، ليس فقط بشأن والدي كلارك، بل بشأن الشيء الفظيع الذي ارتكبته كلارك.

هزت كلارك رأسها لتخبرها أنه ليس الوقت المناسب للحديث عن هذا الأمر الآن. ولكن لن تبالي تاليا بها. أوشكت كلارك أن تخبرها بأن تتوقف عن ذلك قبل أن تزأر الصواريخ الدافعة بعدما شُغِّلت، فلم تستطع الكلمات سبيلًا إلى خارج شفتيها.

هذا يعني أنه قد حدث حقًّا. للمرة الأولى خلال قرون يغادر البشر المستوطنة. حدقت إلى بقية رفاقها، وإذ بهم ملتزمون الصمت جميعًا أيضًا. كانت بمكانة لحظات صمت لا إرادية من أجل العالم الذي يتركونه من خلفهم. ولكن الهدوء لم يدم طويلًا، وامتلأت جنبات سفينة الإنزال الدقائق العشرين التالية بضجيج مئة شاب وفتاة تسيطر عليهم حمة من التوتر والحماس؛ إذ لم يخطر في ذهنهم ولو كفكرة عابرة أنهم سيذهبون إلى الأرض سوى منذ ساعات قليلة ليس إلا. حاولت تاليا أن تصبح بشيء ما لكلارك، ولكن ابتلعت الضجة كلماتها.

المحادثة الوحيدة التي تمكنت كلارك من متابعتها كانت تجري بين فتاتين تقفان أمامها، تتجادلان حول احتمالات أن الهواء على كوكب الأرض صالح للتنفس. قالت إحداهما بحزن: «إنني أفضل أن أموت على الفور على أن أقضي أيامًا بينما يقتلني الهواء المسمم ببطء».

وافقتها كلارك الرأي، ولكنها أبقت فمها مُغلَقًا؛ إذ لم يكن هناك فائدة من التكهنات، ستكون رحلتهم إلى الأرض قصيرة، وفي غضون بضع دقائق سيواجهون مصيرهم.

نظرت كلارك عبر النوافذ، التي أصبحت الآن ملبدة بالضباب والغيوم الداكنة. اصطدمت سفينة الإنزال اصطدامًا عنيفًا فجأة، فتحولت همهمات الأحاديث إلى صرخات مهتاجة.

صاح ويلز قائلًا لأول مرة منذ أغلقت الأبواب: «لا بأس، من الطبيعي أن تحدث اضطرابات جوية عندما نخترق الغلاف الجوي للأرض».

ولكن الصرخات التي تملأ جنبات السفينة غطت على كلماته.

ازدادت الاضطرابات متبوعة بأزيز غريب. انغرز حزام كلارك في معدتها عندما تمايل جسدها يمينًا وشِمالًا ثم من أعلى إلى أسفل، ثم يمينًا وشِمالًا مرة أخرى.

غَثَّت نفسها عندما ملأت أنفها رائحة زنخة، فلاحظت أن الفتاة التي أمامها قد تقيأت. اعتصرت كلارك عينيها في تقزز وحاولت أن تحافظ على هدوئها. كان كل شيء جيدًا، لن يستغرق الأمر أكثر من دقائق حتى ينتهي.

استحال الأزيز صريرًا يصم الآذان، تبعه صوت تهشم حاد. فتحت كلارك عينيها، فرأت النوافذ قد تهشمت ولم تعد مُلَبَّدَة بغيوم داكنة، بل أصبحت الآن مضطرمة بالنيران.

أخذت شظايا من المعدن الأبيض الساخن تمطر فوق رؤوسهم. رفعت كلارك ذراعيها لكي تحمي رأسها، ولكن كان لا يزال بإمكانها أن تشعر بقتات الحطام يحرق عنقها.

ازداد اهتزاز سفينة الإنزال حدة، وتمزق جزء من السقف مُصدِرًا زئيرًا وحشيًّا اصطدمت السفينة اصطدامًا عنيفًا، صحبه ارتجاجٌ شعرت به على هيئة موجات من الألم سرت عبر كل عظمة من جسدها.

ثم توقف كل شيء بالسرعة ذاتها التي بدأ بها.

عم الصمت والظلام جنبات السفينة، وانبعثت سحب كثيفة من الدخان من داخل ثقب حل محل لوحة التحكم، وامتلأ الهواء برائحة خانقة لمزيج من المعدن المنصهر والعرق والدماء.

جفلت كلارك عندما حاولت أن تحرك أصابع يديها وقدميها. شعرت بالألم، ولكن لم يبدُ أن هناك كسورا. فكت وثاق حزام الأمان ونهضت مُتَرَنِّحَةً على قدميها مستندة بيديها على المقعد المحترق لكي تبقي نفسها متزنة.

كان أغلب رفاقها لا يزالون مقيدين، ولكن إما مقلوبين على جوانبهم وإما مُمَدَّدين على الأرض. ضيقت كلارك عينيها وهي تفتش صفوف المقاعد بحثًا عن تاليا. تتسارع نبضات قلبها أكثر في كل مرة تقع عيناها على مقعد فارغ.



وهكذا، حتى أدركت كلارك حقيقة مروعة بأن بعض الركاب قد طاحوا إلى الخارج في أثناء الاصطدام.

راحت كلارك تزحف إلى الأمام وتعض على أسنانها تحت وطأة الألم الذي مزق ساقها. نجحت في الوصول إلى الباب، وأخذت تسحبه بكل ما أُتِيَت من قوة، ثم سحبت نفسًا عنيفًا إلى رئتيها وعبرت من فتحة الباب.

ظلت ثواني غير قادرة على تمييز ما يحيط بها، ترى فقط ألوانًا متماهية، بُقَعًا من الأزرق والأخضر والبني تختلط بعضها ببعض، فلم يستطع عقلها أن يميزها. هبت ريح من حولها جعلت جسدها يقشعر، وحملت إلى أنفها روائح لم تقدر كلارك على التعرف على ماهيتها. كل ما استطاعت رؤيته في البداية هو الأشجار، المئات منها، وكأن كل أشجار الكوكب قد تجمعت لكي ترحب بعودتهم إلى الأرض، بأغصانها المرفوعة عاليًا نحو السماء الزرقاء الصافية وكأنها تقيم احتفالًا. وقدت امتدت الأرض من كل اتجاه، يفوق اتساعها أوسع سطح على السفينة بعشرات المرات. بدت المساحات الشاسعة لا تُصَدَّق، وشعرت كلارك فجأة بأنها تفقد وعيها وكأنها توشك أن تطفو في الهواء.

استعادت وعيها بالأصوات من خلفها شيئًا فشيئًا، فاستدارت لترى بعضًا من رفاقها يغادرون سفينة الإنزال.

همست فتاة سمراء بينما تنحني إلى الأسفل لتمرر يدها المرتجفة على العشب الأخضر اليانع: «يا للجمال!».

تقدم فتى قصير ممتلئ الجسم بضع خطوات إلى الأمام. لقد صُمِّمَ سحب الجاذبية على المستوطنة لتُحاكي الجاذبية الأرضية. ولكن عند مُعايَشة الشيء على حقيقته، أدركوا أن تصميمهم لم يقترب من الواقع حتى.

قال الفتى بصوتٍ يحمل مزيجًا من الإرتياح والاضطراب: «كل شيء على ما يُرام هنا. كان بإمكاننا العودة منذ زمن طويل».

علقت الفتاة: « لا يمكنك أن تعرف ذلك. قدرتنا الحالية على التنفس لا تُعَدُّ دليلًا قاطعًا على أن الهواء ليس مُسَمَّمًا».

التفتت لتنظر إليه ورفعت معصمها إشارة إلى سوارها، وتابعت تقول: «لم يزودنا المجلس بهذه الأشياء للزينة؛ إنهم يريدون اختبار ما سيحدث لنا».

نشجت فتاة صغيرة كانت تحوم بالقرب من سفينة الإنزال وهي تسحب سترتها إلى الأعلى لتغطي أنفها. قالت لها كلارك وهي تجيل بصرها لترى ما إذا خرجت تاليا أم لا: «يمكنك أن تتنفسي».

تمنت لو أن لديها شيئًا مطمئنًا أكثر من ذلك لتقوله، ولكن من المستحيل لأحدهم أن يعرف مقدار الإشعاع الذي لا يزال الهواء مُشَبَّعًا به. لم يكن في وسعهم سوى الانتظار والأمل.

قال والدها وهو يدخل ذراعيه الطويلتين في معطف بدلة لم يسبق أن رأتها كلارك من قبل: «سوف نعود في أسرع وقت».

سار متجهًا إلى الأريكة التي كانت جالسة عليها شعثاء الشعر تحميل جهازها اللوحي.

- لا تبقي بالخارج حتى وقت متأخر؛ إنهم يشددون حظر التجوال كثيرًا هذه الأيام. أظن أن هناك بعض المشاكل على والدن.

قالت كلارك وهي تشير إلى قدميها العاريتين وسروال التمريض الذي ارتدته للنوم: «لَستُ ذاهبة إلى أي مكان».

لم يكن والدها بارعًا بما يكفي بالنظر إلى كونه أشهر عالم على متن المستوطنة؛ فبالرغم أنه قضى جُلَّ وقته منهمكًا في أبحاثه العلمية، كان من غير المحتمل أنه يملك أي فكرة عن أي الفتيات في عمر السادسة عشرة لا يجدن ثوب الجراحة لائقًا لكي يخرجن به هذه الأيام.

قال بلا مبالاة مقصودة كأنه قد لاحظ الأمر للتو: «على أي حال، من الأفضل ألا تبقي في المختبر».

في الحقيقة إنه يقول ذلك نحو خمس مرات في اليوم منذ أن انتقلوا إلى شقتهم الجديدة، فقد وافق المجلس على طلبهم للحصول على مختبر خاص بمواصفات خاصة؛ إذ إن المشروع الجديد الذي يعمل والداها عليه يتطلب منهم مراقبة تجاربهم العلمية طوال الليل.

قالت له كلارك بصبر بالغ: «أعدك بذلك».

أتى صوت أمها من حيث تقف أمام المرآة لتعدل من شعرها، قالت: «الأمر فقط أنه من الخطر عليكِ أن تقتربي من المواد المشعة، وخصوصًا دون المعدات اللازمة».

ظلت كلارك تكرر وعدها لهما إلى أن غادرا، وتمكنت أخيرًا من العودة إلى جهازها اللوحي. ولكنها لم تستطع أن تتوقف عن التساؤل بفتور عما ستقوله جلاس وصديقاتها إذا علمن أنها كانت تقضي ليلة الجمعة في العمل على إحدى المقالات.

بطبيعة الحال، لم تُولِ كلارك محاضرات علوم الأرض اهتمامًا، ولكن هذا التكليف المنزلي تحديدًا استرعى اهتمامها؛ فبدلًا من الأبحاث المعتادة عن

النظرة المتغيرة إلى الطبيعة في شعر عصر ما قبل الكارثة، طلب منهم معلمهم مقارنة بين أوجه الشبه والاختلاف في أدب جنون مصاصي الدماء في القرن الثامن عشر والقرن الحادي والعشرين.

على الرغم من أن الموضوع كان مثيرًا للاهتمام، فإنها لا بد أن النوم قد غلبها بعض الوقت؛ لأنها عندما نهضت وجدت أضواء الساعة البيولوجية قد خفتت، وامتلأت غرفة المعيشة بالظلال. نهضت واقفة وأوشكت أن تتوجه إلى غرفة نومها، عندما انطلق صوتٌ عالٍ شَقَّ الصمت. تجمدت كلارك في مكانها؛ إذ بدا الصوت وكأن أحدهم يصرخ. تنفست بعمق لتتجاهل الأمر، مُفَكِّرَةً في أن عليها ألا تقرأ مجددًا في أدب مصاصي الدماء قبل أن تخلد إلى النوم.

التفتت كلارك وسارت عبر الردهة، ولكن الصوت تردد صداه مرة أخرى؛ صرخات معذبة اقشعر لها بدنها.

وبّخت كلارك نفسها: *توقفي عن ذلك!*

لم تكن لتنجح في أن تصبح طبيبة قط إن سمحت لعقلها بأن يخدعها بألاعيبه. إنها ببساطة لم تعتد بعد الظلام في الشقة الجديدة، وسيعود كل شيء إلى طبيعته في الصباح. مررت كلارك راحة يدها أمام ماسح البصمة على باب غرفتها وأوشكت أن تدخل، إلا إن الصوت أوقفها مجددًا في مكانها. صوت أنين معذب.

انتفضت كلارك، واستدارت وأخذت تسير عبر الردهة الطويلة التي تقود إلى المختبر بينما يخفق قلبها بقوة. كانت ثمة لوحة مفاتيح بدلًا من ماسح شبكية العين. مررت كلارك أصابعها على اللوحة، وأخذت تفكر ثواني كما لو أن بإمكانها أن تخمن كلمة المرور، حتى انتهى بها الأمر إلى أن جثت على الأرض وألصقت أذنها بالباب.

اهتز الباب بينما يتردد الصوت مجددًا عبر أذن كلارك. كادت أنفاسها تتوقف. هذا مستحيل. ولكن عندما تكرر الصوت مجددًا، بدا أوضح كثيرًا عن ذي قبل. لم يكن مجرد صراخ معذب فقط، بل كلمة.

- أرجوك؟

أسرعت كلارك إلى لوحة المفاتيح وراحت تدخل أول شيء جاء في رأسها: بانجي. كان ذلك هو الرمز الذي استخدمته والدتها لحفظ ملفاتها الخاصة. أصدرت الشاشة صوتًا وظهرت رسالة بأن الرمز خاطئ. حاولت مجددًا، وأدخلت: إليسيوم؛ اسم المدينة الخيالية التي تقع تحت الأرض في حكايات قبل النوم التي يرويها الآباء لأطفالهم. اتخذ منها البشر ملجأ بعد الكارثة. تذمرت الشاشة معلنة عن محاولة فاشلة أخرى. اعتصرت كلارك ذاكرتها بحثًا عن كلمات قد تفلح. حركت أصابعها على اللوحة مرة أخرى: لوسي؛ اسم أقدم بقايا بشرية لإنسان وُلِدَ على كوكب الأرض اكتشفها علماء الآثار على مر العصور. توالت صافرات المحاولات غير الموفقة قبل أن يُفتَحَ الباب أخيرًا. كان المختبر أكبر كثيرًا مما تخيلته؛ أوسع من شقتهم بأكملها، وملآنًا بصفوف من الأسِرَّة الصغيرة كتلك التي بالمشفى.

أخذت كلارك تحدق بعينين ذاهلتين وهي تُجيلُ بصرها بين الأسِرَّة. يحمل كل سرير طفلًا. كان الأطفال جميعهم نائمين كلٌّ على سريره في سكون، مثبتين إلى شاشات طبية عديدة، وأعمدة حمل محاليل وريدية، بينما أُسنِدَت ظهور بعضهم بواسطة وسائد، ويلتهي كل منهم بجهاز لوحي في حجره. كانت هناك طفلة واحدة وبدت وكأنها تعلمت المشي لتوها، تجلس على الأرض بالقرب من سريرها وتلهو بدب محشو رديء وممزق، بينما يمر سائل شفاف عبر أنبوب محاليل إلى ذراعها.

تصارع عقل كلارك بحثًا عن تفسير منطقي. لا بد أن أولئك أطفال مرضى في حاجة إلى الرعاية على مدار الساعة، أو ربما يعانون مرضًا نادرًا من نوع ما

وحدها أمها من تعلم كيفية علاجه، أو ربما كان والدها بصدد اختراع علاج جديد تطلب منه دراسة من قرب. لا بد أنهم توقعوا أن كلارك سينتابها الفضول، ولكن بما أنه مَرَضٌ مُعدٍ، فعلى الأرجح لم يخبراها من أجل حمايتها.

تردد النحيب الذي سمعته كلارك من شقتها مجددًا، ولكن بصوت أعلى هذه المرة، فتبعته إلى أحد الأسرة في الجانب الآخر من المختبر.

استلقت فتاة في مثل عمرها -ولاحظت كلارك أنها أكبر من في الغرفة سنًّا- على ظهرها، يتناثر شعرها الأشقر الداكن على وسادتها وحول وجهها الذي يشبه القلب. راحت الفتاة تحدق إلى كلارك ثواني، ثم قالت بصوت مرتجف: «أرجوكِ ساعديني».

نظرت كلارك إلى البطاقة على الشاشة الطبية الخاصة بالفتاة: «المادة 121».

سألتها كلارك: «ما اسمكِ؟».

- ليلي.

ظلت كلارك جامدة في مكانها، ولكن عندما أرجعت ليلي ظهرها إلى الخلف، تقدمت كلارك وجلست على السرير بجانبها. لقد بدأ تدريبها الطبي مؤخرًا، ولم تتعامل مع المرضى مباشرة بعد، ولكنها تعلمت أن الجلوس على السرير بجانب المريض يُعَدُّ من أهم أساليب كونها طبيبة.

طمأنتها قائلة: «أنا متأكدة من أنك ستعودين إلى بيتكِ قريبً، ما إن تتحسن حالتك».

ضمت الفتاة ساقيها إلى صدرها ودفنت رأسها بداخلهما، وتمتمت بشيء ما لم تتمكن كلارك من أن تسمعه، فسألتها: «ماذا كان ذلك؟».

راحت تنظر إلى ما حولها متسائلة لماذا لا يوجد ممرضة أو طبيب متدرب ليحل محل أبويها، فلن يكون هناك أحد ليساعد أولئك الأطفال لو حدث شيء لهم.

رفعت الفتاة رأسها إلى الأعلى، ولكنها أشاحت بنظرها بعيدًا عن كلارك. أخذت تعض شفتيها، بينما اغرورقت عيناها بالدموع مخلفةً فراغًا ثقيلًا في أثرها.

همست عندما تكلمت أخيرًا قائلة: «لا أحد يتحسن أبدًا».

كبحت كلارك رجفتها. إن الأمراض نادرة الحدوث على السفينة؛ إذ لم تظهر أي أوبئة منذ التفشي الأخير الذي تمكنوا من احتوائه على متن والدن. فتشت كلارك المختبر لكي تجد أي شيء يشير إلى ماهية المرض الذي يعالجه أبواها. وقعت عيناها على شاشة هائلة على حائط بعيد، تُعرَض عليها المعلومات في هيئة رسم بياني كبير:

المادة 32. العمر 7. اليوم 189. 3،4 جراي. كرات الدم الحمراء. كرات الدم البيضاء. النبض. المادة 33. العمر 11. اليوم 298. 6 جراي. كرات الدم الحمراء. كرات الدم البيضاء. النبض.

لم تفهم كلارك شيئًا مما تعنيه تلك البيانات لي البداية، من المنطقي للغاية أن يقوم والداها بمراقبة التطورات الحيوية للأطفال المرضى بكي يعتنوا بهم، عدا وحدة قياس الإشعاع، كانت تعرف ذلك من بدون شك؛ إذ قضى والداها سنوات يُجريان أبحاثًا عن التأثيرات التي يحدثها التعرض للإشعاع، وعُدَّ ذلك جزءًا من مهمة مستمرة لتحديد الوقت الذي سيتمكن البشر من أن يعودوا فيه إلى الأرض بسلام مجددًا.

استقرت عينا كلارك المشدوهتان على وجه ليلي الشاحب، بينما خرجت فكرة مرعبة من جحر مظلم في خبايا عقلها. حاولت أن تتجاهلها، ولكنها اعتصرت

قدرتها على إنكارها كالحية، حتى شلت كل الأفكار عدا حقيقة واحدة مرعبة إلى أقصى حد. شعرت كلارك وكأنها تختنق.

لم تعد أبحاث أبويها تقتصر على المزارع الخلوية فحسب؛ لقد نقلوها لكي تتم على البشر. لم يكن أبوها وأمها يعالجان هؤلاء الأطفال، بل كانا يقتلانهم.

لقد هبطوا في بقعة أشبه بغابة؛ مساحة على شكل حرف «ل» تحدها الأشجار من كل اتجاه.

لم يكن هناك العديد من الجروح البالغة. رغم ذلك، كان هناك ما يكفي منها لكي تبقي كلارك منشغلة؛ فقد ظلت ما يقرب من الساعة تستخدم خرقًا ممزقة من أكمام السترات وأرجل السراويل بديلًا للضمادات، وطلبت ممن لديهم كسور في العظام أن يستَلْقوا وينتظروا حتى تخترع لهم جبائر بطريقة ما. لقد تبعثرت إمداداتهم على العشب. ولكن رغم أنها أرسلت عدة أشخاص للبحث عن صندوق الإسعافات، فإنهم لم يتمكنوا من العثور عليه.

رست سفينة الإنزال المُحَطَّمة في الفتحة الضيقة من الغابة، وقد اضطر الركاب إلى أن يعبروا حول الحطام المشتعل أول ربع ساعة، يسيطر عليهم الرعب أن تزل أقدامهم خلال خطواتهم القليلة المرتعشة. ولكنهم أصبحوا الآن يتسكعون هنا وهناك بلا هدى. لم تتمكن كلارك من العثور على تاليا، ولا ويلز، ولكنها لم تكن واثقة ما إن كانت قلقة أم مرتاحة لذلك الأمر، ربما كان بصحبة جلاس. لم تَرَها كلارك على متن سفينة الإنزال، ولكن لت بد أنها في مكان ما هنا.

سألت كلارك وقد انتبهت مجددًا إلى تضميد كاحل متورم لفتاة جميلة ذات عينين واسعتين وشريط أحمر محترق على شعرها الداكن: «كيف تشعرين الآن؟».

مسحت الفتاة أنفها بيدها فتلطخت دون قصد بدماء جرح على وجهها، وأجابتها: «أفضل».

أدركت كلارك أن عليها العثور على ضمادات ومطهرات حقيقية؛ لقد تعرضوا جميعًا لجراثيم لم تواجهها أجسامهم من قبل، وقد تصيبهم بعدوى خطيرة.

- سأعود على الفور.

ابتسمت لها ابتسامة صغيرة ونهضت واقفة. لو لم يكن صندوق الإسعافات في الغابة، فهذا يعني أنه على الأرجح لا يزال في السفينة. أسرعت متجهة إلى الحُطام الذي ما زال يتصاعد منه الدخان. سارت حول مكان بحثًا عن أكثر طريق آمن يُمَكِّنُها من العودة إلى الداخل. تمكنت من الوصول إلى ظهر السفينة، والذي يبعد بضعة أمتار فقط عن حد الأشجار.

وارتجفت خوفًا؛ إذ إن معظم الأشجار كانت كثيفة للغاية في هذا الجانب من الغابة، لدرجة أنها حجبت معظم الضوء لتتكون ظلال متشابكة على الأرض التي تبعثرت إثر هبوب الرياح.

ضيقت عينيها بينما تركز على شيء ما لم يتحرك. لم يكن ظِلًّا.

كانت هناك فتاة ترقد على الأرض بجوار جذوع إحدى الأشجار في سكون تام. لا بد أنها أُلقِيَت إلى الخارج من مؤخرة سفينة الإنزال في أثناء الهبوط. تقدمت كلارك نحوها، وشهقت مُنتَحِبَةً عندما لاحظت شعر الفتاة القصير المجعد وحبيبات النمش المبعثرة على أنفها وخَدَّيها؛ لقد كانت تاليا.

هرعت كلارك وجثت على ركبتيها بجانبها. أخذت الدماء تتدفق بغزارة من جرحٍ من جانب ضلوعها، مكونةً بركة من الدم القاتم على العشب أسفلها وكأن الأرض هي من كانت تنزف. كانت تاليا تتنفس، ولكن أنفاسًا قصيرة متقطعة. أمسكت كلارك بيد صديقتها الواهنة وهمست لها وسط الرياح التي تهب من حولهما: «سيكون كل شيء على ما يُرام، أعدكِ يا تاليا. سيكون كل شيء على ما يُرام».

بدت كلماتها وكأنها تصلي أكثر من كونها تُطمئنها، على الرغم من أنها لم تكن واثقة مَنْ الذي ترسل إليه صلواتها. لقد هاجر البشر من الأرض في أكثر أوقاتها سوادًا، ولن تكترث بعدد الذين يموتون في محاولة الرجوع إليها.

بعد فترة قصيرة من توقيف كلارك. ولكن لم تفلح المرات العديدة التي ضغط فيها على والده، ولم يتسنَّ لويلز أن يعرف ما فعلته قط. تمنى لو أنه يعرف السبب وراء عدم اختيارها ضمن فريق البعثة. ورغم محاولاته لكي يقنع نفسه بأنه ربما تم العفو عنها، فإن الأمر الأكثر ترجيحاً أنها ما زالت في السجن، تَعُدُّ الأيام القليلة الباقية على يوم ميلادها الثامن عشر. شعر بألم يعتصر معدته تحت وطأة الفكرة.

- أتساءل ما إذا كان المستشار الصغير يظن أن له الحق في أن يحصل على الطعام أولًا.

رمى أحد فتيان أركاديا هذا السؤال. كانت جيوبه ممتلئة بحصص الإعاشة التي جمعها في أثناء الهياج والفوضى بعد اصطدام السفينة. لاحظ ويلز أنهم أرسلوا بهم إلى الأرض بمؤنة تكفي أقل من شهر، وبالتالي ستختفي بسرعة البرق لو استمر الناس في وضع كل شيء يجدونه في جيوبهم. ولكن لم يكن ذلك أمرًا معقولاً؛ إذ لا بد من أن هناك المزيد من حاويات الطعام في مكان ما، وسوف يعثرون عليها ما إن ينتهوا من تفتيش حطام السفينة.

أضافت فتاة ضئيلة ذات ندبة على جبتها تقول متهكمة: «أو ربما ينتظر منا أن نعد له السرير».

لم يقم ويلز لهما وزنًا، وراح يحدق إلى السماء اللانهائية شديدة الزرقة. لقد كانت مذهلة حقّاً. حتى على الرغم من أنه رأى صورًا لها، فإنه لم يتخيل قط أن لونها بهذا الجمال. بدا له الأمر في غاية الغرابة أن يفكر في أن غطاءً أزرق يتكون بصورة أساسية من كريستالات النيتروجين وأشعة ضوء منكسر قادر على أن يُنسِيَه بحر النجوم، والعالم الوحيد الذي عرفه طوال حياته. آلمَه قلبه من أجل أولئك الثلاثة الذين لم يتمكنوا من النجاة بما يكفي لكي يشهدوا هذه المناظر البديعة، وما زالت أجسادهم ترقد في الجانب الآخر من سفينة الإنزال.

قال أحد الفتيان متهكماً: «سرير؟ أخبريني أين لنا أن نجد سريراً في مكان كهذا».

بعد فترة قصيرة من توقيف كلارك. ولكن لم تفلح المرات العديدة التي ضغط فيها على والده، ولم يتسنَّ لويلز أن يعرف ما فعلته قط. تمنى لو أنه يعرف السبب وراء عدم اختيارها ضمن فريق البعثة. ورغم محاولاته لكي يقنع نفسه بأنه ربما تم العفو عنها، فإن الأمر الأكثر ترجيحاً أنها ما زالت في السجن، تَعُدُّ الأيام القليلة الباقية على يوم ميلادها الثامن عشر. شعر بألم يعتصر معدته تحت وطأة الفكرة.

- أتساءل ما إذا كان المستشار الصغير يظن أن له الحق في أن يحصل على الطعام أولًا.

رمى أحد فتيان أركاديا هذا السؤال. كانت جيوبه ممتلئة بحصص الإعاشة التي جمعها في أثناء الهياج والفوضى بعد اصطدام السفينة. لاحظ ويلز أنهم أرسلوا بهم إلى الأرض بمؤنة تكفي أقل من شهر، وبالتالي ستختفي بسرعة البرق لو استمر الناس في وضع كل شيء يجدونه في جيوبهم. ولكن لم يكن ذلك أمرًا

معقولاً؛ إذ لا بد من أن هناك المزيد من حاويات الطعام في مكان ما، وسوف يعثرون عليها ما إن ينتهوا من تفتيش حطام السفينة.

أضافت فتاة ضئيلة ذات ندبة على جبتها تقول متهكمة: «أو ربما ينتظر منا أن نعد له السرير».

لم يقم ويلز لهما وزنًا، وراح يحدق إلى السماء اللانهائية شديدة الزرقة. لقد كانت مذهلة حقّاً. حتى على الرغم من أنه رأى صورًا لها، فإنه لم يتخيل قط أن لونها بهذا الجمال. بدا له الأمر في غاية الغرابة أن يفكر في أن غطاءً أزرق يتكون بصورة أساسية من كريستالات النيتروجين وأشعة ضوء منكسر قادر على أن يُنسِيَه بحر النجوم، والعالم الوحيد الذي عرفه طوال حياته. آلمَه قلبه من أجل أولئك الثلاثة الذين لم يتمكنوا من النجاة بما يكفي لكي يشهدوا هذه المناظر البديعة، وما زالت أجسادهم ترقد في الجانب الآخر من سفينة الإنزال.

قال أحد الفتيان متهكماً: «سرير؟ أخبريني أين لنا أن نجد سريراً في مكان كهذا».

سألت الفتاة ذات الندبة وهي تجيل بصرها في أنحاء الغابة كأنها تتوقع أن يظهر مهجع نوم في مكان ما بطريقة سحرية: «إذن أين يفترض بنا أن ننام بحق الجحيم؟».

تنحنح ويلز وراح يقول: «لدينا خيام ضمن الإمدادات. نحتاج فقط إلى أن ننتهي من التنقيب بداخل الحاويات لكي نجمعها كلها. ينبغي لنا في الوقت الحالي أن نرسل بعضاً منا للبحث عن مصدر للماء لكي يتسنى لنا أن نعرف أين سننصب المخيم».

تظاهرت الفتاة بأنها تجيل بصرها من جانب إلى آخر في سخرية، وقالت لتحرض مزيدا من المتهكمين: «المكان هنا يروق لي».



حاول ويلز جاهدا أن يحافظ على هدوئه، وقال: «ما أعنيه هو أننا لو كنا بالقرب من نهر أو بحيرة، فسوف يكون من السهل علينا أن....».

قاطع صوت هادئ حديثه: «كم هذا رائع! لقد لحقت بالمحاضرة في وقتها».

نظر ويلز إلى الجانب فرأى فتى يُدعى جراهام يسير باتجاهه. لقد كان الشخص الوحيد غير ويلز وكلارك من سكان فينيكس. ولكن اتضح أن جراهام كان يعرف معظم فتيان والدن وأركاديا بأسمائهم، وجميعهم يعاملونه بقدر لا يصدق من الاحترام. لم يستطع ويلز أن يتخيل الشيء الذي فعله لكي يستحقه.

- لم أكن ألقي محاضرة على أي أحد، إنني فقط أحاول أن أبقينا على قيد الحياة.

رفع جراهام حاجباً وقال: «هذا مُثير للاهتمام حقّاً، مع الأخذ في الاعتبار أن أباك اعتاد الحكم على أصدقائنا بالموت. ولكن لا عليك، أعرف أنك في صفنا».

ابتسم لويلز، وسأله: «أليس هذا صحيحًا؟».

نظر ويلز إليه بتحد، ثم أومأ بحزم وقال: «بالطبع».

عاد جراهام يقول بلهجة ودودة لم تتماش مطلقا مع النظرات العدائية التي تلمع بها عيناه: «إذن فلتخبرنا، ما الجريمة التي ارتكبتها؟».

حاول ويلز أن يصطنع ابتسامة غامضة، وسأله: «ليس ذلك بسؤال مهذب كثيراً، أليس كذلك؟».

أجابه جراهام بوجه يتجلى على صفحته تعبير مستهزئ: «آسف جدّاً. عليك أن تسامحني، إنك ترى، فعندما يقضي المرء آخر ٨٤٧ يوماً من حياته محبوساً في قاع السفينة، يحدث له أن ينسى آداب الحديث على متن فينيكس».

سأله ويلز مكَرِّراً: «847 يوماً؟ أظن أن بإمكاننا أن نقول إنك لم تسجن لأنك أخطأت في عد الأدوية التي على الأرجح سرقتها من المخازن».

قال جراهام وهو يتقدم خطوة باتجاه ويلز: «كلا، ليس كذلك».

عم صمتٌ مُباغت بين الحشد، واستطاع ويلز أن يرى بعض الأشخاص يضطربون في عدم ارتياح، بينما يقترب آخرون في تحفز. تابع جراهام يقول: «لقد سُجنت لأنني قَتَلت».

أحكم كلٌّ منهما النظر إلى عيني الآخر مباشرة، وحرص ويلز على أن يبقى وجهه خالياً من أي تعبير، رافضاً أن يرضي غرور جراهام برؤية الصدمة على وجهه. قال بلا مبالاة: «حقّاً؟ ومن ذا الذي قتلته؟».

ابتسم جراهام ببرود، وأجابه قائلًا: «لو أنك قضيت بعض الوقت مع بقيتنا لكنت عرفت أن ذلك لا يعد سؤالاً مهذباً كثيراً».

ساد صمتٌ متوتر ثواني قبل أن يغير جراهام مجرى الحديث قائلاً: «ولكنني أعلم بالفعل ما فعلته أنت على أي حال؛ فالكلام ينتقل سريعا عندما يسجن ابن المستشار. أمور لن تستطيع أن تقر بها، ولكن الآن، بما أننا نثرثر ونتسلى، ربما يمكنك إخبارنا ما الذي تفعله هنا بالضبط. ربما يمكنك أن تفسر لنا لماذا يحكم على الكثير من أصدقائنا بالإعدام دائما بعد محاكمتهم». لم يتخل جراهام عن ابتسامته،

لم يتخلَّ جراهام عن ابتسامته، ولكن صوته استحال هادئاً ومخيفاً: «ولِمَ الآن بالذات؟ ما الذي دفع والدك إلى أن يقرر إرسالنا إلى الأرض فجأة؟».

أبوه مجدداً. لقد أنهك ويلز نفسه طوال اليوم بوجوده المرة الأولى على كوكب الأرض، حتى تمكن تقريباً من أن يقنع نفسه أن ما رآه في حجرة الإقلاع -دوي

إطلاق النار، والدماء القاتمة التي تدفقت من صدر والده- كان مجرد حلم بشع.

قال جراهام ضاحكاً وافتعل تحية عسكرية ساخرة: «بالطبع لن يخبرنا، أليس كذلك أيها الجندي؟».

أخذ فتيان أركاديا ووالدن يراقبون جراهام وهو يهاجم ويلز متحفزاً، وقد ازدادت نظراتهم حدّة اقشعر جسد ويلز تحت وطأتها. لقد كان يعلم ما يجري بالطبع؛ يعلم لماذا يُعدم الكثير من المراهقين ما إن يبلغوا الثامنة عشرة لارتكابهم جرائم كان يتم العفو عنها فيما مضى، ولماذا اتُّخذ القرار بشأن المهمة وتم تنفيذه بهذه السرعة الهائلة دون أن يمنحوا أنفسهم وقتاً كافيًا لدراستها كما يجب.

كان يعلم أفضل من الجميع، لأن الأمر برمته كان ذنبه. سأل فتى لم يبدُ عليه أنه أكبر من اثني عشر عاماً: «متى سيمكننا العودة إلى الوطن؟».

شعر ويلز بموجة غير متوقعة من الشفقة على أم الفتى مفطورة القلب التي لا تزال في مكان ما على متن السفينة ليس لديها أية فكرة عن ابنها الذي ألقي به عبرا الفضاء إلى كوكب قد هجره الجنس البشري منذ قرون.

أجابه ويلز مُضيفاً ما استطاع من الصدق في لهجته: «هذا هو وطننا بالفعل».

لو أنه استمر في تكرار ذلك بما يكفي، فلربما تمكن هو نفسه من أن يصدقه.

كاد يفوت حضور الحفل الموسيقى ذاك العام. لطالما كانت تلك هي المناسبة المفضلة لديه؛ إذ يتم إخراج الأثر الموسيقي القديم والوحيد من غرفة التخزين المعزولة عن الأكسجين. بدت مشاهدة المؤدين -الذين قضوا جُلَّ وقتهم

يتدربون على أنظمة المحاكاة- وهم يعزفون النوتات الموسيقية لتلك الكلاسيكيات العتيقة على أوتارهم وكأنها البعث بعد الموت. استطاعت الآلات الموسيقية الوحيدة التي تبقت في الكون بأكمله -والتي صُنِعَت والتَحَمَت أجزاؤها بأيد قد ماتت منذ زمن سحيق- أن تحاكي الأنغام الصادحة ذاتها التي تردد صداها ذات يوم في مسارح الحضارات القديمة. وفي هذا اليوم من كل عام، تمتلئ جنبات قاعة عدن بأنغام موسيقية ظلت باقية منذ عهد البشر على كوكب الأرض.

ولكن ما إن دخل ويلز إلى الصالة البيضاوية الواسعة التي تحتوي في أحد جوانبها على نافذة بانورامية كبيرة، حتى شعر بكل الحزن الذي أنهك جسده طيلة الأسبوع الماضي يتجمع كتلة واحدة في معدته. لقد اعتاد أن يجد المنظر في غاية البهاء والجمال، ولكن في تلك الليلة، ذكرته النجوم المتوهجة أحاطت بكوكب الأرض المسجو بالغيوم بشموع الجنائز. كانت والدته التي تحب الموسيقى.

كان الحفل مزدحماً كالعادة بضجيج سكان فينيكس المتحمسين. وقد حرصت العديد من النساء على ارتداء الفساتين الجديدة، وقطع الملابس الثمينة والفاخرة بشكل مبالغ فيه. ويعتمد ذلك على أنواع الأقمشة التي يعثرن عليها في نفايات قسم المقايضة. تقدم ويلز بضع خطوات إلى الأمام، مُثيراً موجات من الهمس واللمز والنظرات المترقبة بين الجموع.

حاول ويلز أن يركز على مدخل الغرفة، حيث تجمعت الفرقة الموسيقية أسفل شجرة عدن التي سُمِّيت القاعة باسمها. تقول الأسطورة إن تلك الشجيرة قد نجت بمعجزة من حريق أمريكا الشمالية، وحُمِلت على متن فينيكس قبل النزوح الجماعي مباشرة. وقد أصبحت الآن بارتفاع القاعة، وتمتد فروعها الهيفاء حتى أكثر من عشرة أمتار في كل اتجاه، تحيط بالعازفين كسرادق من الأوراق، حتى لفَّتهم كحجاب من الظلال المخضبة باللون الأخضر.

سألت امرأة تقف خلفه: «أليس هذا ابن المستشار؟».

تدفقت موجة أخرى من الدماء الساخنة إلى خديه المحتقنين بالفعل، لم يعتد قط ذيل المُذَنَّب المكون من نظرات الناس المترقبة والفضولية الذي يجره خلفه على الدوام. ولكن الليلة بالذات كان لا يُحتَمَل.

التفت وراح يمشي باتجاه الباب، ولكنه تجمد في مكانه عندما أمسكت يد بذراعه. التفت منتفضاً ورأى كلارك تنظر إليه مُستَفهِمة، سألته: «إلى أين تهرب هكذا؟».

افتعل ويلز ابتسامة وأجابها: «اكتشفت أنني لستُ في مزاج لسماع الموسيقى».

نظرت كلارك إلى عينيه ثواني، ثم أمسكت بيده.

أخذ الضوء يخفت شيئاً فشيئاً، والنار ترتعش على الوجوه التي تحيط بويلز. قال مخاطباً الجمع: «أعلم أن كل هذا يبدو غريباً ومخيفاً، وأجل، غير عادل، ولكننا موجودون هنا لسبب ما، لو نجونا نحن، فسينجو الجميع».

التفتت نحوه مئة رأس تقريباً، فظن وهلةً أنه ربما تمكنت كلماته من العبور من خلال طبقات الازدراء والتجاهل المتحجرة بينهم وبينه، ولكن ما لبث أن قطع الصمت صوت أحدهم قائلا: «على رسلك يا جاها».

التفت ويلز وهو جالس، فرأى فتى طويلاً يرتدي زيّاً عسكريّاً ملطّخًا بالدماء. كان الفتى نفسه الذي اخترق سفينة الإنزال، والذي اتخذ والد ويلز رهينة.

- ما زالت الأرض في فترة النقاهة، لا نعلم قدر الهراء الذي يمكنها تحمل سماعه.

انطلقت موجة أخرى من الضحكات والسخرية، فبعثت بداخل ويلز سورة مفاجئة وحادة من الغضب؛ فبسبب هذا المراهق، أصيب أبوه -الشخص الذي يتولى مسؤولية حماية العرق البشري بأكمله- بطلق ناري، ولم يزل يجرؤ على الوقوف هكذا واتهام ويلز بأن ما يقوله يعد هراء؟

قال ويلز بينما يرفع ذقنه ليحدج الفتى بنظرة ضابط ثاقبة: «معذرةً؟»..

- فلتضع حدًّا لهذه المهزلة، حسناً؟ فقط قل ما تريد قوله؛ إننا لو فعلنا بالضبط ما تقوله فلن تشكونا إلى أبيك.

ضيق ويلز عينيه وقال في غضب: «إن والدي قد يكون راقدا في المشفى الآن، والفضل كله يرجع إليك».

أضاف قائلًا في نفسه إن أباه يتلقى أفضل رعاية ممكنة، وإنه في ويلز طريقه إلى الشفاء العاجل، وتمنى لو أن ذلك كان صحيحاً.

قاطعه جراهام ضاحكا: «هذا لو كان لا يزال على قيد الحياة أصلًا».

شعر ويلز ثانيةً أنه لمح الفتى الآخر يجفل. تقدم ويلز خطوة إلى الأمام، ولكن صاح صوت آخر من بين الحشد مستوقفا إياه: «أهذا يعني أنك لست يعني جاسوساً؟».

قال ويلز وكاد أن يضحك على الاتهام: «جاسوساً؟».

أجابه الحارس المحتال مؤكداً: «أجل، تتجسس علينا تماماً مثلما تفعل تلك الأساور».

نظر ويلز إلى ذاك الفتى في الزي العسكري الذي يكاد يتفتق على جسده مليا. هل أخبره أحد بأمر تلك الأساور؟ أم إنه اكتشف ذلك بمفرده؟ قال له متجاهلاً



حديثه عن أجهزة الإرسال الحيوي: «لو أراد المجلس أن يتجسس عليكم، ألا تظن أنه كان سيختار شخصاً لن يكشف أمره بسهولة إلى هذا الحد؟».

قال الفتى ذو الزي الملطخ بالدماء ساخراً: «يمكننا أن نناقش مزايا وعيوب حكم والدك في وقت لاحق. والآن، يكفي أن تخبرنا فقط، لو لم تكن جاسوسا، ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟ من المستحيل أن يصدق أي واحد منا أنك كنت مسجوناً حقّاً».

قال له ويلز بلهجة لا تحمل شيئاً سوى الندم: «أنا آسف، ولكنك أنت من ظهر فجأة منتحلا شخصية حارس، واتخذت أبي رهينة لكي تقتحم السفينة، لذا، أظن أنك من تدين لنا بتفسير».

ضيق الفتى عينيه وقال: «لقد فعلتُ ما وجب عليَّ فعله لكي أحمي أختي».

قال ويلز متسائلًا: «أختك؟».

لقد اعتاد شعب والدن أن يخرقوا قوانين تنظيم السكان أكثر من فينيكس، ولكن لم يسبق أن سمع ويلز بأن أحدا أصبح لديه شقيق من قبل، ليس منذ الكارثة الكبرى.

- هذا صحيح.

شبك الفتى ذراعيه ببعضهما ونظر إلى عيني ويلز متحدياً وتابع: «والآن، سوف أسألك مجدداً، ومرةً واحدة. ما الذي تفعله هنا؟».

تقدم ويلز خطوة نحوه. لم يكن عليه أن يشرح أي شيء لأي أحد، وخصوصاً لهذا المجرم، الذي من المُحتَمل أنه يكذب بشأن أن له أختاً. ومن يدري ماذا أيضاً؟ ولكنه لمح حينها حركة سريعة بزاوية عينه. كانت كلارك متجهة إلى الحريق على الطرف الآخر من الغابة، حيث كانت تعتني بالركاب المصابين.

التفت ويلز مجدداً إلى الفتى الطويل وزفر محاولاً كبح جماح غضبه، وقال: «إنني هنا للسبب نفسه الذي أنت هنا من أجله».

توجهت عيناه ناحية كلارك، التي ما زالت بعيدة عن مسمعهما، وأردف قائلًا: «لقد تعمدت أن يتم توقيفي لكي أحمي شخصاً أهتم بشأنه».

ساد الصمت بين الجمع، فأولاهم ويلز ظهره وسار دون أن يكترث إذا ما تبعته أعينهم، بينما يشق طريقه متجها إلى كلارك.

ارتبك لدى رؤيتها ثواني، إذ تغير ضوء الغابة عندما ازدادت السماء ظلمة، مما جعل الرقطات الذهبية في عينيها الخضراوين تظهر وتلمع. بدت أكثر جمالاً على الأرض عما رآها في أي وقت مضى.

تبادلت أعينهما النظر مباشرة ثواني، فسرت قشعريرة في أوصاله، لقد كان قادرا على أن يعرف ما تفكر فيه بمجرد أن ينظر إليها، ولكن النظرة التي على وجهها الآن لم يستطع أن يفهم كنهها.

سألته كلارك بصوت مرتعش وواهن: «ما الذي تفعله هنا يا ويلز؟».

قال ويلز في نفسه: *إنها لا تزال تحت وطأة الصدمة، وأجهد عقله في محاولة ألا يفلت التفسير السخيف الذي لديه*. قال بصوت حان: «لقد جئتُ من أجلك».

ظهر على وجهها تعبير استطاع أن ينفذ خلال كل الحواجز؛ مزيجٌ من الحزن، والاضطراب، والشفقة، وتمكن من أن يسافر من عيني كلارك لينفذ مباشرة إلى داخل قلبه.

- ليتك لم تفعل.

ثم زفرت ومضت مبتعدة عنه دون أن تنظر إليه.

أطبقت كلماتها على صدره حتى شعر أنه يختنق. وظل ويلز ثواني كل ما يفكر فيه هو أن يتذكر كيف له أن يتنفس. بعد ذلك، سمع همهمات مختلطة آتية من حلقة النار من خلفه. التفت في فضول رغماً عن إرادته، فرأى الجميع يشيرون إلى السماء بالأعلى، والتي أخذت تستحيل إلى سيمفونية متناغمة من الألوان.

في البداية ظهرت خطوط برتقالية اختلطت مع زرقة السماء وكأن مزماراً ينضم إلى ناي يعزف منفرداً ليصبحا ثنائيّاً متناغمًا. وأخذ هذا التناغم في الازدياد تدريجيا عندما دخل اللون الأصفر ثم الوردي، ضامين صوتيهما إلى الكورال. عَسعَسَ الليل، فازدادت خطوط الألوان المصطفة في تناغم حدة وإنصافاً. لم تكن كلمة غروب الشمس قادرة على أن تعبر بما يكفي عن هذا الجمال من فوقهم، ووجد ويلز -للمرة المليون منذ وطئت أقدامهم الأرض- أن الكلمات التي تعلموها في أوصاف الأرض باتت باهتة وخالية من المعنى في حضرة الحقيقة.

حتى كلارك التي لم تتوقف عن الحركة منذ الاصطدام، وقفت متجمّدة أثناء سيرها، ووجهت رأسها إلى الأعلى لتتمكن من تقدير المعجزة التي تحدث فوق رؤوسهم حق قدرها. لم يكن ويلز في حاجة إلى أن يرى وجهها لكي يعلم أن عينيها قد اتسعتا أمام المنظر المهيب. وشهقت فاغرة فمها تشاهد شيئاً كانت ستراه فقط في أحلامها. صحح ويلز لنفسه: كانوا جميعاً سيرونه فقط في أحلامهم. أشاح بنظره بعيداً، غير قادر على أن ينظر إلى السماء أكثر من ذلك تحت وطأة الألم الذي أخذ يزداد ويتكاثف بداخل صدره. لقد كان ذلك أول غروب للشمس يشهده البشر منذ ثلاثة قرون، وكان هو يراه بمفرده.

الفصل السابع

بيلامي

ثبت بيلامي عينيه المغمضتين نصف إغماضة على منظر الغروب.. لطالما اعتقد أن أولئك الشعراء القدماء كانوا بُلَهاء وحمقى، أو على الأقل يتعاطون مخدرات أفضل من تلك التي تعاطاها طوال حياته، ولكن اتضح أنهم كانوا محقين. بدا ضرباً من الجنون أن يشاهد السماء تستحيل من الأسود إلى الرمادي، ثم بعد ذلك تتفجر في خيوط من الألوان المتناغمة. لم يشعر أنه يرغب في الغناء أو شيء من هذا القبيل. ولكن رغم كل شيء، لم يكن بيلامي يوماً من النوع المحب للفنون.

دنا إلى الأسفل وجذب بطانية أوكتافيا ليضعها على كتفها، فقد رأى طرفها ظاهراً من أحد الصناديق في الليلة الفائتة، وقد كسر فعلًّيا أسنان أحد الفتية في سبيل الحصول عليها. زفر بيلامي، فرأى أنفاسه تتبلور أمامه وتسبح في الهواء إلى أبعد بكثير مما كانت ستفعل على متن السفينة، حيث كانت أنظمة التهوية تمتص الهواء من رئتيك من قبل حتى أن يغادر فمك.

أجال بصره حول الغابة. وبعد أن انتهت تلك الفتاة المدعوة كلارك من فحص أوكتافيا وقالت إن كاحلها ملتوٍ فقط، حملها بيلامي واتّجه بها إلى الأشجار، حيث أمضى كلاهما الليل. سوف يظلان بعيداً عن البقية حتى يتمكنا من

معرفة أي من أولئك الفتية مجرم حقّاً، ومن منهم كان فقط في المكان الخطأ في الوقت الخطأ.

شد بيلامي على يد أخته. إنه هو من تسبب في القبض عليها، وذنبه هو أنها هنا. كان ينبغي له أن يعرف أنها ستخطط لشيء ما، فقد كانت تتكلم طيلة أسابيع عن كم إن الأطفال في وحدتها جياع، وكان الأمر مسألة وقت حتى تقدم على فعل شيء ما لإطعامهم، حتى لو دفعها ذلك إلى السرقة، لقد حُكِمَ على شقيقته الصغرى المؤثرة بالموت بتهمة امتلاكها قلباً أكبر مما ينبغي.

كان من واجبه أن يحميها، وللمرة الأولى في حياتها، فشل في فعل ذلك.

عاد بيلامي بظهره إلى الخلف ورفع ذقنه. كان فتى طويل القامة بالنسبة إلى كونه في السادسة من عمره، ولكن هذا لم يمنع الناس من التحديق إليه بينما يشق طريقه بين الحشود في مركز السلع، لم يكن مجيء بمفردهم يعد مخالفا القوانين، ولكنه كان أمرا نادر الحدوث.

أتى لكي يجلب قائمة الأشياء التي جعلته والدته يكررها عليها ثلاث مرات قبل أن تسمح له بمغادرة شقتهما: وجبة غنية بالألياف -نقطتان، وعبوات جلوكوز- نقطة واحدة، وحبوب مجففة -نقطتان، ورقائق درنات- نقطة واحدة، ورغيف بروتين - ثلاث نقاط.

انطلق متحاشياً امرأتين قد توقفتا لتتبادلا الهموم أمام بعض الأشياء بيضاء اللون وتشبه الأدمغة. أشاح بيلامي بنظره ومضى في طريقه. من ذا الذي يكترث بأن فينيكس تحصل على أفضل كل المحاصيل الجيدة من الحقول الشمسية؟ فعلى الأرجح أن كل من رغب في أكل الخضروات كان لديه من تلك الأدمغة الصغيرة البيضاء الرخوة أيضاً.

وضع بيلامي كلتا يديه على شكل كوب أسفل مضخة الألياف، والتقط العبوة التي انزلقت منها ووضعها أسفل ذراعه، قطع بضع خطوات في طريقه إلى قسم الدرنات قبل أن يستوقفه شيء لامع مغرٍ. التفت بيلامي ورأى كومة من فواكه حمراء مستديرة بداخل خزانة عرض، لم يعتد أن يولي الأشياء الغالية التي يضعونها في خزائن عرض اهتماماً؛ كالجزر المعقوف الذي يذكر بيلامي بأصابع الساحرة البرتقالية، والفطر البشع الذي بدا أشبه بمخلوقات الزومبي التي تأكل الأدمغة أكثر من كونه طعاماً، ولكن تلك كانت مختلفة؛ كانت فاكهة وردية اللون، باللون نفسه الذي تحولت إليه جارتهم ريلا عندما كانوا يلعبون لعبة الغزو الفضائي في الممر، أو عندما اعتادوا أن يلعبوا، قبل أن يقبض الحراس على والد ريلا، لترسل ريلا لكي تعيش في مركز الرعاية.

شَبَّ بيلامي على أطراف أصابع قدميه ليتمكن من قراءة الرقم على لوحة السعر. إحدى عشرة نقطة. بدا ذلك مبلغاً وقدره، ولكنه أراد أن يفعل شيئاً جميلاً لأمه؛ فهي لم تنهض من سريرها منذ ثلاثة أيام. لم يستطع بيلامي أن يصدق أنها كانت متعبة إلى هذا الحد.

سأله صوتٌ غاضب: «هل تريد واحدة؟».

بدَّل نظره إلى الأعلى، فرأى امرأة ترتدي زيّاً أخضر تحدق إليه، فتابعت تقول: «إما أن تطلب واحدة، وإما أن تتنحى جانباً».

تصاعدت السخونة إلى خدي بيلامي، وفكر ثواني في أن يجري هارباً، ولكن داهمه شعور مفاجئ بالغضب محى شعوره بالإحراج. لم يكن ليسمح لعاملة بيع عكرة الوجه أن تمنعه من أن يحضر لأمه الهدية التي تستحقها. نظر إليها وقال بلهجة متعجرفة لطالما جعلت أمه تنظر إليه وتتساءل قائلة: أتساءل ممن تعلمت هذا»: «سآخذ اثنتين، واحذري أن تلمسيها بأصابعك كلها».

ارتفع حاجب المرأة إلى السقف، قبل أن تسترق نظرة إلى الحراس الواقفين خلف طاولة الدفع. لم يكن أحد على متن والدن يحب الحراس، ولكن بدا أن أمه كانت تخاف منهم بشكل ملحوظ، وأصبحت في الآونة الأخيرة تجذب يده وتذهب في الاتجاه الآخر إذا ما رأت دورية تفتيش تقترب منهما. هل يمكن أنها فعلت شيئاً خاطئًا؟ هل سيأتي الحراس ويأخذونها بعيداً كما فعلوا مع والد ريلا؟ قال لنفسه: كلا، لن أسمح لهم.

أخذ تفاحتيه وسار باتجاه طاولة الدفع، حيث مسحت عاملة بيع أخرى بطاقته بعد أن حدقت بنظرة خاطفة إلى بطاقة السعر قبل أن تهز كتفيها في عدم مبالاة وتشير إليه بأن يبتعد. حدجه أحد الحراس بنظرة فضولية، ولكن بيلامي مضى في طريقه ولم يلتفت. تحامل على نفسه كي يسير، إلى أن ابتعد عن مركز التسوق، ثم انطلق يعدو محتضنا مشترياته إلى صدره بينما يقطع الممر المؤدي إلى وحدته السكنية.

دخل شقتهما بسرعة وأغلق الباب من خلفه جيداً، لم يستطع الانتظار حتى يُري والدته ماذا أحضر لها. دلف إلى غرفة المعيشة، ولكن الأضواء لم تفتح. هل تعطل جهاز الاستشعار مجدداً؟ اضطربت معدته قليلاً؛ فوالدته تكره مجيء فريق التصليحات إلى شقتهما. لم تكن تحب أن يأتي غرباء إلى منزلهما، ولكن كيف بإمكانهما أن يعيشا في الظلام؟

مضى بيلامي باتجاه غرفتها وهو ينادي: «أمي! لقد عُدت، لقد فعلتها». كانت الأضواء تعمل هنا، وأضيئت ما إن خطا بيلامي داخل الغرفة، ولكن السرير كان فارغاً.

تجمد بيلامي تحت وطأة موجة الفزع التي سرت في أوصاله. لقد اختفت! لا بد أنهم أخذوها. أصبح بمفرده تماماً. ولكن تناهى إلى مسامعه صوت قادم من المطبخ. تنفس الصعداء، وتبدل خوفه أمناً، ثم حماسًا. لقد نهضت من السرير.

جرى نحو المطبخ. كانت أمه تواجه النافذة المستديرة الصغيرة التي تطل على الدرج المظلم، وتضع إحدى يديها أسفل ظهرها كأنه كان يؤلمها. ناداها قائلا: «أمي، انظري ماذا أحضرتُ من أجلك».

أخذت أمه تسحب أنفاساً متلاحقة دون أن تلتفت إليه، وقالت له كأنها تحدث جاراً جاء في زيارة غير متوقعة: «بيلامي، لقد عدت. اترك الطعام على الطاولة واذهب إلى غرفتك، سآتي على الفور».

شعر بثقل من خيبة الأمل يجثم فوقه، وألصق قدميه بالأرض. كان يود أن يرى كيف ستبدو أمه عندما ترى الفاكهة. قال ملحّاً وهو يمد ذراعيه إلى الأمام، غير واثق ما الذي ستراه في انعكاس النافذة المظلمة المتربة: «انظري».

لفّت رأسها لتنظر إليه من خلف كتفها، وقالت له وهي تضيق عينيها: «ما هذا؟ تفاح؟».

ضمت شفتيها إلى بعضهما وأمسكت بجبهتها كما اعتادت أن تفعل عندما تعود إلى البيت من عملها، قبل أن تمرض. عادت تقول: «كم كان ثمن... لا يهم. فقط اذهب إلى غرفتك، اتفقنا؟».

كانت راحتا بيلامي قد بدأتا تتعرقان، فوضع الأكياس على طاولة بجانب الباب متسائلاً: هل اقترف شيئاً خاطئًا؟ أخذت الأضواء ترتعش، ثم انطفأت. دمدمت أمه بينما تنظر إلى السقف: «اللعنة». وصرخت فيه بلهجة آمرة: «بيلامي، هيا».

لم يكن واثقاً؛ أكانت أمه؟ أم إنه فقط ظن أنها هي؟ أشاحت بنظرها بعيداً عنه مجدداً، وراح صوتها يتردد عبر الظلام حتى لم يعد يبدو كأنه صوتها مطلقاً.

استرق بيلامي نظرة سريعة من فوق كتفه وهو في طريقه إلى غرفته. لم يستطع حتى أن يتعرف على أمه. كانت قد التفتت في مواجهته وبدت بطنها ضخمة

ومستديرة، وكأنها كانت تخفي شيئاً أسفل قميصها. رمش بعينيه وأخذ يركض هارباً. حاول أن يقنع نفسه أن عينيه كانتا تخدعانه لكي يستطيع السيطرة على الرعدة التي سرت في أوصاله.

- كيف حالها؟

نظر بيلامي فرأى كلارك واقفة أمامه. تبدل نظرها بقلق بينه وبين أخته. أومأ وقال: «أظن أنها أصبحت بخير».

قالت وهي ترفع حاجباً محروقاً بعض الشيء: «جيد، إذ سيكون أمراً سيئاً لو أنك نفذت تهديدك البارحة».

- ما الذي قلته؟

- قلت لي إنني لو لم أنقذ أختك، فستُفجر هذا الكوكب اللعين وكل من عليه.

- ابتسم بيلامي، وقال: «من الجيد أنه مجرد التواء في الكاحل».

أدار رأسه جانباً وراح يتفحص كلارك مليّاً، كان أسفل عينيها داكناً من فرط الإرهاق، ولكن زادت الهالات السوداء عينيها اخضراراً. شعر بتأنيب الضمير لأنه تصرف كحمار وغد معها في الليلة الماضية. لقد عاملها بوقاحة باعتبارها واحدة من فتيات فينيكس المغرورات، والتي تدربت لتصبح طبيبة لكي تجد شيئاً تتفاخر به في الحفلات. ولكن وجهها رقيق الملامح الذي أعياه الإجهاد والدماء التي تغطي شعرها الأشقر الذهبي يؤكدان أنها لم تتوقف لكي ترتاح منذ هبوطهم.

تابع بيلامي إذ تذكر ما قاله ويلز عند حلقة النار بالأمس، والطريقة التي عاملته بها كلارك قبل أن تمضي مبتعدة عنه: «إذن، لماذا تصرفت بهذه الوقاحة مع المستشار الصغير؟».

حدجته كلارك بنظرة تحمل مزيجاً من الصدمة والغضب، حتى ظن ثواني أنها قد تقدم على ضربه، ولكنها هزَّت فقط رأسها قائلة: «ليس هذا من شأنك».

سأل بيلامي مُلِحًّا: «هل هو حبيبك؟».

أجابت كلارك بلهجة باردة: «لا».

ولكن بعد ذلك ارتسمت على وجهها ابتسامة متسائلة: «ولماذا تهتم؟». أجاب بيلامي: «إنني فقط أجري إحصاء سكانيّاً. تحديداً من أجل معرفة الحالة الاجتماعية لكل الفتيات الجميلات على الأرض».

أشاحت كلارك بناظريها، ثم عادت تنظر إلى أوكتافيا مجدداً وقد أصبح الابتهاج جليّاً على وجهها.

تبدل نظر بيلامي من كلارك إلى شقيقته، وسأل: «ما الأمر؟».

أسرعت كلارك تقول: «لا شيء، أتمنى فقط لو كان لدي مطهر من أجل الجرح الذي في وجهها. وسيحتاج الآخرون إلى المطهر كذلك».

سألها بيلامي مُكشِّراً وجهه في اهتمام: «أهذا يعني أننا لا نملك أي أدوية؟».

نظرت كلارك إليه بقلق وقالت: «أعتقد أن عدة الإمدادات الطبية سقطت إلى خارج سفينة الإنزال في أثناء الاصطدام. ولكننا سنكون بخير على أي حال».

أضافت جملتها الأخيرة بسرعة، إذ أسرعت الكذبة تخرج من فمها قبل أن تتمكن من رسم ملامح وجهها لتتماشى معها. استدركت: «سنكون بخير بعد مدة. يمتلك الجسم البشري قدرة رائعة على أن يعالج نفسه...».

قطعت كلامها عندما وقعت عيناها على بقع الدماء على زيه المسروق.

تجهم وجه بيلامي ونظر إلى الأسفل يتساءل عما إذا كانت تفكر في المستشار. تمنى بيلامي أن يكون قد نجا، فيداه ملطختان بما يكفي من الدماء بالفعل. ولكن بطريقة أو بأخرى، لم يكن ذلك ذا أهمية، فأيّاً كان الشخص الذي سيرسله المجلس ضمن البعثة الثانية، فمؤكد سيكون لديه أمر مباشر بإعدام بيلامي على الفور، دونما الوضع في الحسبان حقيقة أن إصابة المستشار كانت حادثاً. ما إن تتحسن أوكتافيا وتصبح قادرة على السير، ستغادر هي وبيلامي من هنا. سوف يسيران بضعة أيام، لكي يبتعدا عن البقية بمسافة كافية، إلى أن يجدا مكاناً مناسباً يقيمان فيه، فهو لم يقضِ شهوراً وهو منكبّ على دراسة مجلدات طرق النجاة القديمة تلك التي عثر عليها في القسم (ب) من السفينة من أجل لا شيء، بل لكي يكون مستعدّاً لمواجهة أي شيء يكون في انتظارهما في تلك الغابات، فمهما كان، لن يكون أسوأ مما سوف يهبط عليهما من السماء.

- متى ستصبح قادرة على السير مجدداً؟

التفتت كلارك إلى بيلامي وقالت: «إن الالتواء شديد بعض الشيء، ولكنني أظن أنها ستصبح قادرة على السير في غضون بضعة أيام، وستأخذ أسبوعاً أو اثنين حتى تُشفى تماماً».

- ولكن من الممكن أن يحدث قبل ذلك بقليل؟

أدارت رأسها جانباً وابتسمت له ابتسامة جعلته ينسى لثوانٍ أنه منفي على كوكب من المحتمل أن يكون غير صالح للحياة بصحبة تسعة وتسعين مجرماً مراهقاً.

سألته: «ولِمَ هذه العجلة؟».

ولكن قبل أن يتمكن من أن يجيبها، نادى أحدهم كلارك، فذهبت بسرعة. سحب بيلامي نفسًا عميقاً إلى رئتيه، وأثار دهشته أن ذلك الفعل البسيط ساعد في تصفية ذهنه، وأصبح بعده أكثر يقظة وانتباهاً. ربما يتّضح فيما بعد أن الهواء مسمّم، ولكنه مع كل نفس يأخذه، يداهمه شعور لا يعرف كنهه، ولكنه يشبه المؤامرة؛ كفتاة غامضة تتعمّد ألا تلتقي عيناها مع عينيك، ثم تمضي بالقرب منك بما يكفي لكي يلتقط أنفك نفحة من عطرها.

اقترب بضع خطوات من الأشجار. يتوق إلى أن يتفحّصها من قرب أكثر، ولكن دون أن يبعد ناظريه عن أوكتافيا. لم تكن كأي فصيلة يعرفها، ولكن رغم ذلك، فالكتاب الوحيد الذي تمكن من العثور عليه عن الحياة النباتية على كوكب الأرض كان عن قارة إفريقيا، وتذكر أنه قد سمع ويلز يقول إنهم على الساحل الشرقي لما كانت في الماضي الولايات المتحدة.

تحرك غصن بالقرب من بيلامي. راح بيلامي يدور حول نفسه، فرصد بعينيه فتاة ذات وجه طويل وملامح دقيقة وشعر يشبه اللوف.

- هل تحتاجين إلى مساعدة؟

- قال ويلز إن على كل من لم يُصَب أن يذهب لجمع الحطب.

شعر بيلامي بالغضب يعتلج في معدته. افتعل ابتسامة متكلفة وقال للفتاة: «لا أظن أن لويلز أي منصب يُخَوِّلُه إعطاء الأوامر لأحد. لذا، فلو كان كل شيء على ما يرام معكِ، فسأعتني بأموري الخاصة. اتفقنا؟».

اضطربت في وقفتها لثوانٍ قبل أن ترمي بنظرة متوترة من فوق كتفها. قال بيلامي بلهجة آمرة وهو يشير لها بيديه إلى الأمام: «اذهبي من هنا».

ظل يراقبها بشعور من الرضا وهي تمضي مبتعدة.

رفع رقبته وراح يحدق إلى السماء بالأعلى، حتى غرقت عيناه في الفراغ التام من كل اتجاه. ليس مهمّاً أين هم، أي بقعة على هذا الكوكب بالتأكيد ستكون أفضل من العالم الذي تركوه خلف ظهورهم.

لقد أصبح حُرّاً للمرة الأولى في حياته.

الفصل الثامن

جلاس

قضت جلاس الليلة بأكملها على أريكة لوك، وحمدت الله أن كاميل لم تسأل لماذا رفضت أن تنام في غرفة كارتر القديمة. لقد قرروا أن من الأفضل لها أن تظل مختبئة في شقة لوك حتى المناوبة التالية في الساعة 06:00؛ إذ يكون عدد الحراس أقل في جولات التفتيش.

ظلت تتقلب في نومتها طوال الليل، وأخذ السوار يغرز في جلدها في كل مرة تتقلب إلى جنبها، كتذكير مؤلم لها بأنها بينما هي في خطر، أصبح ويلز يبعد عنها مئات الكيلومترات، يقاتل من أجل البقاء على قيد الحياة على كوكب ظل قروناً غير صالح للحياة، لقد كان يحلم دوماً برؤية الأرض، ولكن ليس هكذا، ليس مع وجود احتمال بأنه لا يزال مسمماً، ليس عقب إطلاق النار على والده أمام عينيه مباشرة.

ظلت مستلقية تحدق إلى السقف. لم تستطع أن تمنع أذنها من أن تصيخ السمع بحثاً عن أصوات تتخلل الظلام، كان أقل صوتٍ آتٍ من وراء باب غرفة لوك قادراً على أن يصيب معدتها بالاضطراب، حتى الصمت كان أكثر سوءاً.

وما إن بدأت أضواء الساعة البيولوجية بالتسلل من أسفل باب الشقة، حتى فتح باب غرفة لوك، وخرج كل من لوك وكاميل مُتَململَين. بدا واضحاً أن أحداً

منهما لم ينم كثيراً كحالها، بدل لوك ملابسه بالفعل وارتدى ملابس مدنية غير رسمية، بينما ارتدت كاميل واحداً من قمصان لوك الداخلية القديمة، كشف طرفه القصير عن فخذيها الرشيقتين. شعرت جلاس بالخجل وأشاحت بنظرها.

- صباح الخير.

جفلت جلاس تحت وطأة الرسمية التي امتلأ بها صوت لوك. آخر مرة قال لوك لها هاتين الكلمتين كانا نائمين معاً على سريره، وهمس بهما في أذنيها.

تمكنت من أن تبعد الفكرة عن رأسها، وقالت: «صباح الخير».

أشار لوك إلى معصمها وقال: «يجب أن نكسر ذاك السوار».

أومأت جلاس موافقة، ونهضت واقفة عن الأريكة. اضطربت في وقفتها؛ إذ أخذت كاميل تبدل نظرها جيئةً وذهاباً بينها وبين لوك، حتى شبكت ذراعيها أخيراً والتفتت إليه وراحت تقول: «هل أنت واثق من أن هذه فكرة جيدة؟ ماذا لو رآك أحدهم؟».

تجهم وجه لوك، وقال: «لقد تحدثنا في هذا الأمر».

كان يتحدث بصوتٍ خفيض، ولكن تمكنت جلاس من أن تشعر بنبرة الإحباط في صوته. تابع يقول: «سوف يقتلونها لو لم نساعدها، هذا هو الشيء الصحيح لنفعله».

الشيء الصحيح لنفعله. أخذت جلاس تفكر في هذه الجملة، هكذا أصبحت بالنسبة إليه، مجرد روح لا يرغب في أن يحمل نفسه ذنب موتها.

قالت كاميل بصوت مرتجف: «هذا شأنها، وليس شأنك».

دنا لوك منها وطبع قبلة على جبينها وقال: «سيكون كل شيء على ما يرام. سوف أعيدها إلى فينيكس وأعود إلى البيت على الفور».

هذه تنهدت كاميل في استسلام، وناولت جلاس بنطالًا وقميصاً وقالت: «خذي. أعلم أنها لا تليق بمستوى موطنك فينيكس، ولكن ستبدين أكثر إقناعاً في الملابس؛ فمظهرك لا يوحي حتى بأنك عاملة نظافة بشعر كهذا».

شدت على ذراع لوك، ومن ثم عادت إلى غرفته، تاركة لوك وجلاس على انفراد.

ظلت جلاس واقفة تمسك بالملابس على ذراعيها بشكل مثير للشفقة، والتقت أعينهما لحظة، في المرة الأخيرة التي رأت فيها لوك، لم تكن لتفكر لحظة واحدة قبل أن تبدل ملابسها أمامه.

- هل يجب أن...

توقفت عن الكلام وهي تشير تجاه غرفة كارتر. قال لوك وقد بدا عليه الخجل: «معذرةً، لا، أنا فقط... سأعود على الفور».

ومن ثم عاد متجهاً إلى غرفته. بدلت جلاس ملابسها بأسرع ما أمكنها. حاولت جاهدة أن تتجاهل الهمسات التي هربت عبر الباب. تشعر وكأنها دبابيس تُغرز في جلدها.

وعندما عاد لوك، كانت قد ارتدت بنطالاً رمادياً واسعاً كان يتدلى تقريباً من وسطها، وقميصاً أزرق خشناً أخذ يخدش جلدها. تفحصها لوك بعينيه وقال: «لا يزال هناك شيء ناقص، لا تبدين كسجينة، ولكنك بالتأكيد لا تبدين كواحدة من والدن».

أخذت جلاس تحاول أن تفرد جوانب بنطالها المجعد، وتُسائل نفسها ما إذا كان لوك يفضل أن يكون بصحبة فتاة ترتدي ملابس كتلك في المنزل. قال موضحاً: «ليس لهذا السبب، بل بسبب شعرك. لا تطيل الفتيات شعرهن إلى هذا الحد هنا».

سألت وقد أدركت بشيء من الشعور بالذنب أنها لم تلاحظ ذلك قط: «لماذا؟..

التفت لوك وراح يفتش في وحدة تخزين صغيرة معلقة على الحائط، وقال: «ربما لأنهن لن يكون في مقدورهن الاعتناء به. نحن في والدن لا نحصل على نفس حصة المياه التي تحصلون عليها في فينيكس».

استدار مجدداً وعلى وجهه نظرة منتصرة، وأخرج طاقية قديمة ومبقعة.

- شكراً.

ابتسمت له جلاس ابتسامة خافتة، وتلامست يداهما وهي تأخذ الطاقية من لوك، ثم وضعتها على رأسها.

قال لوك وهو يتفحصها مكشراً: «لا أظن أن هذا يؤدي الغرض».

اقترب منها وخلع عنها الطاقية بإحدى يديه، ثم مد يده الأخرى إلى كتفها وجمع شعرها ورفعه برفق إلى مقدمة رأسها، وقال بنبرة راضية: «هكذا».

ثم وضع الطاقية مجدداً عليه. امتد الصمت بينهما. وببطء، تحرك لوك بضع خطوات شاردة، حتى أصبح في مواجهة جلاس دون أن يبعد أصابعه الخشنة عن رقبتها، وراح ينظر مباشرة إلى عينيها دون أن يرمش له جفن.

سألته جلاس حتى تتجنب تأثير نظرته وهي تتنحى جانباً: «مستعد؟».

- أجل، هيا بنا.

رجع لوك خطوة صارمة إلى الخلف، وأشار إليها أن تخرج إلى الممر، لم يكن هناك الكثير من أضواء الساعة البيولوجية على متن والدن كما هو على فينيكس؛ فكانت الممرات لا تزال مظلمة، على الرغم من أنه يفترض أنهم في الفجر. لم تستطع جلاس أن تعرف إلى أين يأخذها لوك، وظلت مشبكة يديها في بعضهما لكي تمنع نفسها من أن تمسك بيده.

توقف لوك أخيراً أمام باب بالكاد بإمكانهما رؤيته. أدخل يده في جيبه وأخرج شيئاً لم تتمكن جلاس من رؤيته، ثم وضعه أمام ماسح القفل. أصدر الباب صوتاً قبل أن ينفتح. اضطربت جلاس من داخلها إذ أدركت أنه بغض النظر عن المكان الذي يأخذها لوك إليه، فسوف يترك ذلك أكواداً للدخول من خلفهما. لم تستطع تحمّل أن تفكر فيما يمكن أن يحدث عندما يكتشف المجلس أنه ساعد مجرمة هاربة.

ولكن لم يكن هناك خيارٌ آخر، وسوف تنتظر إلى أن يجدها الحراس بعد أن تودع أمها وداعاً أخيراً. لن تحاول أن ترى لوك مرة أخرى. لم تتمكن من أن تطلب منه أن يخاطر بنفسه من أجلها، ليس بعد ما فعلته.

أخذ ضوء خافت يومض في معاناة، مُصدراً ضوءاً متّسخاً أصفر، انعكس على ماكينة لم تستطع جلاس التعرف عليها. سألت بصوت راح يتردد بشكل غريب: «أين نحن؟».

- في إحدى الورش القديمة. هنا حيث اعتادوا إصلاح المعدّات الأرضية قبل أن يستبدلوها كلها. كنت آتي إلى هنا في أثناء تدريبي.

أوشكت جلاس أن تسأله لماذا قد يتدرب الحراس في مكان كهذا، ولكنّها كبحت السؤال في داخلها. لطالما نسيت أن لوك كان قد بدأ بالفعل تدريبه

ليصبح مهندسًا ميكانيكيّاً عندما قُبِلَ في كتيبة الحراس الهندسية، فنادراً ما كان يتحدث عن هذا الجزء من حياته، أدارت جلاس رأسها إلى الخلف وقد وطئها شعور بالخزي من أنها لم تبذل جهداً أكبر لكي تتعرف على عالم لوك. لا عجب من أنه نسيها وارتبط بكاميل.

اتخذ لوك مجلساً بجوار إحدى الماكينات وراح يضغط عدّة أزرار، بينما يتجعّد حاجباه ليركز جيداً. سألته جلاس بعدما أخذت تصدر صوتاً مزعجاً: «ما هذه؟».

أجابها لوك دون أن ينظر إليها: «قاطعة ليزر».

ضمت جلاس معصمها بقوة إلى صدرها متخذة وضع الحماية قائلة: «مستحيل».

حدجها لوك بنظرة تحمل من الدهشة والانزعاج قدراً متساوياً، وقال: «لا تجادلي في هذا. كلما أسرعنا في خلع هذا الشيء عن معصمكِ، أصبح بإمكانكِ الاختباء بأمان أكثر».

- ألا يمكننا فقط أن نرى كيف نفتحه.

هزّ لوك رأسه نافيًا.

- لا بد أن نقطعها.

عندما لم تتحرك، تنهد ومد إليها يداً، وقال وهو يشير إليها لتقترب منه: «تعالي إلى هنا يا جلاس».

تسمّرت قدما جلاس في مكانها؛ فرغم أنها أمضت الستة الأشهر الماضية تتخيل سماع اسمها يخرج من فم لوك، لم تتخيل قط أن ذلك سيكون بسبب ماكينة غبية قد تتسبب في موتها. رفع لوك حاجبه وقال: «جلاس؟».

تقدمت جلاس بخطوة متردّدة. بدت وكأن لديها ما تخسره. لكان من الأفضل أن يفصل لوك معصم يدها عن جسدها من أن يحقن أحد الأطباء وريدها بحقنة سم.

نقر لوك على سطح أملس في منتصف الماكينة قائلًا: «فقط ضعي يدكِ هنا».

ثم ضغط على أحد الأزرار، فراحت الماكينة تهتز. سرت رجفة في جسد جلاس ما إن لمس جلدها المعدن البارد. قال لها لوك مطمئناً: «سوف تكونين بخير، أقسم لكِ، فقط ابقي ثابتة».

أومأت جلاس إذ لم تقوَ على الحديث تحت وطأة خوفها. لم يلبث صوت الماكينة المزعج أن أصبح مصحوباً بصرير يصمُّ الآذان.

أجرى لوك ببضعة تعديلات إضافية، ثم نهض ووقف بجانبها.

- مستعدة؟

ابتلعت جلاس ريقها في توتر وأجابت: «أجل».

أحاط ذراعها بيده اليسرى، بينما يستخدم يمناه في تحريك رافعة أخرى باتجاهها. وليكتمل رُعبها، رأت خطّاً رفيعاً من الشرر الأحمر يتطاير منها بقدر هائل من الطاقة.

بدأت ترتجف، ولكن أحكم لوك قبضته على ذراعها بقوة. همس قائلًا: لا بأس، ابقي ثابتة فقط».



ازداد الشرر اقتراباً، وأصبح بإمكان جلاس أن تشعر بالحرارة على جلدها. ركز لوك تركيزاً بالغاً تشنجت له عضلات وجهه. كانت عيناه مثبّتتين على معصم جلاس بينما يحرك الليزر بثبات بالغ.

أغمضت جلاس عينيها لتهيئ نفسها للألم اللافح، وقد راحت أعصابها تصرخ بعدما فقدت كل اتصال بيدها.

- رائع.

أتى صوت لوك مقاطعاً نوبة فزعها. ألقت جلاس نظرة، فوجدت السوار وقد انقسم إلى نصفين متساويين، وأصبح معصمها حرّاً طليقاً.

تنهّدت وتلاحقت أنفاسها. قالت: «شكراً لك».

- على الرحب.

ابتسم لها بينما لا تزال يده ممسكة بذراعها.

لم ينبس أحدهما ببنت شفة منذ أن خرجا من الورشة وقطعا طريق العودة باتجاه الجسر السماوي.

همس لوك في أثناء ما كان يقود جلاس عبر أحد الممرات ثم إلى سلالم أخرى كانت ضيقة ومظلمة أكثر من أي مكان آخر على فينيكس: «ما خطبك؟».

- لا شيء.

فيما مضى، كان لوك سيقترب منها، ويحتضن ذقنها في راحته، ويظل ينظر إلى عينيها إلى أن تضحك، ويقول: «*يا لكِ من كاذبة فاشلة يا ربانزل*».

مثل الحكاية الخيالية عن فتاة يزداد طول شعرها قدماً كل مرة تكذب. ولكن هذه المرة تبخرت كذبة جلاس في الهواء.

سألته أخيراً عندما لم تعد تحتمل ثقل الصمت أكثر من ذلك: «كيف حالك إذن؟».

نظر لوك نظرة سريعة من فوق كتفه ورفع حاجباً.

- كما تعلمين، بعيداً عن تجاهل الفتاة التي أحببتها وهجرها لي، ورؤيتي أعز أصدقائي وهو يُعدم بسبب تهمة سخيفة، يمكنني أن أقول إن حالي ليست سيئة.

طأطأت جلاس رأسها تحت وطأة كلماته التي اخترقت صدرها. لم يسبق لها أن شعرت بهذه المرارة في صوت لوك من قبل.

- ولكن على الأقل لدي كاميل بجانبي.

أومأت جلاس، ولكنها عندما استرقت نظرة إلى ملامح وجه لوك التي تألفها، شعرت وكأن شظايا حادة ومسننة من الزجاج تكاثرت في عقلها. ما الذي يعتقد أنها فعلته حتى سُجنت؟ لماذا لم ينتبهُ الفضول ولم يدهش؟ هل رأى بها شخصاً سيئاً إلى هذا الحد لكي تُقدِم على ارتكاب جريمة؟

توقف لوك بسرعة، مما جعل جلاس تصطدم به. قالت له بينما تتعثر لتستعيد توازنها: «آسفة».

التفت لوك إليها وسألها: «هل تعلم والدتك بما حدث؟»

- لا. أعني، هي تعلم أنني سُجنت، ولكن من غير الممكن أنها تعرف شيئاً عن بعثة كوكب الأرض.



لقد حرص المستشار على إبقاء العملية في غاية السرية، فلن يخبر آباؤهم قبل أن يتأكدوا من أن الأولاد تمكنوا من النجاة، أو حتى يتأكد المجلس أنهم لن يعودوا أبداً.

- من الجيد أنكِ سوف ترينها.

لم تقل جلاس شيئاً. كانت تعلم أنه يفكر في أمه التي ماتت عندما كان في الثانية عشرة، ولهذا السبب انتهت به الحال ليقيم مع جاره الذي كان قد بلغ الثامنة عشرة حينها؛ كارتر.

قالت جلاس بصوت مرتجف: «أجل».

لقد كانت تتوق إلى رؤية أمها، ولكن حتى بعدما نزعت السوار، لن يستغرق الحراس وقتاً طويلاً حتى يجدوها. ما الأكثر أهمية؟ أن تودعها؟ أم أن تجنب أمها ألم رؤية ابنتها وهي تُقاد لكي تلقى حتفها؟

- يجب أن نتحرك.

التزم كلاهما الصمت وهما يعبران الجسر، إذ شردت جلاس لدى رؤية النجوم المتألقة. لم تستطع أن تدرك كم كانت تحب المنظر من الجسر السماوي حتى حُبِست بين أربعة جدران ضيقة صماء. اختلست نظرة إلى لوك، لم تعرف أتحزن أم ترتاح لأنه لم يلتفت لينظر إليها. قالت جلاس عندما اقتربا من بوابة تفتيش فينيكس، والتي كانت -كما قال لوك- دون حراسة: «يجب أن تعود، سأكون بخير».

تشنج فك لوك وابتسم لها بمرارة، وقال: «إنكِ مُدانة هاربة، وما زِلتُ غير لائق بما يكفي لمقابلة والدتك».

قالت وهي تفكر في الأثر الذي تركه من خلفه على لوحة الأمن: «ليس هذا ما عنيته. سوف تتعرض للخطر لأنك ساعدتني، لا يمكنني أن أدعك تخاطر بحياتك، لقد فعلت بما فيه الكفاية بالفعل».

أخذ لوك نفساً كأنما أوشك أن يقول شيئاً، ولكنه أومأ قائلًا: «حسنًا إذن».

حاولت جاهدة أن تفتعل ابتسامة لكي تكبح دموعها.

- شكراً لك من أجل كل شيء.

هش وجه لوك قليلاً وقال: «حظّاً موفقاً يا جلاس».

أوشك أن يدنو منها، فلم تستطع جلاس أن تمنع نفسها من أن ترفع رأسها -كما اعتادت أن تفعل-، ولكنه تراجع إلى الخلف وانتزع عينيه عنها بجهد بالغ. ودون أن ينبس ببنت شفة، أولاها لوك ظهره ومضى عائداً أدراجه من الطريق نفسه الذي جاءا منه. راقبته جلاس وهو ذاهب، تتلهف شفتاها وتتألمان من أجل قبلة الوداع التي لن تذوقها مرةً أخرى.

***

عندما وصلت جلاس إلى باب شقتها، رفعت قبضتها وطرقت برفق. فتح الباب، فظهرت والدة جلاس -سونيا- من خلفه. عَزَفَ وجهُها مقطوعة من المشاعر المتضاربة في اللحظة ذاتها، فيها من الدهشة، والفرح، والتشتت، والخوف.

همست وهي تقترب من ابنتها كأنها لم تكن واثقة من أنها هنا حقّاً: «جلاس؟».

دنت جلاس من أمها وعانقتها بسرور تنهل من رائحة عطرها، وقالت: «لقد اعتقدت أنني لن أراكِ مجدداً أبداً».



ضمت جلاس إلى حضنها مرة أخرى قبل أن تجذبها إلى الداخل وتغلق الباب. تراجعت سونيا خطوة إلى الخلف وراحت تحدق إلى ابنتها. تحول صوتها إلى همس مبحوح وهي تقول: «لم أستطع إلا أن أعُدَّ الأيام. سوف تصبحين في الثامنة عشرة بعد ثلاثة أسابيع».

جذبت يد أمها الرطبة وقادتها إلى الأريكة. أخبرتها جلاس: «كانوا سيرسلوننا إلى كوكب الأرض؛ مئة واحد منا».

أخذت نفساً عميقاً وتابعت: «كان من المفترض أن أكون من ضمنهم».

سألت سونيا بشرود كأنها تضع الكلمة على مسافة من ناظريها لتحاول أن تراها جيداً: «الأرض؟ يا إلهي!».

- حدث اشتباكٌ عند حجرة الإطلاق. المستشار...

تشوش رأس جلاس عندما تذكرت ما حدث في حجرة الإطلاق. راحت تدعو من قلبها أن يكون ويلز على ما يرام هناك على الأرض، وأن يكون مع كلارك لكيلا يحزن وحده. عادت جلاس تقول: «تمكنتُ من الهرب في تلك الفوضى. جئتُ فقط لأقول لك إنني أحبك».

لم تكن التفاصيل ذات أهمية الآن. اتسعت عينا والدتها، وهمست وهي تحيط ابنتها بذراعيها قائلة: «هكذا إذن أصيب المستشار. يا إلهي! جلاس».

جفلت جلاس عندما سمعت تردد صوت خطوات أقدام في الردهة بالخارج. نظرت إلى الباب متوجسة، ثم التفتت لتواجه والدتها، نهضت عن الأريكة بقدمين مرتجفتين، وقالت: «لا يمكنني أن أبقى كثيراً».

- انتظري!

انتصبت سونيا واقفة، وأمسكت بذراع جلاس وجذبتها لتجلس على الأريكة مجدداً وقد أحكمت قبضة أصابعها حول رسغها. وقالت: «إن المستشار بين الحياة والموت؛ ذلك يعني أن نائب المستشار رودس هو المسؤول. ليس عليكِ أن تذهبي الآن. (سكتت قليلاً) إن لديه أسلوباً مختلفاً تماماً، في الـ... حكم. لديكِ فرصة في أن يعفو عنكِ، من الممكن إقناعه بذلك».

نهضت سونيا واقفة، وابتسمت لجلاس ابتسامة لم تتمكن من إظهار لمعة عينيها، وقالت: «فقط انتظريني هنا».

سألتها جلاس بصوت خفيض: «هل عليكِ الذهاب؟».

لم تستطع أن تتحمل وداعاً آخر، ليس في الوقت الذي قد يكون فيه الوداع إلى الأبد.

دنت أمها وقبلت جبين جلاس.

- لن أتأخر.

راحت تنظر إلى أمها بينما تضع طبقة من أحمر الشفاه في عجالة. وخرجت إلى الردهة التي كانت لا تزال فارغة، ثم سحبت ركبتيها إلى صدرها وضمتهما بقوة وكأنها تخشى على كل شيء بداخلها من أن ينسكب.

***

لم تكن جلاس متأكدة منذ متى وهي نائمة، ولكن بينما كانت نائمة في وضعية الجنين على وسائد الأريكة التي ما زالت تحفظ شكل جسدها، كادت توقن بما لا يخالطه الشك أن الستة الأشهر الماضية كانت كابوساً، وأنها لم تُسجن حقّاً بداخل زنزانة لا تحوي شيئاً سوى سريرين معدنيين صغيرين ورفيقة زنزانة

صامتة وغاضبة من أركاديا، وأشباح نحيبها التي ظلت جاثمة حولها وقتاً طويلاً بعدما جفت دموعها.

عندما فتحت عينيها، كانت أمها جالسة بجوارها على الأريكة تمسد شعر جلاس الملبد. وقالت بلطف: «كل شيء قد حل؛ لقد تم العفو عنكِ».

التفتت جلاس لتنظر إلى وجه أمها وقد ذهب عنها نومها تحت وطأة المفاجأة تحاول أن تصرف عنها صور لوك التي كانت تتراءى أمام عينيها عندما استيقظت فجأة، وسألتها: «كيف؟ لماذا؟».

قالت أمها شارحة: «إن الناس يزدادون قلقاً. لم ينجُ أي من الأولاد المُدَانين بعد محاكمتهم طوال سنوات؛ مما جعل قانون العدالة يبدو بعيداً كل البعد عن العدل، وستكونين الاستثناء، الدليل على أن النظام لا يزال يعمل كما يُفترض به، وأن الذين باستطاعتهم المشاركة في المجتمع لديهم فرصة في العودة إليه. تطلب الأمر بعض الإقناع، ولكن في النهاية اقتنع نائب المستشار بوجهة نظري».

أنهت أمها كلامها وأسندت ظهرها إلى الأريكة. يبدو عليها الإرهاق والارتياح في الوقت ذاته.

- أمي... لا يمكنني أن... لست.... شكراً لكِ!

لم تجد جلاس شيئاً آخر لتقوله. ابتسمت وهي تبدل وضعيتها إلى وضعية الجلوس، وأسندت رأسها على كتف والدتها. أأصبحت حرة حقّاً؟ شعرت وكأنها لم تكن تدرك معنى الكلمة.

- ليس عليكِ أن تشكريني يا حبيبتي. سأفعل كل شيء من أجلك.

أزاحت سونيا خصلة من شعر جلاس خلف أذنها وابتسمت.

- فقط تذكري ألا تأتي على ذكر بعثة كوكب الأرض لأي أحد. إنني جادّة في هذا.

- ولكن ما الذي حدث للآخرين؟ هل ويلز بخير؟ أيمكنكِ معرفة هذا؟

هزت سونيا رأسها نافية.

- بالنسبة إليكِ، فليست هناك بعثة. ما يهم أنكِ في أمان الآن. لقد حصلتِ على فرصة ثانية. فقط عديني بأنكِ لن تقدمي على فعل شيء متهور.

قالت جلاس أخيراً وهي تهز رأسها في غير تصديق: «أعدك، أعدك».

الفصل التاسع

كلارك

خرجت كلارك عبر فتحة خيمة المستوصف المغطاة بقطعة قماش إلى ساحة المخيم، إذ شعرت بحلول الفجر حتى مع عدم توفر رفاهية النوافذ. اصطبغ لون السماء، وأثار الهواء اللاذع حواش في عقلها لم تدرك كلارك وجودها قط. تمنت لو أن بإمكانها مشاركة هذه التجربة برفقة الشخصين اللذين بنّا فيها الشوق لرؤية الأرض منذ البداية، ولكن لن تحظى كلارك بهذه الفرصة أبدا؛ فوالداها قد رحلا.

- صباح الخير.

تجمدت كلارك. تعذر عليها فهم كيف أصبح وقع صوت ويلز على أذنيها بعدما كان ذات يوم أحب صوت لديها في الكون بأسره. لقد مات والداها بسببه، طفَا جسداهما في أعماق الفضاء، وأخذا يسبحان بعيداً عن كل شيء يعرفانه ويحبانه. لقد باحت كلارك في لحظة ضعف بسر لم ينبغ لها أن تبوح به. وعلى الرغم من أنه أقسم ألا يخبر مخلوقاً، لم ينتظر حتى أن تمضي أربع وعشرون ساعة كي يهرول إلى والده سعياً لإثبات أنه الابن المثالي وبطل فينيكس، من أجل ذلك خان الفتاة التي تظاهر بأنه يحبها.

التفتت كلارك لتواجه ويلز. لم يكن ليمنعها شيء من أن تهجم عليه، ولكنها قررت أن تتجنب أي مواجهة قد تلفت الأنظار نحوهما.

أمسك ويلز بذراعها عندما مضت مبتعدة عنه، وقال: «انتظري. أردتُ فقط أن...».

استدارت كلارك وحررت يدها من قبضته، وقالت مستهجنة: «لا تلمسني».

(عزيزي القارئ.. ما دمت تقرأ هذه الرواية فكن على يقين بأن قناة ضَاد هي من قامت بتوفير هذه النسخة! لذا تأكد من أنك تقرأها من قناتنا الرسمية على تطبيق تيليجرام. نعتذر على مقاطعتك، نتمنى لك قراءة ممتعة).

تراجع ويلز خطوة إلى الخلف وقد اتسعت عيناه، وقال: «أنا آسف».

كان صوته هادئاً، ولكنها استطاعت أن ترى الألم على وجهه. لطالما استطاعت كلارك أن تعرف بما يشعر، ولطالما كان كاذباً فاشلاً، هكذا عرفت في ذلك الوقت أن وعده بأن يحفظ سرها كان صادقاً، ولكن بدا أن شيئاً ما قد غير رأيه، ودفع والدا كلارك ثمن ذلك.

لم يتحرك ويلز، وقال بهدوء: «أردتُ فقط أن أرى إذا كنتِ بخير. سوف ننتهي من التنقيب في الحطام اليوم. هل تحتاجين إلى شيء معين من أجل مرضاكِ؟».

- نعم، أحتاج إلى غرفة عمليات معقمة، ومحاليل وريدية، وجهاز أشعة للجسم بأكمله، وأطباء حقيقيين...

- إنكِ تقومين بعمل مذهل.

- كنت سأفعل أفضل بكثير لو أنني قضيتُ الستة الأشهر الماضية أتدرب في المشفى بدلًا من السجن.

هذه المرة كان ويلز قد هيأ نفسه لأي شيء قد تقوله لتجرح مشاعره، وظل وجهه جامداً يخلو من أي تعبير.

أخذت السماء تزداد لمَعاناً حتّى اصطبغت الغابة بضوء ذهبي جعل كل شيء يبدو وكأنه كان يُصقَل ويُلمَّع طوال الليل. ازدادت الحشائش اخضراراً، وتألقت قطرات الندى الصغيرة عليها، وبدأت براعم أزهار بنفسجية تتفتح على شيء كان يبدو كشجيرة عادية، وتمددت أوراقها الطويلة المستدقة لتواجه الشمس، تتمايل في الهواء وكأنها تتراقص على أنغام موسيقى لا يسمعها سواها.

قال ويلز بهدوء وقد شعر أنه قرأ ما يجول في رأسها: «لو لم تُسجَني، لم تكوني لتأتي إلى هنا قط».

لفّت رأسها لتواجهه وقالت: «هل تعتقد أنني يجب أن أكون ممتنة لما فعلته؟ لقد رأيت أطفالاً يموتون، أطفالًا لم يرغبوا قط في المجيء إلى هنا، ولكنهم وجدوا أنفسهم هنا قسراً لأن سافلاً مثلك أبلغ عنهم فقط ليشعر بأنه مهم».

- ليس هذا ما عنيته.

تنهد ويلز ونظر مباشرة إلى عينيها، وتابع يقول: «أنا آسف حقّاً يا كلارك، لا يمكنني أن أخبركِ كم أنني آسف، ولكنني لم أفعل ذلك لكي أشعر بأنني مهم».

أوشك أن يخطو ناحيتها، ولكنه توقف مفكراً في الأمر مليّاً قبل أن يتراجع إلى الخلف.

- لقد كنتِ تعانين. أردتُ أن أساعدكِ. لم أستطع أن أتحمل رؤيتك في ذلك الوضع، أردتُ فقط أن أساعدك على تخطي هذا الألم.

الحنو الذي في صوته جعل معدة كلارك تضطرب. قالت بهدوء: «لقد قتلوا والديَّ».



أخذت تتخيل المشهد كما فعلت مرات عديدة من قبل: احتقن وجه أمها في أثر وخزة الإبرة، ثم راح جسدها يغيب عن الوعي شيئاً فشيئاً، حتى تلك اللحظات الأخيرة القاتلة عندما لم يبقَ سوى دماغها. ترى هل قدموا لهما وجبتهما الأخيرة كما جرت العادة؟ شعرت كلارك بألم في قلبها عندما تذكرت جسد أبيها وهو يرقد داخل كبسولة إطلاق وقد فارقته الحياة، واصطبغت أصابعه باللون الأحمر من التوت الذي أكله بمفرده.

- هذا النوع من الألم لا يمكن تخطيه أبداً.

ظلا يحدقان إلى بعضهما بعضا لثوانٍ، حتى بات الصمت ثقلاً جاثماً. ولكن لاحقاً، أشاح ويلز بناظريه ورفع رأسه إلى الأشجار التي تعلوهما. انبعث عبر أوراقها أصوات متناغمة خافتة. همس ويلز دون النظر إليها: «هل تسمعين ذلك؟».

كانت النغمات مخيفة ومبهجة في الوقت ذاته. استهلت نغماتها الأولى برثاء للنجوم الخافتة. ولكن ما إن تأكدت كلارك من أن قلبها سينفطر متأثراً بهذا الجمال المرير، حتى ازدادت الألحان صخباً معلنةً بزوغ الفجر.

طيور؛ طيور حقيقية. لم تستطع رؤيتها، ولكنها علمت أنها كانت هناك. تساءلت إذا ما تمكن المستوطنون الأوائل من أن يسمعوا تغريد الطيور في أثناء تجهيز السفينة الأخيرة للإقلاع. ترى هل كانت الموسيقى لأغنية وداع؟ أم أن كل المخلوقات قد ضمت أصواتها معاً في لحن جنائزي من أجل الأرض المحتضرة؟

التفت ويلز لينظر إليها وتعلو وجهه ابتسامة تعرفها منذ زمن طويل، وقال: «هذا لا يُصدَّق!».

ارتجفت كلارك. بدا الأمر وكأنها رأت شبحاً، خيالاً يشبه الفتى الذي كانت على الحمق الكافي لكي تمنحه قلبها. لم تستطع كلارك أن تكبح ابتسامتها عندما رأت ويلز يتلفت يمنة ويسرة أمام باب شقتها، لطالما أصابه ذلك بالتوتر إذا قبلها في مكان مفتوح، ولكن الأمر ازداد سوءاً منذ أن بدأ تدريبه العسكري. فكرة أن يلتقي مع حبيبته خلسة في أثناء ارتدائه الزي الرسمي بدت أنها تؤرقه، وكان ذلك يضايقها؛ إذ إن رؤيته في زيه الرسمي تجعلها ترغب في تقبيله بنهم أكثر من المعتاد.

التفتت كلارك لتضغط بإصبعها على قفل البصمة، وقالت: «سوف أراك غداً».

قال ويلز وهو يجيل بصره من خلف كتفه قبل أن يمسك بذراعها: «انتظري».

زفرت كلارك، وقالت وهي تحاول أن تفلت ذراعها من قبضته: «ويلز، يجب أن أذهب».

ابتسم وأحكم قبضته على ذراعها، وقال: «هل والداك بالمنزل؟».

أمالت كلارك رأسها ناحية الباب.

- نعم، لقد تأخرت على العشاء.

حدق ويلز إليها مترقباً. كان يفضل أن يتناول الطعام برفقة عائلتها على جلوسه أمام والده في صمت، ولكنها لم تستطع أن تدعوه للانضمام إليهم، ليس الليلة.

أدار ويلز رأسه جانبا، وقال: «لن يمتعض وجهي هذه المرة، مهما يكن ما يضيفه والدك إلى معجون البروتين، لقد تدربتُ جيداً».

ارتسمت ابتسامة عريضة ساخرة على وجهه وهو يومئ برأسه مؤكداً: «يا إلهي، هذا لذيذ حقّاً!».

ضمَّت كلارك شفتيها ثواني قبل أن تجيبه قائلة: «إنني فقط أحتاج إلى أن أتحدث معهما على انفراد».

اكتست ملامح ويلز بالجدية، وترك ذراعها وربت بيده على خدها، وقال: «ما الأمر؟ هل كل شيء على ما يُرام؟»

- لا بأس.

تنحت جانباً وأشاحت برأسها حتى لا يتسنّى لعينيها أن تخوناها وترسلا إشاراتٍ تفضح كذبتها. كانت في حاجة إلى أن تواجه والديها بشأن التجارب التي يجريانها، ولم يعد بإمكانها أن تؤجل ذلك أكثر.

قال ويلز ببطء: «حسناً، إذن أراك غداً».

بدلاً من أن يقبّل خدها، فاجأها بأن أحاط خصرها بذراعيه وضمها إليه. طبع قبلة على شفتيها، فأنساها الدفء المنبعث من جسده كل شيء للحظات. ولكن ما إن أغلقت الباب من خلفها، حتّى تبدل شعورها بلمسة ويلز الدافئة على جلدها إلى رعدة خوف.

كان والداها جالسين على الأريكة. التفت رأساهما نحوها، فنهضت والدتها واقفة وابتسمت لها قائلة: «كلارك، هل ويلز الذي كان واقفاً معكِ بالخارج؟ هل يرغب في الانضمام إلينا على العـ....».

قاطعتها كلارك بحدة أكثر مما كانت تقصد: «كلا، هل يمكنكِ الجلوس؟ علينا أن نتحدث».

دلفت إلى الغرفة وجلست على كرسي لتواجه والديها. أخذ جسدها يرتجف تحت وطأة قوتين عنيفتين تحاربان للسيطرة على جسدها: الغضب المستعر، والأمل اليائس. كانت في حاجة إلى أن يعترف والداها بما فعلاه لكي تبرر غضبها، ولكنها في الوقت ذاته كانت تدعو أن يكون لديهما عذر جيد. قالت لهما ببساطة: «لقد خمّنت كلمة المرور. لقد دخلت إلى المختبر».

اتسعت عينا والدتها، وألقت بظهرها إلى الأريكة، أخذت نفساً عميقاً، فتمنّت كلارك لثوانٍ أنَّها قد تُحاول تفسير الأمر، وأن يكون لديها من الكلمات ما يقدر على جعل هذا الأمر يبدو أفضل ممَّا هو عليه. ولكنها بدلاً من ذلك همست بالجملة التي كانت كلارك تخشى سماعها: «أنا آسفة».

أمسك والدها بيد زوجته، وقال بهدوء وهو ينظر إلى كلارك: «إنني آسف لأنكِ رأيتِ ذلك. أعلم أنه أمر صادم، ولكنّهم لا يعانون أي ألم؛ إننا نحرص على ذلك».

- كيف أمكنكما ذلك؟

بدا سؤالها واهياً، غير قادر على أن يعكس ثقل اتهامها. ولكنها لم تستطع أن تجد أي شيء آخر لتسألهما عنه. تابعت تقول: «إنكما تجريان التجارب على البشر؛ على الأطفال».

قول ذلك جهراً جعل معدتها تضطرب، وشعرت بمرارة في حلقها. أغمضت والدتها عينيها وقالت بحنو: «لقد قضينا سنوات نحاول أن نختبر مستويات الإشعاع بطرق أخرى، تعلمين ذلك. وعندما أبلغنا نائب المستشار بأن حصولنا على نتائج قاطعة دون إجراء دراسات على البشر مستحيل، ظننا أنه أدرك أننا وصلنا إلى طريق مسدود. ولكنه لاحقاً أصر على أننا...... ».

تقطَّع صوتها، فلم تكن كلارك في حاجة إلى أن تكمل جملتها. عادت أمها تقول بيأس: «إننا لم يكن لدينا خيار».

قالت كلارك وهي ترتجف: «دائماً ما نملك خياراً. كان بإمكانكما أن ترفضا. كنت سأدعهم يقتلونني قبل أن أوافق على شيء كهذا».

جاء صوت أبيها هادئاً إلى حد يُثير الغضب: «ولكنّهم لم يهددوا بقتلنا».

فسألت كلارك بحنق: «إذن ما الذي تفعلان ذلك من أجله بحق الجحيم؟».

- قال إنه سوف يقتلك.

انقطعت أغنية الطيور مخلفة صمتاً ثقيلاً في أعقابها، وكأن الموسيقى قد تسربت إلى داخل السكون حتى تشبع الهواء بألحانها. قال ويلز بصوت حان: «يا إلهي، كان هذا مذهلًا».

كان لا يزال في مواجهة الأشجار، ولكنه مدَّ ذراعه ناحيتها كأنه يود أن يسافر عبر الوقت لكي يمسك بيد الفتاة التي كانت تحبه يوماً ما.

انتهى مفعول السحر، تصلبت كلارك في وقفتها، ودون أن تنبس ببنت شفة، مضت عائدة إلى المستوصف.

***

كانت الخيمة مظلمة إلى حد أن كادت كلارك تتعثر ما إن دلفت إلى الداخل.

وقد كانت منشغلة بتذكير نفسها بأن عليها تغيير ضمادات ساق أحد الفتيان، وأن تصلح القطب المائلة التي خاطت بها جرح فخذ الفتاة؛ إذ وجدت أخيراً

علبة ضمّادات وخيوط طبيّة حقيقيّة. ولكن لم يكن بإمكانها أن تفعل أكثر من ذلك لو لم يجدوا صندوق الأدوية الرئيسي. لم يجدوا له أثراً في الحطام، وعلى الأرجح قد سقط من سفينة الإنزال في أثناء الاصطدام ودُمِّر تماماً.

كانت تاليا مستلقية على أحد الأسِرَّة ولا تزال نائمة، وبدت ضمادتها الجديدة متماسكة. لقد غيرت كلارك بالفعل ضمادها ثلاث مرات منذ وجدتها بعد الاصطدام غارقة في دماء جرح سيئ في جنبها.

شعرت كلارك بالغثيان لدى تذكرها مشهد خياطة الجرح، وتمنت ألا تتذكر صديقتها الكثير منه. لقد غابت تاليا عن الوعي من الألم، وظلّت تستعيد وعيها وتفقده منذ ذلك الحين. نزلت كلارك على ركبتيها وأبعدت خصلة من الشعر المخضل عن عين صديقتها.

أخذت تاليا تفتح عينيها شيئاً فشيئاً، فهمست كلارك: «مرحباً، كيف تشعرين؟».

بذلت الفتاة الجريحة جهداً بدا وكأنه يستنفد طاقة كل جزء من جسدها لكي تبتسم، وقالت: «إنني في حالٍ رائعة».

ولكنها جفلت، واعتصرت عينيها من الألم.

- لقد اعتدتِ الكذب أفضل من ذلك.

- لم أكذب قط.

كان صوتها مبحوحاً، ولكنه لم يخلُ من سخط ساخر.

- إنني فقط أخبرتُ الحارس أنني أعاني مشكلة في رقبتي وأحتاج إلى وسادة إضافيّة.



ابتسمت كلارك وأضافت: «ومن ثم أقنعتِه بأن ويسكي السوق السوداء سيمنعكِ من الغناء في أثناء نومك».

- أجل. لسوء الحظ أن ليز لم تكن تنوي الانضمام إلي.

- أو إنكِ لن تستطيعي الغناء بشكل صحيح لإنقاذ حياتك.

احتَجَّت تاليا قائلة: «هذا هو الرائع في الأمر! كان الحارس الليلي سيفعل أي شيء لكي يُسكِتَني حينها».

هزت كلارك رأسها ضاحكة، وقالت: «وتقولين إن فتيات فينيكس مجنونات».

أشارت إلى البطانية الخفيفة المُلقاة فوق تاليا.

- هل يمكنني؟

أومأت تاليا بعلامة الإيجاب، فسحبت كلارك الغطاء محاولة ألا يشمئز وجهها بينما تزيل الضمادة. كان الجلد المحيط بجرحها متورماً وأحمر، وأخذ القيح يتشكّل بين الغرز. أدركت كلارك أن الجرح نفسه لم يكن هو المشكلة، فرغم كونه جرحاً بالغاً، فإنه لم يكن من النوع الذي يكترثون بشأنه في المركز الطبي، الخطر الحقيقي يكمن في حدوث العدوى.

سألت تاليا بهدوء: «وضعه سيئ؟».

- مطلقاً، تبدين بخير حال.

خرجت الكذبة من شفتيها بمنتهى السلاسة. انزلقت عيناها لا إراديّاً نحو السرير الفارغ الذي قضى عليه أحد الفتية ساعاته الأخير قبل أن يموت.

قالت لها تاليا بهدوء: «لم يكن هذا خطأك».

تنهّدت كلارك قائلة: «أعلم ذلك. تمنيت فقط ألا يكون بمفرده».

- لم يكن بمفرده؛ كان ويلز هنا.

سألتها كلارك في غير فهم: «ماذا؟».

- كان يأتي ليتفقّد حالته من حين إلى آخر. أظن أنه كان يبحث عنكِ في المرة الأولى التي أتى إلى الخيمة، ولكنه عندما رأى كم كانت حالة الفتى سيئة...

- حقّاً؟

تساءلت كلارك ما إذا كان بإمكانها أن تثق برؤية فتاة قد قضت جُلَّ اليوم الماضي غائبة عن الوعي.

جاء صوتٌ آخر: «مؤكد أنه كان هو». نظرت كلارك فرأت أوكتافيا واقفة وعلى وجهها ابتسامة لعوب. واستدركت: «لا يحدث كل يوم أن يأتي ويلز جاها ويجلس بجوار سريرك».

نظرت إليها كلارك في غير تصديق.

- من أين لكِ أن تعرفي ويلز؟

- أتى في زيارة والده إلى مركز الرعاية منذ بضع سنوات. ظلت الفتيات يتحدثن عنها أسابيع، فهو يعد مستعمراً أعظم.

ابتسمت كلارك لدى سماعها لغة والدن العامية، بينما تابعت أوكتافيا تقول: «سألته إذا كان يذكرني. قال إنه تذكرني. ولكنّه رجل ذو ذوق رفيع، لدرجة تمنعه من أن يقول لا».

زفرت أوكتافيا بمبالغة، ووضعت ظهر يدها على جبهتها وقالت: «يا للأسف، فرصتي الوحيدة للوقوع في الحب».

قال فتى ظنت كلارك أنه كان نائماً: « مهلاً، وماذا عنّي؟».

ثم رمى أوكتافيا بنظرة جريحة، فأرسلت إليه قُبلة عبر الهواء. لم يكن من كلارك إلا أن هزّت رأسها والتفتت مجدداً إلى تاليا، تُجيل بصرها ما بين وجه صديقتها وجرحها المُصاب بالعدوى.

سألت تاليا بصوت خفيض وقد بدأ الإعياء يظهر في صوتها المتهدّج: «الأمر لا يبشر بالخير، أليس كذلك؟» .

- كان من الممكن أن يصبح أسوأ.

- إن قدرتكِ على الكذب في تراجع أيضاً. ما الذي يحدث؟

نجحت تاليا في أن ترفع حاجباً، وتابعت: «هل الحب ما يجعلكِ رقيقة هكذا؟»

جمّدت كلارك وجذبت يدها بسرعة بعيداً عن بطانية تاليا.

- هل جرحك ما يجعلكِ تهذين؟

نظرت من خلف كتفها وارتاحت عندما رأت أوكتافيا منهمكة في الحديث مع فتى أركاديا. وقالت: «تعرفين ما فعله بي». توقفت إذ اضطربت معدتها وشعرت بالاشمئزاز، وعادت تقول: «ما فعله بوالدَي».

- أعلم بالطبع.

نظرت تاليا إلى كلارك بنظرة تحمل مزيجاً من الإحباط والأسف. ابتسمت قائلة: «وأعلم أيضاً ما خاطر به لكي يأتي إلى هنا. إنه يحبك يا كلارك؛ الحب الذي يقضي الكثير من الناس حياتهم كلها يبحثون عنه».

تنهدت كلارك وقالت: «حسناً، إنَّني أتمنى ألا تجديه أبداً. هذا لمصلحتك».

الفصل العاشر

بيلامي

بدا جنونيّاً قدرة العالم من حولهم على التغير من حال إلى حال على مدى اليوم؛ ففي الصباح الباكر يبدو كل شيء أنيقاً وبهيّاً، حتى الهواء كان عليلًا وحادّاً، ولكن في وقت الظهيرة، يزداد الضوء سطوعاً، وتضعف حدّة الألوان، هذا أكثر ما أحبه بيلامي على الأرض حتى ذلك الحين؛ عنصر الفجائية، كالفتاة التي تجعلك تتساءل دوماً. لطالما كان ينجذب إلى الفتيات اللاتي لا يتمكن من فهمهن.

تعالت أصوات الضحك من الجانب الآخر للمخيم. التفت بيلامي فرأى فتاتين جالستين على فرع شجرة منخفض، تقهقهان بينما تضربان الولد الذي يحاول أن يتسلّق لينضم إليهما. على مقربة منهم، كان هناك بضعة فتيان والدنيون يلعبون لعبة الكلب الحيران باستخدام حذاء فتاة أركادية. غرقت الفتاة مالكة الحذاء في الضحك إذ انزلقت قدمها العارية على الحشائش. داهمه شعور واخز بالأسف لأن حالة أوكتافيا لم تتحسّن بما يكفي لتنضم إليهم بعد. لقد حصلت على قدر ضئيل جدّاً من المرح طوال حياتها، ولكن رغم ذلك، ربما كان في صالحها أنها لم تصنع روابط وثيقة بأي شيء. ما إن يشفى كاحلها، ستغادر هي وبيلامي دون رجعة.

مزّق بيلامي عبوة غذاء مجعدة ليفتحها، واعتصر نصف محتواها بداخل فمه، ثم طوى الغلاف بحرص وأعادها مجدداً إلى جيبه، فبعد البحث في بقايا الحطام، قد اكتشفوا ما كانوا يخشونه جميعاً؛ كمية العبوات الغذائية هي التي وجدوها منذ أن هبطوا -والتي تكفي بضعة أسابيع قليلة- هي كل ما أرسلوه معهم. إما أن المجلس قد افترض أن المئة سيكتشفون طريقة ما للنجاة على الأرض في غضون شهر واحد، وإما أنهم لم يضعوا في حسبانهم أنهم سيتمكنون من البقاء على قيد الحياة حتى ذلك الوقت.

لقد فرض جراهام بالقوة على معظم الفتيان أن يسلموا أي عبوات طعام قد عثروا عليها، ومن المفترض أنه عين فتى أركاديا يدعى آشر مسؤولاً عن توزيعها. ولكن كانت هناك سوق سوداء تزداد توسعاً شيئاً فشيئاً بالفعل؛ إذ راح القوم يبادلون بعبوات التغذية الأغطية، ويتحملون قضاء مناوبات إضافية مقابل الحصول على أماكن خاصة بهم بداخل الخيام المكتظة. أمضى ويلز اليوم محاولاً إقناع الجميع أن يتفقوا على إنشاء نظام أكثر انضباطاً ورسمية. وعندما بدأ بعض الأفراد يعيرونه انتباههم، لم يستغرق جراهام وقتاً طويلاً حتّى يُخرِسه تماماً.

التفت بيلامي إذ استحال صوت الضحك القادم من أقصى ساحة المخيم إلى صيحات.

صرخ أحد فتيان والدن محاولاً أن ينتزع شيئاً ما من فتى آخر قائلاً: «أعطني ذلك!».

وما إن وصل بيلامي مسرعاً، أدرك أنه كان فأساً. كان الفتى الأول مُمسكاً بمقبض الفأس بكلتا يديه، وراح يؤرجحها محاولاً إفلاتها، بينما انهمك الفتى الثاني في محاولة الإمساك بالنصل.

أسرع آخرون متجهين ناحية الفتيين، ولكن بدلاً من أن يفرقوهما عن بعضهما، انطلقوا يسعون بين الأشجار يلتقطون بين أذرعهم ما يجدونه من أغراض؛ إذ كانت الأدوات مبعثرة على الأرض: المزيد من الفؤوس، وسكاكين، ورماح أيضاً. ارتسمت ابتسامة على وجه بيلامي عندما وقعت عيناه على قوس وسهم.

وفي الصباح نفسه، قد عثر على آثار أقدام حيوانات، آثار حقيقيّة بحق الجحيم تقود إلى داخل الأشجار. لقد سبب هذا الاكتشاف له هياجاً هائلاً. وفي غضون لحظات، أصبح هناك ما يقرب من الثلاثين على أقل تقدير متجمّعين من حوله، يشارك كل منهم ملاحظاته المتذاكية والمفيدة على غرار: إنها على الأرجح ليست آثار طائر، بل يبدو أنها لمخلوق ذي أربع أرجل. في نهاية الأمر، كان بيلامي هو من أوضح أنّها آثار حوافر وليست مخالب، ممَّا يعني أنه على الأرجح حيوان عاشب، وبالتالي هو مخلوق ربما بإمكانهم صيده وأكله. لقد كان فقط في حاجة إلى إيجاد شيء يصطاد به. والآن، في خضم أول ضربة حظ موفقة له على كوكب الأرض، قد عثر عليه. كان على أمل أنه وأوكتافيا سيكونان قد رحلا قبل نفاد المؤن بوقت طويل، ولكنه لم يدع مجالا للحظ قط.

انبعث صوت أحدهم من بين الحشد قائلًا: «تمهّلوا جميعاً».

رفع بيلامي ناظريه عندما بلغ ويلز بداية منطقة الأشجار، واستأنف الأخير: «لا يمكننا أن نسمح بأن نعطي السلاح أي شخص هكذا، ينبغي لنا أن نفحص وننظم هذه الأشياء، ومن ثم نقرر من يمكنه حملها».

تعالت موجة من الأصوات المحتجّة والنظرات الجامحة من بين الحشد. ولكن ويلز تابع موجها إصبعه نحو بيلامي -والذي علق القوس والسهم على كتفه بالفعل- قائلًا: «هذا الفتي أمسك بالمستشار رهينة، من يدري ما الذي هو قادر على فعله أيضاً؟ أحقّاً ترغبون في أن يتجول شخص مثله بينما يحمل سلاحاً مُميتاً؟».

ثم رفع ويلز ذقنه وقال: «يجب أن نشكل تصويتا على الأقل».

لم يتمكّن بيلامي من ألا يضحك. من يظن هذا الفتى نفسه بحق الجحيم أصلاً؟ انحنى إلى الأسفل والتقط سكيناً عن الأرض وسار متجهاً إلى ويلز.

ثبت ويلز قدميه على الأرض، فتساءل بيلامي ما إذا كان يحاول منع نفسه من أن يتراجع خوفاً، أو ربّما لم يكن ويلز بالخصم الجبان مثلما ظنّه بيلامي. عندما بدا أن هناك احتمالاً بأن يطعن ويلز في صدره، قلب بيلامي لتصبح يد سلاحه في مواجهة ويلز، ثمَّ وضعها بداخل يده عنوة.

غمز بيلامي بعينه، وقال: «خبر عاجل أيها الفتى الوسيم، إننا جميعاً مجرمون هنا».

ولكن قبل أن يتمكن من الرد، اقترب جراهام بخطوات متئدة، وارتسمت ابتسامة كالحة على وجهه بينما يجيل بصره ما بين ويلز وبيلامي، وراح يقول: «إنني أتفق مع حضرة المستشار الصغير المبجل، علينا أن نحتفظ بالأسلحة في مكان مُقفل».

تراجع بيلامي خطوة إلى الخلف في اعتراض قائلًا: «ماذا؟ أوَ تُصبِحُ تلك أيضاً تحت مسؤوليتك؟».

مرر أصابعه على القوس، وتابع: «هذا مستحيل، إنني مستعد للصيد».

زفر جراهام وقال: «أخبرني بالتحديد ما الذي سبق أن اصطدته على متن والدن سوى الفتيات ذوات الذوق المتدني؟ بل حتى احترامهن ذواتهن أكثر تدنياً؟»

احتقن وجه بيلامي، ولكنه لم يقل أي شيء. إنها لمضيعة للوقت أن يذعن لاستدراج جراهام له. ولكنه استطاع أن يشعر بأصابعه وهي تشكل قبضة محكمة.

تابع جراهام كلامه: «بل إنك لا تحتاج إلى مطاردتهن حتى. أظن أن هذه الفائدة من أن تملك شقيقة».

هي غاصت قبضة بيلامي عميقاً داخل فك جراهام مصدرة صوت تهشّم مُثير للغثيان. تراجع جراهام متعثراً بضع خطوات إلى الخلف. لم يستطع أن يستفيق من بغتته ليرفع ذراعيه قبل أن يهوي بيلامي بقبضته مرة أخرى. نجح في استعادة توازنه، ثم باغت بيلامي بضربة قويّة مصوبة بمهارة إلى ذقنه. انقضَّ بيلامي نحوه وهو يجأر ألماً، واستعان بوزن جسمه بالكامل ليدفع جراهام دفعة طيرته إلى الخلف، ليسقط على العشب بصوت ارتطام عنيف. ولكن ما إن أوشك بيلامي أن يوجّه إليه ركلة مباغتة، تدحرج جراهام جانباً وضرب ساقي بيلامي من الأسفل.

ترنح بيلامي وهوى أرضاً. حاول أن ينهض بسرعة ليتمكّن من صد هجوم خصمه، ولكن الأوان قد فات؛ إذ ثبته جراهام على الأرض ممسكاً بشيء ما على بعد سنتيمترات من وجهه، شيء يلمع تحت أشعة الشمس؛ سكين.

صاح ويلز: «هذا يكفي!». وأمسك بتلابيب جراهام وجذبه بعيداً عن بيلامي، الذي استدار على جنبه وهو يلهث.

صاح جراهام خائراً كالثور يُكافح كي لا يسقط: «ماذا بحق الجحيم؟».

جفل بيلامي وهو ينهض جاثياً على ركبتيه، ثم وقف ببطء وسار لكي يلتقط القوس، حدج جراهام بنظرة سريعة، ولكنه كان منشغلا بالتحديق إلى ويلز لكي يلاحظه.

قال جراهام بحقد: «فقط لأن المستشار اعتاد أن يدثرك في سريرك لا يعني أنك تتولى القيادة تلقائيّاً. لا يهمني ما قاله لك «بابا» قبل رحيلنا».

- ليست لدي أدنى رغبة في تولي القيادة. إنني فقط أحاول ألا نموت.

تبادل جراهام نظرة مع آشر وقال: «إذا كان هذا همّك، فإنني أقترح أن تهتم بشؤونك الخاصة».

انحنى إلى الأرض والتقط السكين.

- سنحرص على ألا تطرأ أي متاعب.

قال ويلز محاولاً كظم غيظه: «ليست هذه الطريقة الصحيحة التي ستمكننا من البقاء هنا».

رفع جراهام حاجبيه.

- حقّاً؟ وما الذي يجعلك تظن أن لك أي رأي بهذا الشأن؟

- لأنني لستُ أبله. ولكن إذا كنت تتوق بشدة إلى أن تحمل لقب أول دموي يُقدِم على قتل إنسان على كوكب الأرض منذ قرون، فلتتفضل.

زفر بيلامي وانطلق عبر ساحة المخيم باتجاه البقعة التي وجد فيها آثار الحيوانات. لم يرغب أن يُقحَم في نزاع مقرف كهذا، ليس باحتمال وجود طعام يجب البحث عنه. ألقى بالقوس فوق كتفه ومضى إلى داخل الغابة.

لقد تعلم منذ نعومة أظافره؛ إذا أردت أن تُنجز عملاً ما، فعليك أن تفعله بنفسك.

كان بيلامي في الثامنة من عمره في الزيارة الأولى. لم تكن أمه بالمنزل، ولكنها قد أخبرته بما عليه فعله بالتفصيل. نادراً ما فتش الحرس شقتهما، فقد كبر معظمهم بجوارهما، وعلى الرغم من كون الجنود يحبون التباهي بزيهم العسكري ومضايقة أندادهم القدامى، فإن تفقد شقق جيرانهم كان بمنزلة تعد للحدود، لذا، فقد كان جليّاً أن الضابط المسؤول عن هذه الفرقة ليس من ضمنهم. ليس فقط بسبب لهجته المتعجرفة، بل الطريقة التي أجال بها بصره في شقتهما الضئيلة بنظرات تحمل مزيجاً من الدهشة والتقزّز، كأنما لم يستطع تصور أن يعيش إنسان في مكان كهذا.

اقتحم البيت دون أن يطرق الباب بينما كان بيلامي يحاول تنظيف أطباق الفطور، فلم تتوفر لديهما مياه جارية سوى ساعات قليلة فقط في اليوم، وعادة ما تكون في أثناء مباشرة والدته عملها في الحقول الشمسية، ذعر بيلامي بشدة، حتّى إنه أسقط كوباً كان يغسله وراح يراقب في فزع ارتطامه بالأرض وتدحرجه إلى أن اصطدم بالخزانة.

دارت عينا الضابط جيئةً وذهاباً إذ لمح شيئاً بطرف عينه، ثمَّ قال بلكنة فينيكس الغريبة خاصته التي بدت وكأن فمه مملوء بطعام مسحوق: «بيلامي بلايك؟»

أومأ بيلامي ببطء.

- هل أمك بالمنزل؟

- لا.

استطاع بالجهد الجهيد أن يجيبه محافظاً على هدوء صوته، تماماً كما تدرب.

دلف حارسٌ آخر عبر الباب، وبعد أن أومأ له الضابط، بدأ في طرح أ بلهجة رتيبة باردة جعلته يبدو وكأنما قد قضى اليوم بأكمله يردد الكلام نفسه عشرات

المرات. دندن قائلًا: «هل تحصل على أكثر من ثلاث حصص من وجبات الطعام في محل إقامتك؟».

هز بيلامي رأسه نافياً.

- هل لديك أي مصدر آخر للطاقة عدا...

كان قلب بيلامي ينبض بضربات مُتلاحقة وعالية أوشكت أن تغطّي على صوت الحارس، على الرغم من أن أمه عملت على تدريبه مرات لا تُحصى، وتدربا معاً على عدّة سيناريوهات، فإنه لم يتخيّل قط الطريقة التي سيجيل بها الضابط ناظريه في شقتهما. عندما وقعت عيناه على الكوب الذي سقط منه ثم تحركتا إلى الخزانة، ظن بيلامي أن صدره على وشك أن ينفجر.

- هل تنوي أن تجيب عن سؤاله؟

رفع بيلامي ناظريه ليجد كلا الرجلين يحدّقان إليه. تكلح وجه الضابط في نفاد صبر، فيما بدا الآخر متأففاً.

حاول بيلامي أن يعتذر، ولكن كلمة «آسف» قد خرجت من فمه كالصفير.

- هل يوجد أي شخص آخر يقيم إقامة دائمة دون الاثنين المُسَجَّلَين لهذه الوحدة السكنية؟

سحب بيلامي نفساً عميقاً إلى صدره ليجبر الكلمة على الخروج.

- لا.

تذكر أخيراً أن يفتعل التعبير المنزعج الذي جعلته أمه يتدرب عليه أمام المرآة، فما كان من الضابط إلا أن رفع حاجباً، وقال بألفة ساخرة: «نعتذر بشدّة لأننا أضعنا وقتك».

خطف نظرة أخيرة إلى أرجاء الشقّة قبل أن يمشي بتؤدة إلى الخارج. ذهب الحارس في أثره ولطم الباب بقوة من خلفه.

هوى بيلامي على ركبتيه، يرتعد خوفاً من أن يُجيب عن السؤال الذي أخذ يعبث بداخل عقله: ما الذي كان سيحدث لو أنَّهم نظروا إلى داخل الخزانة؟

الفصل الحادي عشر

جلاس

بينما كانت تجر قدميها خلف كورا وهكسلي في طريقهم إلى قسم المقايضة، تمنت جلاس في قرارة نفسها لو أن أمها انتظرت بضعة أيام أخرى قبل أن تنشر خبر العفو عنها. لقد طارت فرحاً لرؤية صديقتيها في البداية؛ فعندما دخلتا إليها عبر الباب ذلك اليوم، انفتح الفتيات ثلاثتهنّ في البكاء. ولكن الآن، وهي تُشاهد كورا وهكسلي تتبادلان ابتسامات فيما بينهما عندما مرّوا بفتى لم تتعرّف عليه جلاس، شعرت جلاس بأنها وحيدة أكثر من أي وقت مضى بداخل زنزانتها.

قالت هكسلي وهي تُحيط جلاس بذراعها: «أراهن على أنكِ أصبح لديكِ طن من النقاط المتراكمة. إنني أحسدكِ».

- كل ما أملكه هو ما حَوَّلته أمي إليّ هذا الصباح».

ثم ابتسمت جلاس ابتسامة واهنة وقالت: «أما الباقي، فقد حُذِف عقب توقيفي».

ارتجفت هكسلي في تأثُّر، وقالت: «لا أزال عاجزة عن تصديق ذلك».

خفضت صوتها: «إنكِ لم تخبرينا عن سبب دخولك الحبس قط».

قالت كورا وهي تنظر في توتر من فوق كتفها: «إنها لا ترغب في الحديث عن هذا الأمر».

قالت جلاس في نفسها: كلا، أنتِ لا ترغبين في الحديث عن هذا الأمر. انعطفن إلى الممر الرئيس للطابق (ب). ممر طويل واسع تحده نوافذ بانورامية من أحد جانبيه، ومقاعد تتوسط نباتات اصطناعية كثيفة على الجانب الآخر. كان النهار في منتصفه، ومُعظم المقاعد قد شغلتها نساء في عمر والدتها يتجاذبن الأحاديث ويحتسين شاي جذور دوّار الشمس، في الواقع، من المُفترض أن يستخدم المرء قدراً من نقاطه في ركن الشاي، ولكن جلاس لم تعد تذكر متى كانت آخر مرة سألها أحدهم أن تضع إبهامها على الماسح. كانت تلك واحدة من الرفاهيات العديدة للعيش على متن فينيكس التي لم تكن تدركها حتى بدأت في ق قضاء الوقت بصحبة لوك.

عندما بلغت الفتيات نهاية الممر، استطاعت جلاس أن تشعر بأن كل العيون تقريباً تلتفت إليها. اضطربت معدتها وهي تتساءل عمَّا هو صادم أكثر: حقيقة أنها قد سُجنت؟ أم حقيقة أنّها قد عُفِيَ عنها؟ رفعت رأسها عالياً وحاولت أن تبدو واثقة بينما تمر من أمامهنّ. كان يفترض بجلاس أن تضرب مثالاً لروح العدالة في المستوطنة، وبالتالي، سيجب عليها أن تظهر وكأن حياتها كانت تتوقف على ذلك، لأن هذه المرة كان هذا صحيحاً.

سألت هكسلي بينما تحدجها كورا بنظرة محذرة: «هل تظنّين أن هناك أي فرصة للعفو عن كلارك أيضاً؟ هل تسنّى لكم يا رفاق أن... تمرحوا؟ أو أي شيء من هذا القبيل في أثناء حبسكم؟».

قالت كورا وهي تربت على ذراع جلاس لدعمها: «بحق الله يا هكسلي، ألن تتوقفي عن هذا؟».

- آسفة. الأمر فقط... عندما تمّت محاكمة كلارك بعدك مباشرة، لم يتمكّن أحد من أن يصدق الأمر: فتاتان من فينيكس في بضعة أشهر؟ ثم عندما عُدتِ أنتِ، انتشرت كل تلك الشائعات...

قالت لها جلاس: «لا بأس».

ثم أرغمت نفسها على أن تبتسم لكي تظهر أنها لا تمانع الحديث عن الأمر، وقالت: «لقد وضعت كلارك في الحبس الانفرادي بسرعة بالغة؛ لذا لم أرها وقتاً طويلاً، ولستُ أدري إن كان سيُعفى عنها أم لا».

كانت تكذب؛ إذ تذكرت أوامر والدتها الصارمة بألا تأتي على ذكر البعثة الأرضية.

تابعت: «لستُ واثقة متى سوف تبلغ الثامنة عشرة، لقد بُتّ في قضيتي لأن يوم ميلادي قد اقترب».

صاحت هكسلي بصوت يشبه الصرير تصفق بيديها: «يا إلهي، هذا صحيح، يوم ميلادكِ! لقد نسيت أنه اقترب للغاية، سيكون علينا أن نجد شيئاً ما من أجلكِ في قسم المقايضة».

أومأت كورا موافقة -وقد بدت مبتهجة لأنهنّ وجدن سبيلاً إلى حديث مناسب كهذا- بينما تقترب الفتيات من وجهتهن.

كان قسم مقايضة فينيكس يشغل صالة واسعة في نهاية الطابق (ب)، وبالإضافة إلى النوافذ البانورامية، كانت تحتوي على ثريا هائلة على الأرجح تم إخلاء دار أوبرا باريس منها قبل ساعات من سقوط القنبلة الأولى على غرب أوروبا. كلما سمعت كلارك هذه الحكاية، أصابها الحزن على الناس الذين كان من الممكن إنقاذهم بدلاً عنها. ولكنها لم تستطع أن تنكر أن الثريا كانت

تخطف الأنفاس. تعكس أضواءها على السقف والنوافذ وهي تتراقص. بدت وكأنها عنقود صغير من النجوم، كأن مجرة مصغرة تدور وتتألق فوق رؤوسهن.

أفلتت هكسلي ذراع جلاس ومضت متجهة إلى عرض للأشرطة الملونة، لاهية عن تجمع الفتيات القريب، اللواتي التزمن الصمت لدى وصول جلاس. احمر لون جلاس وعدت خلف كورا، التي ثبتت عينيها على جناح لبيع الأقمشة بالقرب من الجدار الخلفي.

وقفت مرتبكة بجانب كورا، بينما راحت صديقتها تقلب بين الأقمشة حتى حولت في لمح البصر حزمة الأقمشة المرتبة إلى كومة من الفوضى، بينما افتعلت المرأة الوالدنية ابتسامة جامدة من خلف المنضدة. دمدمت كورا وهي تقذف بقطعة من الخيش وبضع قطع من الصوف جانباً: «انظري إلى كل هذا القرف».

سألتها جلاس بينما تمرّر أصابعها على قطعة صغيرة من الحرير الوردي الباهت: «عمَّ تبحثين؟».

كانت جميلة، حتى مع وجود علامات الصدأ وبقع الماء التي تحد حوافها، ولكن سيكون من المستحيل العثور على المزيد من القطع المتشابهة معها بما يكفي لصنع حقيبة سهرة صغيرة، ناهيك بثوب.

- لقد قضيتُ سنوات أجمع قطعاً من الساتان الأزرق، وأخيرا أصبح لدي ما يكفي لصنع ثوب قصير، ولكنّني أحتاج إلى أن أجد شيئاً أضعه كطبقة خارجية عليه حتى لا يبدو مُرقعاً.

جعدت كورا أنفها وهي تفحص قطعة كبيرة من قماش الفينيل الشفاف، وسألت: «كم ثمن هذه؟».

أجابتها المرأة الوالدنية: «سِتٌّ».



وجّهت كورا ناظريها نحو جلاس قائلة: «لا بد أنكِ لستِ جادة، إنها ستارة حمام».

- إنها صناعة أرضية.

قالت كورا متهكمة: «ومصدق عليها من قِبَل مَن؟».

سألت جلاس وهي تلتقط قطعة من الشبك الأزرق: «ماذا عن هذه؟»

بدت وكأنها كانت جزءاً من كيس بضائع ذات يوم، ولكن أحداً لن يتمكّن من أن يلاحظ ذلك بمجرد أن تخاط إلى الثوب.

قالت كورا متهللة الأسارير وجذبت القطعة من يد جلاس: «أووه، لقد أعجبتني».

ألصقتها بجسدها لكي تفحص طولها، وابتسمت لجلاس قائلة: «من الجيد أن الوقت الذي قضيتِه في الحبس لم يؤثر في ذوقكِ في الموضة».

جمدت جلاس دون أن تقول شيئاً.

- إذن، ماذا سوف ترتدين؟

- من أجل ماذا؟

قالت كورا، وقد نطقت كل مقطع كما يفعل المرء أحياناً مع طفل صغير: «من أجل حفل المشاهدة، حفل المُذَنَّب؟».

- آسفة.

هزَّت جلاس كتفيها، فعلى ما يبدو، لم يكن قضاء ستة أشهر في الحبس يُعد عذراً لعدم تمكنها من مواكبة مناسبات فينيكس الاجتماعية.

- ألم تخبركِ والدتك بشأنه عند عودتك؟

أحاطت كورا خصرها بالشبكة على شكل تنورة، وتابعت: «هناك مُذَنَّب مُتوقَّع أن يمر بجوار السفينة مباشرة، سيكون الأقرب منذ تأسيس المستوطنة».

- وسيقام حفلٌ لمشاهدته؟

أومأت كورا مؤكدة، وقالت: «في طابق الرصد. لقد عملوا على توفير الاستثناءات بشتى أشكالها من أجل توفير الطعام، والشراب، والموسيقى، وكل تلك الأمور هناك. سوف أذهب مع ڤيكرام.

ابتسمت ابتسامة عريضة، ولكنها سرعان ما اختفت. استدركت: «أنا واثقة من أنه لن يمانع مجيئكِ بصحبتنا، إنه يعلم أن هناك -حسناً- ظروفاً مخففة».

ابتسمت لجلاس ابتسامة مشفقة والتفتت مجدداً إلى المرأة الوالدنية: «كم ثمنها؟»

- تسع.

أخذ رأس جلاس يدور فجأة. تمتمت بعذر ما إلى كورا -التي ما زالت تتفاوض مع البائعة- ثم مضت ناحية طاولة مجاورة تعرض مجموعة من الحُلِيّ لتلقي نظرة. مررت أصابعها بحركة لا إرادية على رقبتها العارية؛ إذ كانت ترتدي شريحة على شكل عقد دائماً، وهو جهاز وقع اختيار بعض فتيات فينيكس عليه بديلاً لسمّاعات الأذن أو عدسات القرنيّة. كان من الأكثر أناقة أن تمتلك الشريحة بداخل قطعة مجوهرات، لو أنك محظوظ بما يكفي لكي ترثها من عائلتك، أو نجحت في إيجاد شيء ما في قسم المقايضة.

تفحّصت بعينيها المجموعة اللّامعة حتى خطفت أنظارها لمعة ذهبية؛ دلاية بيضاوية تحملها سلسلة رقيقة. سحبت نفساً عميقاً إلى رئتيها إذ شعرت بموجة من الألم تضربها، وتجتاح كل بوصة من جسدها بمزيج من الحزن والكآبة. أدركت أن عليها أن تلتفت وتمضي مبتعدة، ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها.

مدّت جلاس ذراعاً مُرتجفة والتقطت القلادة. لم تستطع أن ترى شكلها بوضوح، إذ غشت الدموع عينيها. مررت إصبعها على الحرف المحفور من الخلف. كانت تعرف دونما حاجة إلى النظر أنه حرف ج مُزخرف بالخط المائل.

سألها لوك وهو يميل برأسه إلى الوراء إلى جانب رأسها على الأريكة: «هل أنتِ واثقة من أنكِ لا تمانعين قضاء يوم ميلادكِ على متن والدن؟».

كانت النظرة القلقة التي كست وجهه صادقة للغاية، لدرجة جعلتها تضحك.

- كم مرة ينبغي أن أخبرك؟

رفعت ساقيها ووضعتهما فوق ساقي لوك وأردفت: «ليس هناك مكان آخر أفضل الوجود فيه».

- ولكن ألم ترغب أمكِ في إقامة حفل فاخر من أجلك؟

أراحت جلاس رأسها على كتفه.

- أجل، ولكن ما الفائدة لو أنك لا تستطيع الحضور؟

- لا أريدكِ أن تتخلي عن حياتك بأكملها لمجرد أنني لا يمكنني أن أكون جزءاً منها.

مرر لوك أصابعه على ذراع جلاس، وقال بجدية على نحو مفاجئ: «هل تمنيتِ قط لو أننا لم نُوقفكِ تلك الليلة؟».

بطبيعة الحال لم يُوكل إلى لوك -بصفته عضواً في وحدة الهندسة الميكانيكية المرموقة- تكليف عسكري في نقطة التفتيش، ولكنه استُدعي ذات مساء كانت جلاس تعدو عائدة من المدرسة بصحبة ويلز.

- هل أنت تمزح؟

رفعت رأسها لتطبع قُبلة على خدّه، فكان مذاق جلده كافياً لتسري القشعريرة في كامل جسدها. واتّجهت بشفتيها إلى الأسفل شيئاً فشيئاً، مروراً بحدود فكه، ثم إلى أذنه، وهمست وهي تبتسم عندما ارتعش رعشة خفيفة: «إن مخالفة حظر التجول في تلك الليلة أفضل قرار اتخذته في حياتي».

لم يكن حظر التجول مفروضاً بشكلٍ صارم على متن فينيكس، ولكن تم إيقافها بواسطة حارسين، تسبب أحدهما في وقت عصيب لجلاس؛ أجبرها على أخذ بصمة إبهامها، وطرح أسئلة غير ودية عليها. حتى تدخل الحارس الآخر في النهاية وأصر على اصطحاب جلاس بقية الطريق.

همس لوك: «اصطحابُكِ إلى المنزل كان أفضل قرار اتخذته في حياتي. رغم أنني كنتُ أتعذب كي أمنع نفسي من تقبيلك تلك الليلة».

- حسناً، إذن لا ضير من أن نعوض الوقت الضائع الآن.

أخذت قبلاتها تزداد نهماً ورغبة حين وضع لوك يده خلف رأسها وداعب شعرها بأنامله. حركت جلاس جسدها حتى أصبحت تجلس في حضن لوك. شعرت بذراعه الأخرى تحيط خصرها كي لا تسقط.

همس لوك في أذنها: «أحبكِ».

لا يهم كم من المرات سمعت هذه الكلمة؛ إذ لم تفشل قط في بث رعشة في جسدها. ابتعدت عنه بما يسمح لها بأن تتنفس، وقالت: «أنا أيضاً أحبك».

راحت تُقَبِّله مجدداً. انسابت يدها على صدره بنعومة.

دفع لوك يدها جانباً برفق وقال: «يجب أن نأخذ هدنة».

فطوال البضعة الأسابيع الماضية، كان الأمر يزداد صعوبة كي لا تتطور علاقتهما عن الحد المسموح.

- لا أرغب في ذلك.

ابتسمت جلاس ابتسامة بريئة، وأعادت شفتيها إلى أذنه: «كما أن اليوم يوم ميلادي».

ضحك لوك، وراح يئنّ وهو ينهض واقفاً بينما لا تزال جلاس بين ذراعيه.

- ضعني أرضاً!

راحت جلاس تقهقه وهي تركل بقدميها في الهواء.

- ماذا تفعل؟

تقدم لوك بضع خطوات إلى الأمام.

- سآخذكِ إلى قسم المقايضة، سوف أبدل بكِ فتاة لا تبذل قصارى جهدها لتقودني نحو المتاعب.

صاحت باستياء ضاحك: «مهلًا».

ثم راحت تضرب صدره بقبضَتَي يديها.

- أنزلني!

التفت لوك مبتعداً عن الباب.

- هل تنوين أن تضبطي نفسكِ؟

- ماذا؟ ليس ذنبي أنك مثير للغاية لدرجة ألا يمكنني التحكم في إبعاد يديَّ عنك.

قال محذراً: «جلاس!».

- حسناً، أجل، أعدك.

- جيد.

سار عائداً إلى الأريكة وأنزلها برفق إلى الأسفل.

- لأنه سيكون من المؤسف لو لم أتمكن من إعطائك هديتك.

سألته جلاس وهي تدفع نفسها إلى الأمام في وضعية الجلوس: «ما هي؟».

قال لوك بحذر بالغ: «حزام عفة، لأجلي. وجدته في قسم المقايضة. كلفني ثروة طائلة، ولكن الأمر يستحق من أجل حماية...».

صفعته جلاس في صدره، فضحك لوك ولفَّ ذراعيه حول خصرها، وقال مبتسماً: «آسف».

أدخل يده في جيبه ثم توقف.

- إنها ليست مغلفة أو أي شيء.

- لا بأس.

أخرج لوك شيئاً من جيبه ومدّ ذراعه نحوها، حيث لمعت قلادة ذهبيّة فوق راحة يده.

همست جلاس وهي تمدّ يدها لتأخذ القلادة: «لوك، إنها جميلة».

اتّسعت عيناها وهي تمرر أصابعها على جوانبها المستدقة. نظرت إليه في دهشة قائلة: «إنها صُنِعَت على الأرض».

أومأ مؤكداً.

- أجل، يُفترض بها أن تكون كذلك على الأقل، استناداً إلى السجلات.

التقط لوك القلادة من يدها.

- أتسمحين لي؟

أومأت جلاس موافقة، فوقف لوك خلف ظهرها ليُحكِمَ إغلاق المحبس. ارتعش جسدها لدى لمسة يده على رقبتها بينما يُنَحِّي شعرها جانباً. يمكنها فقط أن تتخيل كم ثمن شيء مثل هذا. لا بد أن لوك قد أنفق كل مدّخراته لشرائها، فحتى لو كان حارسًا، لم تكن حصته من النقاط كبيرة بما يكفي ليقتطع جزءاً منها للادخار.

التفتت جلاس لتنظر إليه، وقالت وهي تمرر إصبعها على السلسلة: «لقد أحببتها».

أضاءت ابتسامته كامل وجهه.

- أنا سعيد للغاية لأنها أعجبتكِ.

مرّر لوك يده على رقبتها وقلب القلادة على الوجه الآخر، كاشفا عن حرف ج محفور على الذهب.

سألت جلاس: «هل فعلت ذلك؟».

أومأ لوك.

- حتى لو بعد ألف عام، أود أن يعلم الناس أنها كانت لكِ يوماً.

ضغط بإصبعه على القلادة، فلامس المعدن بشرتها.

- والآن، عليكِ فقط أن تضعي ما تشائين من ذكرياتك بداخلها.

ابتسمت جلاس وقالت: «أعلم ما الذكرى التي أود أن أبدأ بها».

نظرت إليه. توقعت أن ترى لوك يشيح بناظريه، ولكن وجهه كان جادّاً. التقت أعينهما، فساد الصمت لحظات طوالاً، عدا صوت ضربات قلبيهما المتلاحقة.

عقد لوك حاجبه قليلًا، ومرر إصبعاً على طول ذراعها من الداخل وقال: «هل أنتِ متأكدة من هذا؟».

- إنني متأكدة من هذا أكثر من أي شيء آخر في حياتي.



أمسك لوك بيد جلاس، فشعرت بتيار من الكهرباء يسري عبر جسدها. ضم يدها بأصابعه بقوة، ودون أن ينبس بكلمة، سار بها إلى غرفة نومه.

قالت جلاس لنفسها: لقد قايضها بالطبع. سيكون من السخيف أن يحتفظ بقطعة ثمينة كهذه، وخصوصاً بعدما كسرت قلبه. ولكن مجرد فكرة أن قلادتها التي تركتها من خلفها انتهت بها الحال ملقاة لتباع بثمن بخس في قسم المقايضة، فجرت بداخلها كدرا كاد يفطر قلبها إلى نصفين. شعرت جلاس بوخز من خلف رقبتها أخرجها من شرودها. تمالكت شتات نفسها إذ توقعت أن ترى جمعا آخر من الحمقى يحدقون إليها في ارتياب صريح. ولكنها عندما التفتت، وقعت عيناها على شخص آخر تماماً. لوك.

ظل يحدّق إليها حتى تورد وجهها، ثم أبعد عينيه عنها عندما استرق نظرة إلى المنضدة. اكتسى وجهه بتعبير غريب عندما وقعت نظرته المحدقة على القلادة. قال بصوت هادئ: «إنني دَهِشٌ أن أحداً لم يأخذها إلى الآن؛ إنها جميلة حقّاً».

ألقى بذراعه إلى جانبه، والتفت إليها يعلو وجهه شبح ابتسامة حزينة.

- ولكن أحياناً، يمكن للأشياء الجميلة أن تؤذيك بشدة.

شرعت جلاس تقول: «لوك، أنا.....».

ولكنها توقفت لمّا لاحظت هيئة مألوفة خلف لوك. كانت كاميل واقفة خلف منضدة البيع لجناح المطبوعات الورقيّة وعيناها مثبتتان على جلاس.

نظر لوك نظرة خاطفة من فوق كتفه، ثم التفت مجدداً إلى جلاس.

- تغطي كاميل مكان والدها، إنه مريض منذ مدّة.

- آسفة لذلك.

قبل أن تجد جلاس وقتاً كافياً لقول أي شيء ء آخر، تشتت انتباهها بسبب الأصوات التي تعالت فجأة.

التفتت جلاس فرأت كورا تصرخ في المرأة الوالدنية قائلة: «إذا رفضت أن تقدمي لي ثمنًا معقولاً، فإني سأضطر حينها إلى أن أبلغ عنكِ بتهمة الاحتيال».

بُهِتت المرأة، وتفوهت بشيء لم تستطع جلاس سماعه، ولكن بدا أنه شيء جاء على هوى كورا؛ إذ ابتسمت ورفعت إبهامها لتمسح بصمتها. تجهم وجه جلاس، وشعرت بالإحراج من سلوك صديقتها، وقالت: «آسفة، يجب أن أذهب».

ربَّت لوك على ذراعها وقال برجاء: «لا تذهبي، لقد كنتُ قلقاً عليكِ». خَفَضَ صوته «ماذا تفعلين هنا؟ هل هذا آمن؟».

ملأ الاهتمام الذي بدا في صوته بعضاً من الشقوق الدقيقة في قلبها المحطّم، ولكنه لم يكن كافياً ليذهب عنها الألم.

قالت جلاس محاولة بجد أن تحافظ على ثبات صوتها: «إنه آمن. في الواقع لقد عُفِيَ عني».

اتسعت عينا لوك وهو يقول: «عُفِي عنكِ؟ يا إلهي، لم أفكر قط في أن... هذا مذهل».

تردد هنيهة كما لو كان يفكر كيف يتابع حديثه، وقال: «فكما تعلمين، أنت في الأساس لم تخبريني لماذا أخذوكِ إلى الحبس قط».



أشاحت جلاس بعينيها إلى الأرض تحارب رغبة جامحة في أن تخبره بالحقيقة، فذكرت نفسها بحزم قائلة: يستحق أن يكون سعيداً، إنه لم يعد لكِ بعد الآن.

تكلمت أخيراً: «لا يهم، أريد فقط أن أترك كل ذلك خلف ظهري».

أخذ لوك يحدق إليها، فتساءلت لحظة إذا ما تمكن من أن يرى ما يجول في دواخلها. قال أخيراً: «حسناً، اعتني بنفسك».

أومأت جلاس قائلة: «سأفعل».

كانت تدرك أنها تفعل الصواب، لأول مرة. تمنت فقط لو أنه لا يؤلم بهذا القدر.

الفصل الثاني عشر

كلارك

جلست كلارك في خيمة المستوصف المظلمة تراقب تاليا بتوتر وهي تتقلّب في نومها باستمرار، تؤرقها الحمى التي تزداد فتكاً كلما ساءت العدوى.

- ماذا تظنين أنها تحلم به؟

التفتت كلارك ورأت أوكتافيا واقفة تحدق إلى تاليا باتساع عينيها.

كذبت كلارك: «لست واثقة».

فمن ملامح وجه تاليا، تمكنت كلارك من أن تعلم أنها كانت تفكر في والدها مجدداً. لقد سُجنت لمحاولتها أن تسرق دواء بعد أن حكم المجلس بعدم إخضاعه للعلاج؛ فمع الإمدادات الطّبية الضئيلة، وجد المجلس أن إضافته إلى مستقبل المستوطنة ضئيلة للغاية لكي يستحق إهدار الموارد من أجلها، لا تدري تاليا بأمر ما حدث إلى الآن؛ إذا كان استسلم لمرضه بعد القبض عليها، أو إذا كان لا يزال متشبّثاً بالحياة يدعو أن يحالفه الحظ في أن يرى ابنته مرة أخرى ذات يوم.

أخذت تاليا تئنّ وقد تكوّرت على نفسها كالكرة، فتذكّرت كلارك ليلي في إحدى لياليها الصعبة، عندما كانت كلارك تتسلل خلسة إلى المختبر حتّى لا تبقى صديقتها بمفردها. وعلى الرغم من أن أحداً لم يمنع كلارك عن مساعدة تاليا، فقد كانت تشعر بالاضطراب ذاته وقلة الحيلة ذاتها. لو لم يجدوا الأدوية التي فقدت في أثناء اصطدام سفينة الإنزال، فلن يكون هناك أي شيء آخر يمكنها فعله لكي تخفف من معاناتها.

رفرف ستار الخيمة وهو يفتح، فامتلأ الداخل بالضوء والهواء البارد نتن الرائحة، ثم دلف بيلامي إلى الداخل. كان يحمل قوساً يتدلّى من فوق كتفه، وكانت عيناه تلمعان. ابتسم قائلاً بينما يتقدّم باتجاه سرير أوكتافيا: «صباح الخير أيتها السيدات».

جثا على ركبتيه ليُداعب شعرها، الذي لم يزل محكماً بشريط أحمر مربوط بعناية. كان قريباً بما يكفي لكيلا تستطيع كلارك أن تمنع أنفها من أن تلتقط رائحة العرق الخفيفة التي علقت بجلده واختلطت برائحة أخرى لم تسطع تمييزها، ولكنّها جعلتها تفكر في الأشجار.

سأل أوكتافيا وهو يبالغ في التحديق إلى كاحلها بتركيز وفحصه من جميع الزوايا: «كيف حال كاحلك؟».

- أفضل حالاً.

حرَّكته بحذر بالغ، والتفتت إلى كلارك قائلة: «هل أصبح بإمكاني أن أذهب الآن؟»

ترددت كلارك، فلا يزال كاحل أوكتافيا ضعيفاً للغاية، ولم تستطع أن تصنع لها دعامة قوية. إذا عرضته إلى ضغط كبير، عاد الالتواء مثلما كان من جديد، أو أسوأ.



تنهّدت أوكتافيا، ثم عضت على شفتها السفلى في رجاء وقالت: «أرجوكِ؟ إنني لم أقطع كل هذا الطريق إلى الأرض لكي أظل جالسة بداخل خيمة».

قال بيلامي: «لم يكن لديك خيار. ولكن أنا بالتأكيد لم أعرض مؤخرتي للخطر بالمجيء إلى هنا لكي أشاهدك وأنتِ تُصابين بالغرغرينا».

سألته كلارك في دهشة: «من أين تعلم بأمر الغرغرينا؟».

لم يتعرض أي أحد لهذه الدرجة من تطور العدوى في المستوطنة من قبل قط، وكانت تشك في أن هناك كثيرين غيرها قد قرؤوا النصوص الطبية القديمة من أجل التسلية.

رفع بيلامي حاجباً وأجاب: «إنكِ تخيبين أملي أيتها الطبيبة، لم أكن أظنكِ واحدة من أولئك».

- ماذا تقصد بواحدة من أولئك؟

- واحدة من أولئك الفينيكسيين الذين يفترضون اعتباطاً أن الوالدنيين جميعهم جهلاء.

أشاحت أوكتافيا بعينيها متململة والتفتت إلى بيلامي قائلة: «ليس كل شيء إساءة لك، أتعلم هذا؟».

فتح بيلامي فمه ليتكلم، ولكنه فكر في الأمر مليّاً، ثم ضمّ شفتيه في ابتسامة متكلفة.

- من الأفضل أن تنتبهي، وإلا سأرحل من دونك.

عدَّل من وضعية القوس على كتفه، فقالت أوكتافيا وقد اكتست ملامحها بالجدية: «لا تتركني، أنت تعلم كيف أشعر حين أكون محبوسة».

لاح تعبيرٌ غريب على وجه بيلامي، فتساءلت كلارك عما يدور في رأسه.

ابتسم أخيراً وقال: «لا بأس، سآخذكِ إلى الخارج، ولكن قليلاً من الوقت فقط؛ أريد أن أحاول أن أصطاد مجدداً قبل أن يعم الظلام». التفت ناحية كلارك. «هذا إذا قالت الطبيبة إن لا مانع في ذلك».

أومأت كلارك وقالت: «فقط توخيا الحذر».

ثم نظرت إليه نظرة متسائلة: «هل تعتقد حقّاً أنك ستتمكن من الصيد؟ إن أحداً لم يلمح أي حيوان ثديي قط، ناهيك بأن يحاول صيد واحد».

- يتوجب على أحد أن يفعل. لن تصمد عبوات الغذاء التي لدينا أسبوعاً واحداً بالمعدل الذي يستهلكونها به.

ابتسمت له باقتضاب وقالت: «حسناً، حظّاً وافراً».

سارت كلارك إلى سرير أوكتافيا وساعدت بيلامي أن يُنهِضها على قدميها.

قالت أوكتافيا: «أنا بخير».

حاولت أن تتزن على قدم واحدة ممسكة بذراع بيلامي. قفزت إلى الأمام وسحبته باتجاه باب الخيمة قائلة: «هيا بنا!».

لف بيلامي رأسه لينظر من فوق كتفه، وقال: «صحيح، بالمناسبة يا كلارك، لقد عثرت على بعض الحطام عندما خرجتُ إلى الغابة، هل ترغبين في إلقاء نظرة غداً؟».

سحبت كلارك نفساً إلى رئتيها إذ تسارعت ضربات قلبها، وقالت: «أتظن أن من الممكن أنها الإمدادات المفقودة؟».

تقدمت خطوة إلى الأمام. «فلنذهب الآن».

هزّ بيلامي رأسه رافضاً.

- إنها على مسافة بعيدة جدّاً. لن نتمكن من العودة قبل أن يعم الظلام. سنذهب غداً.

ألقت نظرة على تاليا، التي كان وجهها لا يزال محتقناً من الألم.

- حسناً، سيكون أول شيء نفعله صباحاً.

- دعينا ننتظر حتى الظهيرة، سأذهب للصيد في الصباح؛ ذلك هو الوقت الذي تخرج فيه الحيوانات بحثاً عن الماء.

قاومت كلارك رغبتها في أن تسأله أين تعلم كل ذلك، ولكنها لم تستطع أن تخفي الدهشة التي ظهرت على وجهها.

سألها بيلامي: «إذن سنتقابل غداً؟»

أومأت كلارك موافقة، فابتسم قائلًا: «رائع، هذا موعد إذن».

راقبتهما كلارك يغادران الخيمة، ثم عادت مجددا إلى تاليا، فتحت صديقتها عينيها بعض الشيء وقالت بوهن: «مرحباً».

سألتها كلارك وتحركت لتفحص مؤشرات تاليا الحيوية: «كيف تشعرين؟».

قالت بصوت خافت: «بخير حال. أرى أنكِ تستعدين للانضمام إلى بيلامي في رحلة صيده القادمة».

ابتسمت كلارك.

- ظننت أنكِ كنتِ نائمة.

- كنت كذلك، بين النوم واليقظة.

سألتها كلارك: «سوف ألقي نظرة سريعة فقط، حسناً؟».

أومأت تاليا موافقة. دفعت كلارك الغطاء جانباً ورفعت قميص تاليا. أشعت خطوط حمراء من الجرح النازف، علامة محذرة على أن العدوى توشك على الانتقال إلى مجرى الدم.

- هل تشعرين بالألم؟

أجابت تاليا بصوت أجوف: «لا».

كانت كل منهما تعرف أنها لا تتحسن على الإطلاق.

سألت كلارك لتغير مجرى الحديث بينما تعيد الغطاء مجدداً: «هل يمكنكِ أن تصدقي أنهما شقيقان حقّاً؟».

أجابت تاليا وقد ازداد صوتها قوة قدراً ضئيلاً: «أجل، إنه لأمر جنوني عندما تفكرين فيه».

- الأمر الجنوني هو أن يُقدِم أحدهما على خدعة كتلك في حجرة الإطلاق.

ولكنه شجاعٌ حقّاً. كانوا سيقتلونه لو أنهم أمسكوا به.

توقفت قليلاً ثم أردفت: «سوف يقتلونه عندما يهبطون».

- لقد فعل الكثير ليبقيها في أمان.

وافقتها تاليا، ولكنها أشاحت بوجهها بعيداً عن كلارك محاولة إخفاء تجهم وجهها تحت وطأة ضربة ألم جديدة اجتاحتها.

- إنه يحبكِ حقّاً، تعرفين هذا.

سألتها كلارك في ذهول: «من؟ بيلامي؟».

- لا، أقصد ويلز. لقد أتى إلى الأرض من أجلكِ يا كلارك.

ضمت كلارك شفتيها معاً بقوة.

- لم أطلب منه أن يفعل.

قالت تاليا بوهن بالغ: «لقد ارتكبنا جميعاً أموراً لا نفتخر بها».

اختلجت كلارك وأغمضت عينيها، وقالت: «إنني لا أطلب من أي أحد أن يسامحني».

- ليس هذا ما أقصده، وأنتِ تدركين ذلك.

توقفت تاليا لتلتقط نفساً. كانت تبذل جهداً مضنياً لتتحدّث.

اقتربت كلارك وسحبت الغطاء إلى كتفي صديقتها وقالت: «أنتِ في حاجة إلى الراحة. يمكننا أن نتحدث عن هذا غداً».

صاحت تاليا: «كلا! إن ما حدث لم يكن خطأكِ يا كلارك».

- بالتأكيد كان خطئي.

رفضت كلارك أن تواجه نظرات صديقتها؛ فتاليا هي الوحيدة التي عرفت ما قد فعلته كلارك بالضبط، ولم تقدر كلارك على أن تواجه هذا الآن؛ أن ترى تلك الذكرى بادية في عيني صديقتها الداكنتين والمعبرتين.

- وما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى ويلز على أي حال؟

أغمضت تاليا عينيها وتنهّدت متجاهلة السؤال.

- عليكِ أن تسمحي لنفسكِ بأن تكوني سعيدة، وإلا فما أهمية أي شيء في الحياة؟

فتحت كلارك فمها لتطلق ردّاً مفحِماً، ولكن الكلمات تبخرت عندما رأت تاليا تنحني وقد أخذت تسعل فجأة. همست كلارك وهي تمرر يدها خلال شعر صديقتها الملبد بالعرق: «سيصبح كل شيء بخير، ستصبحين بخير».

هذه المرة لم تكن كلماتها تضرُّعاً أو دعاء، بل كانت إقراراً. رفضت كلارك أن تسمح لتاليا بالموت، ولم يكن شيء ليوقفها. لن تدع أقرب صديقاتها تنضم إلى جوقة الأشباح التي تعثو بداخل رأسها.

الفصل الثالث عشر

ويلز

نظر ويلز إلى السماء المترعة بالنجوم بالأعلى. لم يتخيل قط كم أنه سيشعر بالحنين إلى الوطن عندما يحدّق إلى ذلك المشهد المألوف من بعد مئات الكيلومترات، كان من المُزعج أن يرى القمر بهذه الضآلة والرتابة، وكأنّك استيقظت ذات يوم لتجد وجوه عائلتك صمَّاء بلا ملامح.

جلس الآخرون من حوله بجوار نار المخيّم متذمّرين ومُتأففين. إنهم على سطح الأرض منذ أقل من أسبوع، وقد أوشكت حصص الغذاء على النضوب بالفعل، وكانت حقيقة أنه لم تبقَ بحوزتهم أية أدوية تعكر صفوهم. ولكن همهم الأكبر في تلك اللحظة كان موارد الغذاء. إما أن المستوطنة أخطأت في حسابات احتياجاتهم من المؤن، وإما أن جراهام ورفاقه يحتكرون مؤنة أكثر مما يظن. في كلتا الحالتين، كانت آثار ذلك قد بدأت في الظهور بالفعل. لم يقتصر الأمر فقط على التجاويف التي تكوّنت أسفل عظام خدهم، فقد بث الجوع الذي بدا في عيونهم الرعب في ويلز. لم ينسَ قط أن كل واحد منهم قد سُجِنَ لسبب ما، وأن كل واحد ممَّن يُحيطون به قد ارتكب شيئًا يعرض المستوطنة للخطر. وكان ويلز أولهم.

في هذه اللحظة، خرجت كلارك من خيمة المستوصف وسارت متّجهة نحو نار المخيم. مسحت الدائرة بعينيها بحثًا عن بقعة فارغة. كان هُناك مكان

شاغر بجوار ويلز، ولكنّها تخطّته إلى الجانب الآخر. جلست بجانب أوكتافيا، التي كانت جاثمة فوق جذع شجرة وساقها المُصابة ممدودة أمامها.

زفر ويلز والتفت ليجيل بصره حول ساحة المُخيم، بينما راحت ظلال اللهب تتراقص على الأجسام المُظلمة للخيمات الثلاث التي نصبوها أخيرًا: خيمة المستوصف، وخيمة لتخزين المؤن، وأكثر ما يفضله ويلز شخصيًّا: خندق لتجميع المياه، في حال سقطت الأمطار، على الأقل حينها لن ينهار مخيمهم بالكلية. كان أبوه سيفخر بهم عندما ينضم إليهم على الأرض.

لو انضم إليهم. ازداد الأمر صعوبة في أن يقنع نفسه بأن والده على ما يُرام، وأن جرح الرصاصة كان سطحيًّا فقط. ضاق صدره بألم لدى تخيله أباه يُنازع من أجل البقاء على قيد الحياة بينما يرقد على سرير بالمشفى، أو الأسوأ، أن جسده يطفو في مكان ما في الفضاء. كانت كلمات أبوه لا تزال تتردّد في أذنيه: لو أنَّ أحدًا بإمكانه إنجاح هذه المهمّة، فهو أنت. بعد دهر من دفع ويلز إلى العمل بجهد أكبر، وأن يبذل قصارى ما في وسعه، تساءل لو أنه من المُمكن أن يكون المستشار قد أعطى آخر أوامره لابنه.

انبعثت أصوات غريبة من الأشجار. انتصب ويلز في جلسته وقد تنبّهت كل حواسه. كان ثمّة صوت طقطقة حادّة تبعه حفيف. استحالت همهمات الأحاديث حول النار إلى أنفاس لاهثة مُتلاحقة إذ تجسَّدت هيئة غريبة أمامهم من بين الظلال: نصف بشري، ونصف حيوان، وكأنَّه مخلوق من الأساطير القديمة.

هب ويلز واقفًا على قدميه، ولكن بعد ذلك عبر المخلوق خط الأشجار متّجهًا ناحية الضوء.

وقف بيلامي أمامهم وجثّة هامدة لحيوان ما تجثم فوق كتفيه، مُخلّفًا في إثره مسارًا من الدّماء.

كان غزالًا. تفحّص ويلز الحيوان الميت بعينيه، فراءه البني الفاتح، وسيقانه الطويلة الهزيلة، وأذنيه المخروطيتين بدقة. في أثناء ما سار بيلامي باتجاههم، أخذ رأس الغزالة يهتز جيئةً وذهابًا، ولكنّه لم يكوِّن التواءً كاملًا قط؛ لأنَّه في كل مرة يتأرجح إلى الخلف كان يصطدم بشيء آخر.

كان رأسًا آخر، يتدلَّى من رقبة هزيلة أخرى؛ كان الغزال ذا رأسين.

جمد ويلز في مكانه، في حين تدافع جميع من حوله مهتاجين. اقترب بعض منهم خطوات مترددة ليلقي نظرة من قرب، بينما تراجع آخرون مرتعبين.

سألت إحدى الفتيات: «هل هو آمن؟».

- إنه آمن.

كان ذلك صوت كلارك، الذي انبعث من بين الظلال، ومن ثمَّ تقدّمت إلى داخل الضوء واستدركت: «ربما يكون الإشعاع قد أحدث تحَوُّرًا في المادة الوراثية منذ مئات السنين، ولكن لن يكون له أي أثر الآن».

غرق الجميع في صمت مترقب، بينما تمد كلارك يدها لتمسّد فراء المخلوق. بدت جميلة كما لم تكن قبلًا وهي واقفة وسط ضوء القمر.

التفتت كلارك إلى بيلامي تعلو وجهها ابتسامة اضطربت لها معدة ويلز، وقالت: «لن نموت جوعًا».

ثمَّ قالت شيئًا لم يستطع ويلز سماعه، وأومأ بيلامي موافقًا.

زفر ويلز متمنّيًا لو يخرج ما يشعر به من حنق مع زفرته. سحب نفسًا عميقًا إلى رئتيه مجدّدًا قبل أن يمضي باتِّجاه بيلامي وكلارك، التي جمدت في مكانها ما إن اقترب منهما. أجبر ويلز نفسه على أن يبقي عينيه مركزتين على بيلامي.



قال ويلز: «شكرًا لك، سوف يطعم ذلك الكثير من الناس».

حدق بيلامي إليه في تساؤل وهو يبدل وقفته من قدم إلى أخرى، فقال ويلز: «إنني أعني هذا. شكرًا».

أخيرًا، أومأ بيلامي. مضى ويلز عائدًا إلى مكانه بجوار النار، تاركًا بيلامي وكلارك يتحادثان بهدوء، كلٌّ منهما مُطرقٌ برأسه.

كان طابق الرصد فارغًا تمامًا، وبينما كانا يحدّقان إلى بحر شاسع من النجوم التي لا تُعد ولا تُحصى، تمكن ويلز بسهولة من أن يتخيل أنهما الاثنان الوحيدان على قيد الحياة في الكون بأكمله. ضمّ كلارك بذراعه بقوة أكبر، فدفنت رأسها في صدره وأطلقت زفرة. غاصت داخل ذراعيه بينما يغادر الهواء جسدها، وكأنما تود أن تندمج معه لتصبح أنفاسهما واحدة.

همهمت قائلة: «كيف كان يومك؟».

- بخير.

تساءل ويلز لماذا يُحاول أن يكذب عندما تكون كلارك ملتصقة بصدره، فهي قادرة على قراءة ضربات قلبه وكأنها شيفرة مورس.

سألته كلارك والقلق يلتمع في عينيها الخضراوين الواسعتين: «ماذا حدث؟»

يتضمن تدريبه العسكري رحلات دورية إلى والدن وأركاديا للتفتيش على الحراس، واليوم قد رآهم يقبضون على امرأة أصبحت حاملًا في طفل لم يسجل. كان من المستحيل التساهل في هذا الأمر؛ سوف تحبس إلى أن تلد، وسيوضع الطفل تحت رعاية المجلس، وستُعدم الأم بالطبع. كان القانون

قاسيًا، ولكنّه ضروري؛ فالسفينة قادرة على استيعاب عدد محدد من الأشخاص، والسماح لأي أحد بأن يخرب هذا النظام الحساس سيعرض الجنس البشري بأكمله للخطر. ولكن نظرة الذعر التي استحوذت على عيني المرأة بينما يأخذها الحراس حفرت في دماغ ويلز.

المُثير للدهشة أن أبا ويلز هو من ساعده على فهم ما قد رآه، فقد شعر في تلك الليلة على العشاء بأن هناك خطبًا ما، فأخبره ويلز عن الحادثة محاولًا أن يتحلّى بشيم الجنود، وألا يبدو متحيزًا. ولكن تمكن أبوه من أن يرى ما يُحاول إخفاءه ثمَّ -بحركة نادرة- وضع يده فوق يد ويلز على الطاولة، وراح يخبر ابنه: «ما نفعله ليس سهلًا، ولكنّه مصيري. لن نستطيع أن نتحمّل تبعات تركنا لمشاعرنا تعوقنا عن القيام بواجبنا، وهو الحفاظ على بقاء الجنس البشري».

أخرجته كلارك من شروده قائلة: «دعني أخمّن؛ لقد ألقيت القبض على العقل الإجرامي المدبر لسرقة الكتب من المكتبة».

أزال خصلة من شعرها إلى خلف أذنها.

- ليس بعد. ما زالت طليقة. إنهم يشكلون قوة خاصة للبحث عنها بينما نتحدث.

ابتسمت، فبدت رقطات الذهب المتناثرة في عينيها وكأنها تلتمع. لم يستطع أن يتخيل لونًا أكثر جمالًا من لون عينيها.

أولى ويلز النافذة العملاقة انتباهه مجددًا، ففي هذه الليلة، لم تذكره الغيوم التي تُحيط بكوكب الأرض بالكفن، بل كانت تشبه بطانيّة وثيرة. إن الكوكب لم يمت، إنه فقط يغط في نوم مسحور حتَّى يَحين له الوقت ليرحب بالبشرية من جديد.

سألته كلارك: «فيمَ تفكر؟ أتفكّر في والدتك؟».



قال ويلز ببطء: «لا، ليس بالضبط».

مدّ ويلز يده ذاهلًا، ولف خصلة من شعر كلارك حول إصبعه، ثم تركها لتسقط مجددًا فوق كتفها وقال: «على الرغم من أنني أظن -بطريقة ما- أنني أفكر فيها دومًا».

كان عسيرًا عليه أن يصدّق أنها قد رحلت حقًّا. تابع ويلز وقد سرت رعشة باردة في أوصاله بينما يُمعن النظر إلى النجوم: «أريد فقط أن أتأكّد من أنها فخورة بي حيثما كانت».

شدَّت كلارك على يده بقوة لتنقل بعضًا من دفئها إليه.

- بالطبع هي فخورة بك. كانت أي أم ستصبح فخورة بابن مثلك.

التفت ويلز بعينيه مجددًا إلى كلارك قائلًا: «الأمهات فقط؟».

أومأت كلارك بجدّية وقالت: «أعتقد أنك يليق بك أن تكون حفيد الأجداد المفضل أيضًا».

ولكنّها قهقهت ضاحكة عندما لكم ويلز كتفها مازحًا.

- هناك شخصٌ آخر أرغب في أن أجعله فخورًا بي.

رفعت كلارك حاجبًا وقالت: «من الأفضل لها أن تحذر». مدت يديها وعقدتهما معًا خلف رأس ويلز وتابعت: «لأنني لستُ جيدة كثيرًا في المُشاركة».

ابتسم ويلز وهو يميل نحوها وأغمض عينيه. داعب شفتيها بشفتيه بقُبلة مرحة، قبل أن تهبط شفتاه إلى رقبتها، ثم همس في أذنها قائلًا: «وكذلك أنا».

شعر بالرعشة التي سرت في جسدها عندما دغدغت أنفاسه جلدها. جذبته إليها، فأذابت لمستها ما به من انزعاج، حتى نسي ما حدث في يومه، ونسي أنه سيعيده بحذافيره في الغد، واليوم الذي سيليه. كل ما اهتم بشأنه هو الفتاة التي بين ذراعيه.

كانت رائحة شواء الغزال غريبة ومذهبة للعقل. لم يكن هناك لحم في المستوطنة، ولا حتى على متن فينيكس؛ فقد تم التخلص من كل الماشية في نصف القرن الأول.

سألت ويلز فتاة أركادية تُدعى دارسي: «كيف لنا أن نعرف عندما تُصبح جاهزة؟».

أجاب بيلامي دون أن يُدير رأسه إليها: «عندما تتكوّن قشرة بنية مقرمشة من الخارج ويستحيل لونها الداخلي إلى اللون الوردي».

ضحك جراهام ضحكة ساخرة، ولكن ويلز أومأ قائلًا: «أعتقد أنك محق».

قَطَّعوا اللحم عندما برد إلى قطع أصغر حجمًا، ثمَّ بدؤوا في تمريرها حول النار. حمل ويلز بعض اللحم إلى الجانب الآخر من الدائرة، وأخذ يوزعه على الحشد.

قدم قطعة إلى أوكتافيا، التي أمسكت بها أمام وجهها وهي تنظر إلى ويلز قائلة: «هل تذوقته؟».

هز ويلز رأسه نافيًا.

- ليس بعد.

- حسنًا، هذا ليس عدلًا.



ورفعت حاجبيها، ثم أردفت: «ماذا لو اتّضح أن طعمها مُقرف؟».

أجال بصره حول الحلقة وقال: «يبدو الجميع على ما يُرام معها».

زَمَّت أوكتافيا شفتيها معًا.

- أنا لست مثل الجميع.

حدّقت إليه ثواني كأنما تنتظره أن يتكلم، ثم ابتسمت ودفعت قطعة اللحم خاصتها باتجاهه، وقالت: «تفضل، فلتأخذ أنت قضمة أولًا وقل لي رأيك».

قال ويلز: «أنا بخير هكذا، شكرًا لكِ. إنني أريد التأكد من أن كل شخص...».

راحت تقهقه وهي تحاول أن تضعها في فمه.

- هيا، فلتأخذ قضمة واحدة.

اختلس ويلز نظرة إلى ما حول الدائرة ليتأكد من أن كلارك لم تكن تشاهدهما. لم تكن؛ إذ كانت منهمكة في محادثة مع بيلامي. التفت ويلز مجددًا إلى أوكتافيا، وقال هو يأخذ قطعة اللحم من يدها: «حسنًا».

بدت حزينة لأنها لم تطعمه إياها بنفسها، ولكن ويلز لم يكترث لهذا. أخذ قضمة. كانت الطبقة الخارجيّة قاسية، ولكن عندما غاصت أسنانه بداخلها، أخرجت قطعة اللحم فيضًا من العصارة يحمل مذاقًا لا يُشبه أي شيء قد تذوقه ويلز من قبل، مزيجًا متناغمًا من الملوحة والشواء والحلاوة الخفيفة. استغرق بعض الوقت في مضغها، ومن ثم ابتلعها بعد أن هيأ معدته كي لا ترفض تلك المادّة الغريبة، ولكنّه لم يشعر بشيء سوى الدفء.

نهض الأولاد الذين أكلوا أولًا من أمام النار، وراحوا يدورون في ساحة المعسكر. وفي غضون بضع دقائق، اختلطت همهمات محادثاتهم الخافتة بصوت

طقطقة اللهب، ولكن ما لبثت أن تعالت أصوات همهمات مضطربة غطّت على كل الأصوات الأخرى. وشعر ويلز بخدر يسري في ظهره. انتصب واقفًا وسار إلى حيث يقف جمع من الناس بالقرب من خط الأشجار، وسأل: «ماذا يجري؟».

أشارت إحدى الفتيات باتّجاه شيء ما بداخل الأشجار، وقالت: «انظر!».

- ماذا هناك؟

ضيق ويلز عينيه ونظر إلى داخل الظلام. قالت فتاة أخرى: «هناك، هل رأيتها؟».

ظن ويلز وهلة أنهما كانتا تحاولان خداعه، ولكن عينيه التقطتا شيئًا ما، وميض ضوء. كان سريعًا للغاية، لدرجة أنه ربّما يكون من وحي خياله. كانت هناك ومضة أُخرى على بعد بضع أقدام، تلتها أخرى بالأعلى قليلًا هذه المرة.

تقدّم خطوة باتجاه حافة ساحة المخيم، التي أصبحت الآن تتألق بالأضواء اللّامعة وكأن هناك أيادي خفية قد زينتها من أجل احتفال ما. وقعت عيناه على أقرب كرة من تلك الكرات الضوئيّة؛ إذ كانت كرة من الضوء تتدلّى من أقصر فرع لشجرة قريبة.

كان هناك شيء يتحرك بداخل الكرة، كائن ما. كان يشبه نوعًا ما من الحشرات، ذا جسم ضئيل وأجنحة رقيقة وكبيرة بشكل لا يتناسب مع حجمه الضئيل، نطق ويلز الكلمة بشفتين مرتعشتين: «فراشة».

تبعه بعض الأشخاص إلى داخل الغابة، ووقفوا بجانبه يحدّقون جميعًا في عجاب. همس ويلز في الظلام: «كلارك».

لا بد لها أن ترى هذا. أبعد ناظريه عن المشهد واستدار استعدادًا لأن يعدو إليها ليجدها، ولكنّها كانت هناك بالفعل.

وقفت كلارك على مسافة أقدام قليلة منه غارقة في شرودها، بينما يُضيء وجهها الضوء اللامع. وقد اختفى التعبير المضطرب، والقلق الذي لازم ملامح وجهها منذ هبوط السفينة.

قال ويلز بهدوء لم يرغب في أن يقطع السكون الذي يحيط بهما: «مرحبًا».

توقع أن تعبس كلارك في وجهه، أن تسكته، أو أن تمضي مبتعدة عنه، ولكنها لم تتحرك. وقفت ساكنة في مكانها تحدّق إلى الفراشات المضيئة بالأعلى.

لم يتحلَّ ويلز بالشجاعة بما يكفي لكي يتحرك أو يتفوّه بكلمة أخرى؛ فالفتاة التي ظن أنه فقدها لا تزال حاضرة، في مكان ما بداخلها. وأدرك في تلك اللحظة أنه يستطيع أن يجعلها تحبّه مجددًا.

الفصل الرابع عشر

بيلامي

لم يفهم بيلامي لماذا انكبَّ الإنسان القديم على صنع المخدّرات. ما الفائدة من حقن القذارة بداخل أوردتهم، في حين أن السير عبر الغابة له التأثير نفسه؟ كان شيء ما يحدث في كل مرة يعبر إلى داخل الغابة. ما إن يبتعد عن المُخيم مع شروق شمس الصباح الباكر ليشدّ الرحال إلى رحلة صيد جديدة، يبدأ في التنفس بصعوبة، ويخفق قلبه بضربات قوية، بطيئة ومنتظمة، وتعمل أعضاؤه كلها معًا في الوقت نفسه حتى يشعر أن الأرض تنبض أسفل قدميه. الأمر وكأن أحدهم اخترق دماغه وعبث في إعدادات حواسه وغيرها إلى شيء لم يعرف بيلامي بوجوده.

ولكن الجزء الأفضل هو الهدوء؛ فلم يسبق للسفينة أن عمها الصمت التام قط، دائمًا ما يكون هناك طنين خافت ومُزعج في الخلفية: الأزيز الصادر من المولدات، وطنين المصابيح، وأصداء خطى الأقدام في الأروقة. ارتعب عندما دخل الغابة أول مرة، إذ لم يجد ما يسكت ضجيج أفكاره. ولكن لحسن الحظ، فإن ذهنه يزداد صفاء وهدوءًا كلما أمضى وقتًا أطول.

مسح بيلامي الأرض بعينيه، تتخطّى عيناه الصخور والرقع الرطبة من الأرض بينما تبحثان عن أدلة. لم تكن هنالك آثار ليتبعها مثلما حدث بالأمس، ولكن

شيئًا ما أوحى إلى بيلامي بأن ينعطف يمينًا ويمضي عميقًا داخل الغابة، حيث تزداد كثافة الأشجار وتغطى الأرض بظلال عجيبة.

مدّ يده خلف كتفه والتقط واحدًا من السهام من الجراب الذي صنعه بنفسه. على الرغم من أن رؤية الحيوانات وهي تموت أمر فظيع، فقد تحسّنت مهارته في التصويب بسرعة فائقة خلال الأيام القليلة الماضية، فأدرك أن الحيوانات لن تُعاني كثيرًا. لم ينسَ قط الألم والخوف اللذين رآهما في عيني أول أيل اصطاده بينما يترنّح على الأرض بغير هدى. ولكن اصطياد حيوان لا يقل جريمة عن كل الأمور المقززة التي ارتكبها الفتيان الآخرون حتى انتهت بهم الحال إلى هنا. بينما كان يجتز حياة الكائن من جذورها، علم بيلامي أنه قد عاش كل لحظة من تلك الحياة حرًّا طليقًا.

ربما يكون السجناء المئة قد وُعدوا بنيل حريتهم، ولكن بيلامي كان يعلم أنه لن يكون بمقدوره أن يحظى بهذا الامتياز، ليس بعد ما فعله مع المستشار. ولو كان لا يزال بالجوار مع هبوط السفينة التالية، فعلى الأرجح أن أول شخص تطأ قدمه الأرض سيطلق عليه النار في الحال.

لقد سئم بيلامي من الأمر برمته: العقوبات، والمحطات، والنظام. لطالما كان يتبع قوانين أشخاص آخرين. سئم كونه مجبرًا على أن يقاتل ليعيش. لن يكون العيش في الغابة بالأمر اليسير، ولكن على الأقل سيتمكن هو وأوكتافيا من أن يصبحا حُرَّين.

على الرغم من أنه مد ذراعيه ليحافظ على توازنه، كادت قدمه تزل وينزلق على المنحدر، محاولا بأقصى ما أمكنه ألا يصدر صوتًا قد يخاف حيوان في إثره ويهرب. ارتطم بالأرض لدى هبوطه عند أسفل المنحدر، وانغرس حذاؤه المهترئ في الوحل. جفل عندما تدفق الماء عبر ثقوب النعل. سيكون أمرًا شاقًّا أن يعود إلى المخيم سيرًا بجواربه مبللة، وهو شيء تعلمه بواسطة درس قاسٍ. لم يستطع أن يفهم لماذا لم يذكر ذلك في أي من الكتب التي قرأها. ما الفائدة

من معرفة كيفية نصب أشراك من أوراق الأشجار، أو معرفة النباتات التي تستخدم في علاج الجروح، إذا كنت غير قادر على السير؟

علق بيلامي جوربيه على فرع ليجفا، ثم أنزل قدميه إلى النهر. كان الجو قد ازداد حرًّا بالخارج أكثر مما كان عند مغادرته المخيم، وبدا ملمس المياه الباردة على جلده رائعًا، رفع بنطاله إلى ركبتيه، وخاض عميقًا تعلو وجهه ابتسامة بلهاء بينما تغمر المياه عضلات ساقيه. كان ذلك أحد أشيائه المفضلة على الأرض؛ كيف أن شيئًا أرضيًّا مبتذلًا كغسل قدميك يبدو فجأة رفاهية عظيمة.

لم تكن الأشجار شديدة الكثافة بالقرب من النهر، وقد ازدادت أشعة الشمس سطوعًا، فشعر بيلامي فجأة بوجهه وذراعيه يحرقانه بحرارة لا تُحتمل. خلع قميصه وجعّده إلى كرة، ثم ألقاه على العشب قبل أن يجثو على الأرض ويغترف الماء بيديه ويقذفه على وجهه. ابتسم بينما لا يزال مشدوهًا لاكتشافه الباهر أنَّ الماء يمكن أن يكون ذا طعم. لقد اعتادوا أن يلقوا نكاتًا فجّة عن المياه المعاد تدويرها وتنقيتها على السفينة، وكيف أن المرء كان في حقيقة الأمر يشرب بول أجداد أجداده. ولكنه الآن أدرك أن قرونًا من التنقية والتطهير قد جرّدت السائل من كل شيء، حتَّى لم يصبح سوى مجموعة من جزيئات الهيدروجين والأكسجين. انحنى إلى أسفل وملأ يديه بالماء مرة أخرى. لو أنه وصفها، لقال إن لها مذاقًا يشبه خليطًا من السماء والأرض، كائنًا من كان الذي سيسخر مما قال.

انبعث صوت من داخل الغابة انتفض بيلامي على إثره مسرعًا. فقد توازنه وسقط إلى الخلف، فتناثر الماء من حوله. تعثر وهو ينهض على قدميه بسرعة، وشعر بالصخور والطّين أسفل أصابع قدميه العاريتين، بينما يلتفت ليستكشف مصدر الصوت.

- آسفة، لم أتعمد إخافتك.

أرجع بيلامي شعره إلى الخلف، فرأى كلارك واقفة على العشب. كان من المدهش أن يرى شخصا آخر في الغابة، التي بات يظنّها ملكه هو حصرًا. ولكن لم يبد عليه الانزعاج كما كان يتوقع. سألها بينما يعود مجددًا إلى ضفة النهر: «ألم تتمكني من الانتظار حتى بعد الظهيرة؟».

احمرت وجنتا كلارك خجلًا، وقالت مبعدة ناظريها عن صدره العاري: «إننا في حاجة إلى ذلك الدواء».

كانت صارمة في معظم الوقت. كان من السهل أن تنسى أنها كبرت في عالم الحفلات الموسيقيّة الفاخرة والحلقات الدراسية. ابتسم بيلامي وهو يهز رأسه وقطرات الماء تسقط متطايرة من شعره. انتفضت كلارك متراجعة إلى الخلف وهي تُحاول تجنب ملامسة الماء لها، وصاحت قائلة: «مهلًا إننا لم نختبر مياه هذا النهر بعد. من الممكن أن يكون سامًّا».

- منذ متى وجرَّاحتُنا القوية متزمتة إلى هذا الحد؟

افترش بقعة مشمسة من العشب وربت على المكان الشاغر بجانبه يدعوها للجلوس.

- متزمتة؟

ألقت كلارك بنفسها إلى الأرض مصدرة حفيفًا، وتابعت: «بالكاد تمكّنت من الإمساك بالسكين الليلة الماضية، لقد كانت يدك تهتز بشدّة».

- مهلًا! لقد قتلت الأيل. أظن أنني فعلت أكثر مما يفترض بي أن أفعل. كما أنك...

توقف عن الكلام بينما يستلقي بظهره على العشب، ثم قال: «...أنت التي تدربت على شق بطون الكائنات الحية».



- صدقني، إن هذا غير صحيح.

شبك بيلامي يديه أسفل رأسه ووجه وجهه تجاه الشمس، وزفر بينما يتسرب الدفء عبر مسام جلده. كان الأمر لا يقل روعة عن أن تكون في السرير بصحبة فتاة، ربما أكثر روعة من ذلك حتى؛ إذ إن الشمس لن تسأله عما يفكر فيه أبدًا.

- آسف لأنني شتمتك.

نطق كلماته بتثاقل، إذ جثمت فوقه غيمة من الاسترخاء أفقدته القدرة على التحكم بأطرافه. تابع قائلًا: «أعلم أنك طبيبة، ولستِ جزارة».

- كلا، أقصد أنني دخلت إلى الحبس قبل أن أنهي فترة تدريبي.

على نحو غريب، تأثر بيلامي بنبرة الحزن التي اكتسى بها صوتها ولمست قلبه. ابتسم لها ابتسامة صغيرة، وقال: «حسنًا، إنكِ تقومين بعمل رائع بالنسبة إلى طبيبة مزيفة».

حدّقت إليه، ولحظةً انتابه القلق من أن يكون قد جرحها بكلامه. ولكنها أومأت ونهضت واقفة، وقالت: «أنت محق، ولهذا السبب علينا أن نجد ذاك الدواء. هيا بنا».

نهض بيلامي على مضض، ارتدى جوربيه وانتعل حذاءه، وألقى بقميصه فوق كتفه.

- أقترح أن ترتدي قميصك مجددًا.

- لماذا؟ هل أنت قلقة ألا تتمكني من السيطرة على نفسك؟ لأنكِ لو كنتِ قلقة بشأن أخلاقي، فسيتحتم عليَّ أن أخبرك بأنني لست...

قاطعته بابتسامة صغيرة قائلة: «أقصد... يوجد هنا بعض النباتات السامة التي يمكنها أن تصيب ظهرك الفاتن هذا بالدمامل الملآنة بالقيح».

هز كتفيه في لا مبالاة وقال: «على علمي، فإن هذا من اختصاصك، أيتها الطبيبة. سأجرب حظي».

ضحكت كلارك، وكان بيلامي واثقًا من أنها ضحكتها الأولى على الأرض، فشعر بشيء مدهش من الفخر لأنه كان السبب في حدوث هذا.

قال بمرح وهو يلف القميص حول رأسه ويخفي ابتسامته عندما لمح عيني كلارك وهي تنظر إلى بطنه.

- حسنٌ. الحطام في مكان ما بعيد ناحية الغرب، هيا بنا.

شرع في تسلق المنحدر، ثم التفت ليواجه كلارك، وأردف: «باتجاه غروب الشمس».

أسرعت بضع خطوات لتلحق به، وقالت: «هل تعلمت كل ذلك بنفسك؟»

- أظن ذلك؛ إذ ليس هناك العديد من دروس جغرافيا الأرض على والدن.

لم يحمل صوته المرارة التي ربما يفترض أن تكون لو أنه قالها لويلز أو جراهام.

- لطالما كنت مهتمًّا بهذه الأمور، وعندما اكتشفت أنهم بصدد إرسال أوكتافيا إلى الأرض...

تردد لحظة، غير واثق من أن بإمكانه مشاركتها هذا، ولكن كلارك كانت تنظر إليه بترقب، تنضح عيناها الخضراوان بالفضول، وبشيء آخر لم يتمكن من معرفة كنهه.

- أدركتُ أنه كلما عرفت المزيد، كنتُ أكثر مقدرة وتجهيزًا لأبقيها في أمان.

بلغا قمة المنحدر، ولكن بدلًا من أن يتجها إلى طريق العودة إلى المخيم، قادها بيلامي عميقًا داخل الغابة. تقاربت الأشجار من بعضها جدًّا، حتَّى حجبت أوراقها أشِعة الشمس، فما استطاع أن ينفذ خلالها سِوى شعاع هزيل لون الأرض بدوائر ذهبيّة. ابتسم بيلامي عندما رأى كلارك حريصة على أن تخطو من حولها، كطفلة صغيرة تُحاول أن تتجنّب الخطوط الفاصلة في الجسر السماوي.

قالت بصوت مُشبع بالمهابة: «هكذا تخيلت غابة شيروود. كدتُ أظن أن روبن هود سيظهر فجأة من خلف إحدى الأشجار».

- روبن هود؟

توقفت لتنظر إليه، وقالت: «ألا تعرف الأمير المنفي الذي سرق الدواء من أجل اليتامى؟».

أخذ بيلامي يحدّق إليها بنظرة خالية من أي تعبير، فأضافت مُبتسمة: «بقوسه وسهامه المسحورة؟ إنك تذكرني به نوعًا ما عندما أفكر في الأمر الآن.»

مرّر بيلامي يده على فرعِ شجرة ذي أوراق كثيفة كان يلتمع في الضوء الخافت، وقال بلهجة جافة: «إنَّنا لا نحصل على الكثير من الوقت لقراءة القصص الخيالية على والدن».

ولكنه أضاف لاحقًّا بصوت أكثر حنوًّا: «ليس هناك الكثير من الكتب، فاعتدتُ أن أختلق الحكايات من أجل أوكتافيا عندما كانت صغيرة. كانت قصتها المفضلة عن علبة صفيح مسحورة».

ضحك مُصدرًا صوتًا من أنفه، وقال: «كان ذلك أفضل ما أمكنني فعله».

ابتسمت كلارك قائلة: «لقد كنت شجاعًا فيما فعلته من أجلها».

- أجل. حسنًا، كنت سأقول الشيء نفسه عنكِ، ولكن يخالجني شعور بأنكِ لستِ هنا برغبتكِ تمامًا.

رفعت رسغها الذي -حاله حال الجميع- كان لا يزال مقيّدًا بسوار المراقبة، وقالت: «ترى كيف اكتشفت ذلك؟».

قال بيلامي بابتسامة عريضة: «إنني واثق من أنه استحق ذلك».

بدلًا من أن تضحك، أشاحت كلارك بوجهها بعيدًا. لقد كان يمزح فعلًا، ولكن كان يجب أن يعرف أنه ليس بإمكانه أن يتصرّف بتلك العفوية معها أو مع أي ممَّن هُنا حقًّا. إن كل واحد منهم يخفي شيئًا ما، وعلى رأسهم بيلامي.

- مهلًا، أنا آسف.

من النادر أن يعتذر بيلامي، فكان وقع الكلمة غريبًا في فمه.

- سوف نجد علبة الأدوية، ماذا يوجد بها على أي حال؟

- كل شيء: ضمادات مُعقَّمة، ومسكّنات، ومضاد حيوي... أشياء بإمكانها أن تصنع فارقًا هائلًا لـ... لكل المُصابين.

أدرك بيلامي أنها كانت تفكر في تلك الفتاة التي تعتني بها وتُراقبها طوال الوقت؛ صديقتها.

- إنكِ تهتمين بأمرها حقًّا، أليس كذلك؟

مد يده ليساعدها في تخطِّي جذع مغطّى بالطحالب يسد الطريق أمامهما. أجابت كلارك وهي تضع يدها في يده: «إنها صديقتي المقربة، والشخص الوحيد الذي يعرف من أكون حقًّا على كوكب الأرض».

حدجت بيلامي بابتسامة مرتبكة، فأومأ لها قائلًا: «إنني أفهمكِ».

فأوكتافيا هي الشخص الوحيد في العالم الذي يعرفه بحق. لم يكن هناك أي إنسان آخر يهتم بأن يراه مجددًا قط.

ولكنّه لاحقًا وجه نظره إلى كلارك، التي كانت تميل إلى زهرة وردية زاهية تتنفّس أريجها، وتنعكس أشعة الشمس على خصلات شعرها الذهبية، فشعر فجأة بأنه ليس متأكدًا كثيرًا من ذلك.

الفصل الخامس عشر

كلارك

سارت كلارك بقيادة بيلامي عبر تل منحدر تحده أشجار نحيلة تضافرت فروعها بعضها مع بعض لتصنع طريقًا قوسيًّا نوعًا ما. بدا الصمت عتيقًا، كما لو أن الرياح حتَّى لم تجرؤ على إزعاج الأشجار في عزلتها التي دامت قرونًا. تكلم بيلامي مبطلًا مفعول السحر: «لست واثقًا أنَّني شكرتك من قبل من أجل ما فعلتِه مع أوكتافيا».

قالت كلارك ممازحة: «هل أحتسب هذا شكرًا؟».

حدجها بنظرة جانبية وقال: «أظن أن هذا أقرب شيء ستحصلين عليه، فأنا لست جيدًا جدًّا في هذه الأمور».

فتحت كلارك فمها، ولكنها تعثرت في صخرة قبل أن تتمكّن من أن تتفوه بكلمة. قال بيلامي ضاحكا وهو يمسك بيدها ليمنعها من السقوط: «على مهلك. من الواضح أنك لست جيدة جدًّا في المشي».

- هذا ليس مشيًا، بل استكشاف في الغابة، شيء لم يمارسه الإنسان مئات السنين، لذلك فلنأخذ استراحة.

- لا بأس، إنها مسألة تقسيم للعمل، أنتِ تُبقيننا على قيد الحياة، وأنا سأحرص على أن تقفي على قدميكِ.

ضغط على يدها بخفّة، فشعرت كلارك بالدم الذي تدفق إلى خدَّيها فجأة. لم تلاحظ أنها كانت لا تزال ممسكة بيده.

قالت بينما تفلت ذراعها لتسقط بجانبها: «شكرًا».

توقف بيلامي عندما بلغا النقطة التي تنبسط عندها الأرض مرة أخرى. قال مُشيرًا تجاه الشمال: «من هذا الطريق. إذن، كيف انتهت بكِ الحال إلى أن تصبحي طبيبة؟».

عقدت كلارك حاجبيها كمن اختلط عليه الأمر، وقالت: «لقد أردت ذلك. ألم ترغب في أن...».

توقفت عن الكلام في إحراج؛ إذ أدركت أنها لا تملك أدنى فكرة عما كان بيلامي يفعله على متن السفينة، ومن الجلي أنه لم يكن حارسًا..

راح يرمقها كأنما يحاول أن يحدد إذا كانت تمزح أم لا. قال ببطء بينما يخطو عميقًا إلى داخل الظلال المخضبة باللون الأخضر: «لا تجرى الأمور على هذا النحو في والدن. إذا حصلت على سجل رائع وكنت سعيدة الحظ، فإنه يمكنك أن تصبحي حارسة، وإلا، فإنّكِ فقط تمتهنين مهنة أبويكِ أيًّا كانت».

حاولت كلارك منع دهشتها من أن تبدو على وجهها، فهي بالطبع تعلم أن وظائف محددة فقط التي كانت تتاح لسكان والدن، ولكنها لم تدرك أنهم لا يملكون أي خيار.

- إذن ماذا كنتَ تعمل؟



- لقد كنتُ...

فضمَّ شفتيه إلى بعضهما بعضًا وقال: «أتعلمين؟ لا يهم ماذا كنت أعمل هناك.»

أسرعت كلارك تقول: «أنا آسفة، لم أقصد أن...»

قاطعها بيلامي وخطا خطوة نحوها: «لا بأس».

تابعا مسيرهما، ولكن الصمت الآن قد أصبح ثقيلًا. همس بيلامي وهو يمد يدًا ليمنعها من مُتابعة السير: «مهلًا، انتظري».

وبحركة سريعة، سحب واحدًا من السهام داخل جرابه وصوّب قوسه، مثبّتًا عينيه على نقطة حيث تزداد الأشجار كثافة، كان من المستحيل أن يرى ما بداخل الشجيرات بفعل الظلال. ثم رأته كلارك، حركة سريعة في لمح البصر، رأت خلالها لمعة ضوء منعكس في عين. حبست كلارك أنفاسها لدى ظهور حيوان ما. كان صغيرًا، بُني اللون، وذا أذنين طويلتين ومدببتين احداهما تتحركان جيئةً وذهابًا. كان أرنبًا.

شاهدت المخلوق وهو يثب مسرعًا إلى الأمام. يقترب طول ذيله من ضعفي طول جسده، وكان يتشنّج على نحو غير مألوف. تساءلت كلارك في داخلها: ألا يفترض بالأرانب أن تمتلك ذيولًا صغيرة منفوشة؟ ولكن قبل أن تسنح لها فرصة لكي تسترجع معلوماتها القديمة من درس علوم أحياء الأرض، رأت كلارك ساعد بيلامي وهو يرجع إلى الخلف مبددا كل أفكارها بعيدًا عن رأسها.

توقفت شهقتها داخل حلقها عندما أطلق بيلامي سهمه، الذي استقر في صدر المخلوق مباشرة بعد أن أصدر اختراقه صوتا فظيعا. تساءلت كلارك ثواني لو أن بإمكانها أن تنقذه، أن تجري إليه، وتخرج السهم، ثم تُخيط الجرح من جديد.

أمسك بيلامي بذراعها وربت عليها بقوة تكفي لتحمل الطمأنينة والتحذير معًا. هذا الأرنب هو سبيل بقائهم على قيد الحياة، كانت كلارك تدرك ذلك، وسيمد تاليا بشيء من القوة. حاولت أن تغمض عينيها، ولكنهما أبتا إلا أن تبقيا مثبّتتَين على الحيوان.

قال بيلامي بهدوء: «لا بأس، لقد نجحت في إصابة قلبه، لن يُعاني كثيرًا». كان محقًّا؛ فقد توقف الأرنب عن الاختلاج والتشنّج وسقط ببطء على أرض الغابة، ثم سكن تمامًا. التفت بيلامي إليها.

- آسف. أعلم أنه ليس يسيرًا أن تري شخصًا يعاني.

سَرَت في جسدها قشعريرة ليس لها علاقة بالأرنب الميت. أقال: «شخصًا؟»

صحح نفسه بهزّة خفيفة من كتفه: «شيئًا... أي شيء».

شاهدت كلارك بيلامي يهرول باتّجاه الأرنب. استخرج السهم، ثم ألقى بالمخلوق فوق كتفه. قال مشيرًا برأسه: «فلنذهب من هذا الاتجاه».

كان التوتر قد تبدد كليًّا، وتعزز مزاج بيلامي بفعل رميته الظافرة. سألها وهو يحرك الأرنب إلى كتفه الأخرى: «إذن، ما هي قصتكما أنت وويلز؟».

تحفزت كلارك إذ تصاعد غيظها من شدة تطفله، ولكنها لم تظهر ذلك. الملة

- لقد تواعدنا مدة قصيرة، منذ مدة، ولكن الأمر لم يُفلح.

ضحك بيلامي ضحكة فاترة.

- أجل، حسنًا، بدا هذا الجزء واضحًا.

توقف منتظرًا كلارك أن تُكمل حديثها، ولكنه حثَّها قائلًا: «إذن ماذا حدث؟»



- فعل شيئًا لا يغْتفر.

بدلًا من أن يلقي مزحة أو يستغل الفرصة ويشوه صورة ويلز، ازدادت نبرة بيلامي جدية، وقال بهدوء: «لست أعتقد أن هُناك شيئًا لا يغتفر. ليس إذا كان قد ارتكب لأسباب صحيحة».

لم تنبس كلارك ببنت شفة، ولكنها لم تستطع إلا أن تتساءل لو أنه كان يقصد ما فعلته أوكتافيا وأدى إلى حبسها، أو شيئًا آخر.

رفع بيلامي ناظريه إلى الأعلى وكأن قمم الأشجار قد جذبت انتباهه، ثم نظر إلى كلارك مجددًا.

- إنني لم أقل إنه لم يفعل شيئًا فظيعًا، أيًّا كانت ماهيته، كل ما أعنيه هو أنني أفهم ما يمر به.

اقترب ليمرر إصبعه على الطحالب الصفراء اللامعة التي تتلولب على طول جذع الشجرة. عاد يقول: «ويلز وأنا الشخصان الوحيدان اللذان اختارا أن يكونا هنا، اللذان جاءا من أجل سبب».

كادت كلارك أن تُجيبه، ولكنَّها أدركت أنها ليست واثقة ماذا تقول. كان كلاهما مختلفًا تمامًا عن الآخر من الخارج؛ فويلز، الذي تسبب إيمانه بالمنظومة وسيادة السلطة في إعدام والديها، وبيلامي، الفتى الوالدني المتهور حاد الطباع الذي تجرأ على أن يصوب فوهة المسدّس إلى رأس المستشار، ولكن الشيء المشترك بينهما هو أن كليهما مستعد لفعل أي شيء من أجل الحصول على ما يريده، ومن أجل حماية من يهمه أمره.

قالت بهدوء، دَهِشَةً من فطنته: «ربما تكون محقًّا».

توقف بيلامي هنيهة، ثم حث خطاه وقد أصبح فجأة شديد الحماسة لأي شيء يقع عليه ناظراه. قال بينما يسحبها من يدها إلى قمة جرف ضحل آخر وصولا إلى قطعة ارض خالية: «هنا، بالأعلى».

كان العشب منقطًا بزهور بيضاء، عدا بقعة تبعد عن هذا المكان نصف المسافة تقريبًا كانت سوداء متفحمة، تغطِّيها قطع من سفينة الإنزال كأنّها عظام مبعثرة في كل اتجاه. انطلقت كلارك تعدو.

سمعت بيلامي ينادي اسمها، ولكن لم تكلف نفسها أن تنظر إليه. مضت في طريقها متعثرة، يتعاظم الأمل في صدرها. ما إن بدأت في التنقيب في الحطام باضطراب جنوني، أخذت تتمتم إلى نفسها: «هيا، هيا، هيا».

ثم وجدتها أخيرًا. الصناديق المعدنية التي كانت بيضاء ذات يوم أضحت باهتة تخلو من اللون بفعل الأتربة والنيران. جذبت كلارك أقرب واحد إليها وأمسكته عاليًا، بينما راح قلبها يخفق بسرعة رهيبة حتى أصبحت غير قادرة على التنفس. بحثت كلارك بأصابعها عن موضع القفل المشوه، لم يكن ليفتح، إذ التحمت المفصلات ببعضها بفعل الحرارة. راحت تهز الصندوق هزات محمومة وهي تدعو بأن تكون الأدوية قد نجت.

كان صوت زجاجات الأقراص التي طفقت تتدحرج بالداخل أجمل الأصوات التي مرت على أذنيها.

انزلق بيلامي على الأرض بجانبها، وسأل لاهثًا: «هل هذه هي؟».

وضعت كلارك الصندوق على صدره وقالت: «هل يمكنك فتح هذا الشيء؟».

- دعيني ألقي نظرة.

أمسك به أمام وجهه، وضيق عينيه متفحِّصًا موضع القفل. أخرج سكينًا من جيبه، وقام ببضع حركات سريعة انفتح الصندوق بعدها على مصراعيه. جاشت بجسد كلارك فورة من الحيوية والابتهاج، وقبل أن تدرك ما كانت تفعله، ألقت بذراعيها محتضنة بيلامي، الذي راح يضحك مثلها وتراجع إلى الوراء ليُحيط خصرها بذراعيه. رفعها عن الأرض وأخذ يدور بها في الهواء. اختلطت ألوان الغابة بعضها ببعض؛ الأخضر، والذهبي، والأزرق، تموهت جميعها حتَّى لم يعد هُناك شيء في العالم سوى ابتسامة بيلامي التي تضيء عينيه.

أخيرًا، أنزلها إلى الأرض برفق، ولكنّه لم يفلتها من بين ذراعيه. وبدلًا من ذلك، ضمَّها إليه أكثر، وقبل أن تمتلك كلارك وقتًا لتلتقط أنفاسها، التصقت شفتاه بشفتيها.

أتاها صوت من نقطة بعيدة في دماغها أن تتوقف، ولكنه انهزم أمام رائحة جسده، وتحت وطأة لمسته. أحست كلارك وكأنها تذوب بين ذراعيه، وتضيع في قبلاته.

كان مذاقه كالسعادة، وكان للسعادة مذاقٌ أكثر لذة على الأرض.

الفصل السادس عشر

جلاس

قالت سونيا مضيقة عينيها وهي تنظر إلى ابنتها في ضوء الغرفة الضبابي: لستُ أدري، ما رأيك لو نأخذ هذه التنورة وننسقها مع الصدرية الخضراء؟».

أجبرت جلاس نفسها على أن تسحب نفسًا عميقًا إلى رئتيها ليهدئها. لقد كانت تجرب أثوابًا مدة ساعتين، ولم تقتربا حتّى من أن تجدا واحدًا يصلح لحفل مشاهدة المذنب منذ أن بدأتا. قالت جلاس، آملة ألا تظهر ابتسامتها متكلفة كما شعرت بها: «كما ترين يا أمي».

زفرت والدة جلاس قائلة: «لست متأكدة. سيكون من الصعب أن يجهز في الوقت المحدد، ولكن سيتوجب علينا أن نبذل ما في وسعنا فقط».

ذكرت جلاس نفسها بأن أمها تُحاول أن تساعد فحسب. لقد رأت أن حفل مشاهدة المذنب سيكون وقتًا مثاليًّا ليُتيح لجلاس الانضمام مجددًا إلى مجتمع فينيكس، يشدّ عضدها قرار العفو عنها رسميًّا، وبينما هي متزيِّنة في أبهى حلّة. علمت جلاس أن نائب المستشار سيكون حاضرًا، وهذا يعني أنه سيجب عليها لعب دورها جيدًا، دور من استعادت حياتها مجددًا، في مقابل أن تنال المزيد من الإعجاب، وإنها لصفقة أكثر من عادلة. ولكن رغم ذلك، لم تزل جلاس مهمومة بشأن كونها محط الاهتمام.

أشارت أمها إلى كومة من الأثواب المهملة قائلة: «أو ربما يجب علينا أن نعود أدراجنا إلى ثوب الحرير المخرم. فقط قيسيه مرة أخرى، ويمكننا أن...»

قاطعها صوت إشعار تنبيه الرسائل القادم من المطبخ. أسرعت جلاس تقول: «سأذهب أنا».

ثم هرعت إلى خارج الغرفة من قبل أن تتمكن أمها من أن تعترض. لم تكن الرسالة من أجلها، هذا مؤكد؛ فهي وأصدقاؤها يتواصلون بعضهم مع بعض عن طريق الشرائح، وعليه، فإن رسائل الشاشات عادة ما تكون تحديثات سخيفة من قسم النظافة العامة، أو إخطارات مشؤومة بعض الشيء من المجلس. ولكنّها على الأقل ستوفر استراحة وجيزة من مشاورات الثوب. عرضت جلاس انعكاس الرسالة أمامها. توقفت أنفاسها في صدرها ما إن رأت الاسم الذي يومض في أعلاها. كانت رسالة من لوك.

«عزيزتي سيدة سورنسون،

استعاد الأمن شيئًا مفقودًا لكِ بالقرب من حقول الطاقة الشمسية. ستكون محفوظة في نقطة التفتيش حتى 16:00 اليوم».

اضطرت إلى أن تقرأها عدّة مرات قبل أن تختفي الرسالة. لقد ابتكرت هي ولوك هذا النظام منذ مدة طويلة -قبل أن تحصل على شريحتها- تحسبًا من أن تفتش أمها في رسائلها. إنه يخبرها بأن تقابله عند حقول الطاقة الشمسية اليوم بعد الظهيرة.

نادتها سونيا من الغرفة الأخرى: «جلاس؟ ما الأمر؟».



مسحت جلاس الرسالة بسرعة.

- إنه فقط تذكير بموعد حفل مشاهدة المذنب. وكأن بإمكاننا أن ننسى!

ألقت نظرة على الساعة وأطلقت زفرة. كانت لا تزال ١٠:١٥. سوف تمضي السويعات القادمة ببطء أكبر مما كانت عليه في الحبس.

بمجرد أن دلفت جلاس إلى الغرفة، زفرت أمها قائلة: «وأخيرًا، ربما وجدنا ضالَّتنا بعد كل شيء. تبدين جميلة».

التفتت جلاس إلى المرآة في غير فهم، فرأت ما عنته أمها، ولكنه لم يكن الثوب، بل وجنتيها اللتين توردتا وتدفّق إليهما الدم، فالتمعت عيناها لدى إدراكها الأمر.

بدت مثل فتاة واقعة في الحب.

***

بحلول الساعة 15:40، صعدت جلاس سلسلة من الدرج الذي لا ينتهي لكي تصل إلى حقول الطاقة الشمسية التي تغطي قمة والدن. كانت النباتات نفسها خارج حدود الجميع عدا العلماء وعمال الحصاد، ولكن كان هناك مكان صغير ومُسوَّر يطل على الحقول، لا بد أنه صُمِّمَ من أجل الإشراف على العمال، ولكنه لم يعد يستخدم، ويكون فارغًا دائمًا تقريبًا.

عندما بلغت قمة السفينة، توجَّهت جلاس إلى حافة منصة الإشراف وجلست بمحاذاة السور تتدلى ساقاها إلى الأسفل، أحست بالراحة تسري في أوصالها، بينما راحت عيناها تتأملان صفوف النباتات التي تمد أفرعها في اتجاه الألواح الشمسية. كانت نهاية الحقل تحدها نافذة هائلة، إلى درجة جعلت المنظر يبدو وكأن المحاصيل تنمو من بين النجوم مباشرة. اعتادت ولوك أن يتقابلا

هنا كل مرة؛ إذ كان ذلك أكثر أمانًا من أن يتسلل خلسة إلى فينيكس، أو أن تظهر جلاس وهي تتسكع قرب وحدته السكنية.

- مرحبًا.

التفتت جلاس لترى لوك يقف جامدًا خلفها، وكادت أن تنهض واقفة، ولكنه هز رأسه وقال: «أيمكنني الانضمام إليكِ؟».

أومأت وحركت ساقيها جانبًا لكي تفسح له مجالًا، ومن ثمَّ جلس إلى جوارها، وقال بغرابة: «شكرًا لمجيئكِ. لم تشك أمكِ في أي شيء، أليس كذلك؟»

- لا مشكلة، لقد كانت منهمكة في محاولة حل أزمة ثوب.

فاجأ لوك جلاس بابتسامة، ثم تنحنح قبل أن يقول: «جلاس، أنا... لم أستطع أن أمنع نفسي عن التفكير فيما حدث».

تشنّج جسدها بأكمله، وظلت عيناها مثبَّتتَين على الأرض في ترقب. استأنف: «أعني ما يمكن لشخص مثلك أن يفعله ليؤدي به إلى الاعتقال. ولكنني تذكرتُ لاحقًا. لقد سمعتُ -بعد أشهر قليلة من انفصالنا- شائعة عن فتاة من فينيكس اعتُقِلَت بسبب...».

توقف عن الكلام إذ تحشرج صوته. التفتت جلاس لتواجهه، فرأت أن عينيه قد ترقرقتا بالدموع. عاد لوك يقول وقد راح يحدق أمامه مباشرة وكأنه ينظر إلى شيء يبعد مسافة هائلة: «كان التوقيت منطقيًّا، ولكنني لم أصدق قط أنه من الممكن أن تكوني أنتِ. قلت لنفسي إنكِ لم تكوني لا لتُخفي عني سرًّا مثل هذا. كنت أحتاج إلى تصديق أنكِ كنتِ تثقين بي أكثر من ذلك».

عضت جلاس على شفتها في محاولة أن تسد فيض الكلمات الذي أخذ يتجمع في حلقها. أرادت بشدّة أن تخبره، ولكن ما النفع الذي سيأتيها من أن تعترف

بالحقيقة؟ الأفضل أن تدعه يعتقد أنها ليست سوى فتاة فينيكس السخيفة المدللة التي كسرت قلبه. إنه سعيد برفقة كاميل الآن، وهو يستحق أن يكون سعيدًا.

ولكن لوك اقترب منها وأمسك ذقنها في راحة يده، فتبددت كل أفكارها بعيدًا.

استيقظت جلاس بابتسامة تعلو وجهها؛ فعلى الرغم من أن عدة أسابيع قد مضت منذ الليلة التي قضتها هي ولوك معًا، لم تستطع أن تتوقف عن التفكير فيها، ولكن ما إن بدأت في إعادة الأحداث في رأسها، اجتاحت جسدها نوبة من الغثيان.

تعثرت وهي تنهض عن السرير، وجرت قدماها عبر الرواق نحو الحمام، ممتنة أن الأضواء كانت تعمل، على الأرجح كان ذلك بفضل «صديق» أمها الجديد، إذ إنه رئيس مجلس الموارد.

هوت جلاس إلى أرضية الحمام الباردة وأغلقت الباب من خلفها بسرعة. يخوض دماغها معركة ضد معدتها. أجبرت نفسها على أن تتنفس، محاولة أن تبقي نفسها هادئة. كان آخر شيء ينقصها هو أن تأخذها أمها قسرًا إلى المركز الطبّي.

انتهت المعركة بفوز معدتها. ومالت جلاس بجسدها فوق المرحاض في اللحظة المناسبة تمامًا. تقيأت -والدموع تحرق عينيها- ثم تراجعت بظهرها واستندت إلى الحائط. لن يكون بإمكانها أن تلتقي مع ويلز على الغداء، ولكنها شعرت بالسوء لأنها أخلفت موعدها معه مجددًا. لقد كانت تمضي كل وقتها برفقة لوك، ولم تربطها بويلز علاقة صداقة كثيرًا مؤخرًا. كانت تفتقده، لم يبد لها أنه يستاء من غرابة أطوارها قط، وهو أمر جعلها تشعر بالسوء أكثر بطريقة

ما، خصوصًا بعد كل ما قد حدث لوالدته. والآن وقد أضحت كلارك تتصرف بغرابة واضحة... كانت في حاجة إلى أن تتواصل معه في أقرب وقت.

نادتها أمها من الجانب الآخر للباب: «جلاس؟ ما الذي يجري بالداخل؟».

أجابتها جلاس محاولة أن تبقي صوتها هادئًا: «لا شيء».

- هل أنتِ مريضة؟

كتمت جلاس أنينها. لم تتمتع شقتهما الجديدة بالخصوصية، اشتاقت إلى شقتهما القديمة الواسعة ونوافذها التي تطل على النجوم. ما زالت غير قادرة على أن تفهم لماذا اضطرا إلى خفض مستوى معيشتهما فقط لأن والدها قد اتخذ قرارًا غير اعتيادي ومخزيًا بأن يمزق عقد زواجه وينفصل عنهما.

أتى صوت أمها من الجانب الآخر للباب: «سوف أدخل».

هرعت جلاس تمسح فمها، وحملت نفسها على النهوض، ولكنها هوت مجددًا إلى الأرض إذ هاجمتها نوبة غثيان أخرى أثارت معدتها. فتح الباب، ورأت جلاس أمها. كانت ترتدي ثيابًا للسهرة على الرغم من حقيقة أن الوقت لم يكن ظهرًا حتى. ولكن قبل أن تسنح لها الفرصة لتسألها إلى أين هي ذاهبة -أو من أين أتت لتوها- اتسعت عينا والدتها، وبدا عليها الشحوب بوضوح من تحت طبقة حمرة وجنتيها التي وضعت بسخاء.

حاولت جلاس أن تبدد غيمة الضباب التي تجثم فوق عقلها بالقدر الذي يعينها على اختلاق تفسير من شأنه أن يجعل أمها تدعها وشأنها، إن فيروسات المعدة أمر نادر الحدوث على متن فينيكس، وأي أحد تظهر عليه أي إشارة طفيفة للعدوى يتوجب عليه قضاء مدة مرضه في الحجر الصحي. أجابت جلاس: «أنا بخير».

نظرت سونيا خلفها وخفضت صوتها -وهو شيء باعث على السخرية؛ لأنهما كانتا بمفردهما في الشقة- وقالت: «هل كنتِ تتقيئين؟».

- نعم، ولكنني بخير، أظن أنني فقط...

صاحت أمها، وأغمضت عينيها: «يا إلهي!».

- إنني لست مريضة، أقسم لكِ. لا أريد أن أُحتَجَز في الحجر الصحي، إنني فقط أعاني من الغثيان في صباحات الأيام القليلة الماضية، ولكنني أكون على ما يُرام بحلول الظهيرة.

عندما فتحت أمها عينيها، لم يبدُ عليها أن قلقها قد زال. أخذت الغرفة تدور من حولها، وخفت صوت سونيا شيئًا فشيئًا، كأنها كانت تتكلم من مكان ما بعيد. بالكاد استطاعت جلاس أن تميز سؤالها؛ كان شيئًا عن منذ متى أتتها آخر...

استحال فجأة ارتباك جلاس إلى كتلة من الذعر. رفعت ناظريها إلى سونيا ورأت نظرة الإدراك الفظيعة التي تجلت في عيني أمها.

قالت سونيا بصوت أجش: «جلاس... أنتِ حُبلى».

شعرت جلاس -بينما تحدق إلى وجه لوك بنظرة يملؤها العطف والتفهم- بآخر قدر من تماسكها يتحطم.

- أنا آسفة.

اختنقت أنفاسها في حلقها إذ حاولت أن تكبح نحيبها.

- كان ينبغي لي أن أخبرك، إنني فقط... لم أجد أي سبب لكي يموت كلانا.

- أواه يا جلاس.

اقترب لوك منها وأحاطها بذراعيه بقوة، فاستكانت داخل حضنه الذي تألفه وتحبه، تنهمر دموعها على سترة زيه الرسمي. قال بصوت هامس: «لا يمكنني تصديق هذا. لا أستطيع أن أصدق أنك فعلت كل هذا بمفردك. كنت أعلم أنك شجاعة، ولكنني لم أفكر قط في أن... ماذا حدث؟».

سأل بعد توقف طويل، فأدركت جلاس ما كان يعنيه، ومن كان يشير إليه.

- إنه...

ابتلعت ريقها تحت وطأة الصراع الذي بداخلها. شعرت وكأن قلبها يوشك أن يتحطم إلى أشلاء، غير قادر على أن يحتوي كلا من الحزن والارتياح الذي يجتاح صدرها. في النهاية، لم تسطع إلا أن تهز رأسها، لم تكن هناك كلمات تسعفها.

أمسك لوك بيدها وشبك أصابعه مع أصابعها وشد عليها بقوة، وهمس قائلًا: «يا إلهي! أنا آسف جدًّا -أطلق تنهيدة- لماذا لم تخبريني بأي من هذا في الليلة التي هربتِ فيها؟ لم يكن لدي علم بأي شيء».

ثم أغمض عينيه وكأنما يبعد الذكرى عن عقله.

- كنت مع كاميل، وكنتُ أعلم أنها صديقة جيدة لك، وأدركت أن... أنك أخيرًا وجدت شخصًا جعلك سعيدًا.

ابتسمت جلاس ومسحت بيدها الدموع التي لم تنفك تنهمر على خديها، وتابعت: «أنت تستحق هذا، بعد كل ما أصابك بسببي».



مد لوك يده ليزيح خصلة من شعرها خلف أذنها.

- هناك إنسانة واحدة فقط في الكون كله يمكنها أن تجعلني سعيدًا، وهي جالسة بجانبي مباشرة.

راح يحدق إليها كأنما ينهل من ملامحها إلى داخله، واستأنف: «منذ اللحظة التي رأيتكِ فيها مجددًا، أدركت أنها ليست كاميل. إنها صديقة رائعة، وستظل كذلك دائمًا، ولكنها لا تعني لي شيئًا أكثر من ذلك الآن، ولقد أخبرتها بذلك. أنا أحبكِ يا جلاس، لم أتوقف عن حبكِ قط، ولن أتوقف أبدًا».

مال نحوها ولامست شفتاه شفتيها، لمسات رقيقة في البداية، كأنما يمنحان فميهما فرصة ليتعرفا على بعضهما من جديد. بدت لحظة وكأنها قبلتهما الأولى تُعاد من جديد، ولكنها لم تزد عن لحظة واحدة.

التصق بجسد جلاس. بالكاد أحست بيده التي تداعب شعرها، ثم شقت طريقها إلى أسفل ظهرها وجذبتها إليه أكثر، بينما يُحيط خصرها بذراعه الأخرى.

أخيرًا، ابتعدت جلاس إلى الخلف، وهمست برغبة محمومة في قولها: «أحبك».

أخذت كلمة: أحبك أحبك أحبك تنبض عبر جسدها، بينما ابتسم لوك وجذبها إليه مجددًا.

الفصل السابع عشر

ويلز

قارب الوقت الظهيرة، وقد مرت ساعات مذ ذهبت كلارك. لقد رأتها واحدة من فتيات أركاديا متجهة إلى داخل الغابة في الصباح الباكر، واستنفد ويلز كل طاقته كي يمنع نفسه من أن يهرع خلفها. مجرد التفكير في أنها أقدمت على مخاطرة كهذه بمفردها جعل معدته مثل كيس اللكمات لمخيلته. ولكن كان عليه أن يقبل ذلك، فكلارك من بين جميع من في المخيم كانت تعرف كيف تعتني بنفسها. كما إنه كان يدرك أهمية العثور على تلك الأدوية؛ فقد حفروا قبرا آخر البارحة فقط.

مضى باتجاه البقعة التي أضحت مقبرة المخيم بحكم الواقع، وقد اقتطعت من أقصى نهاية ساحة المخيم. عمل ويلز في خلال الأيام الماضية القليلة على توفير شواهد قبور خشبية ليثبتها فوق كل تلال الدفن، تذكر ذلك الأمر من الصور القديمة. أراد أن يحفر أسماءهم على الصلبان الخشبية، ولكنه لم يكن يعرف من الأسماء سوى ثلاثة من أصل خمسة من الفتيان النائمين تحت الثرى، ولم يبد من اللائق أن يترك البقية فارغين.

انتفض منتبهًا والتفت إلى القبور مرة أخرى. لقد صعق على نحو بشع في بادئ الأمر من فكرة دفن الموتى، ولكن لم يبد أن هنالك أي بديل. أما فكرة حرق الجثث، فقد كانت أبشع. ولكن على الرغم من أن إطلاق الجثث في الفضاء

كان بالتأكيد أكثر أناقة، فإنه كان من المطمئن بعض الشيء أن يجتمع الموتى معا، حتى في الموت، لن يصبحوا وحيدين أبدًا.

كان من المريح على نحو غريب كذلك أن يكون لديهم مكان لزيارته، لقول الأشياء التي لا يقدر المرء على قولها لأشخاص بمقدوره رؤيتهم. لقد رأى شخصا ما، على الأرجح فتاة والدنية، تتجول بالقرب من الأشجار، وجمعت أفرع الشجر المتساقطة وغرستها بالقرب من العلامات الخشبية. كانت السنوف المضيئة لا تزال تتوهج في الليل وتنشر أضواء خافتة فوق المقبرة، مما أضفى عليها جمالًا غير أرضي نوعًا ما، لكان الأمر رائعًا لو أن لديهم مكانًا ما على السفينة حيث لن يبدو غريبًا أن يتحدث إلى أمه.

رفع ويلز ناظريه نحو السماء التي أخذت تصطبغ بالسواد شيئا فشيئا. لم تكن لديه أية فكرة عما إذا كانت المستوطنة قد فقدت الاتصال بسفينة الإنزال عندما اصطدمت بالأرض، ولكنه كان يأمل أن الأجهزة التي في أساورهم لا تزال ترسل بيانات لتراكيب دمائهم ومعدل ضربات قلوبهم. لا بد أنهم قد جمعوا ما يكفي من المعطيات التي تثبت أن كوكب الأرض آمن، وهم بصدد إرسال مجموعات من المواطنين إلى الأرض في القريب العاجل بكل تأكيد. تجرأ لحظة في أن يذهب بتطلعاته إلى أن يكون والده وجلاس من ضمنهم. قالت مشيرة إلى القبور: «ما الذي تفعله عندك؟».

- لا أدري، أظهِرُ احتراماتي على الأرجح.

أضاف مسرعًا بينما ينظر إليها وهي تلقي بشعرها الأسود على كتفيها: «ولكنني كنت سأغادر للتو، إنه دوري في إحضار الماء».

ابتسمت أوكتافيا قائلة: «سآتي معك».

أشاح ويلز بناظريه بعيدًا في ارتباك، فرموشها الطويلة التي جعلتها تبدو بريئة كالملاك عندما كانت نائمة في خيمة المستوصف قد أضفت الآن بريقًا بريًّا إلى عينيها الزرقاوين الهائلتين.

- هل أنت واثقة من أنها فكرة جيدة من أجل كاحلك؟ إنها مسافة طويلة سيرًا.

قالت بصوت مشبع بغضب مرح بينما تنضم إلى السير إلى جواره: «أنا بخير...»

تابعت زائدة من سرعة خطواتها لتلحق بويلز، الذي لم ينتبه إلى خطواته الواسعة: «ولكنه لطف منك أن تهتم بهذا. أتعلم؟ إنه لأمر سخيف أن يساق الجميع خلف كل كلمة يقولها جراهام. إنك تعلم الكثير، أكثر مما يعلم هوه. التقط ويلز واحدًا من الدوارق الفارغة بالقرب من خيمة المؤن ثم اتجه نحو الغابة. لقد اكتشفوا نهرًا ليس ببعيد عن المخيم، وأضحى جميع من يقوون على حمل حاوية مملوءة بالماء يتبادلون الأدوار للذهاب من أجل إحضار الماء. على الأقل كان من المفترض أن يتبادلوا الأدوار، فهو لم ير جراهام يذهب أيامًا.

توقفت أوكتافيا عندما عبر ويلز إلى خط الأشجار، ألقى نظرة سريعة من خلف كتفه وسألها: «هل أنتِ آتية؟»

أمالت رأسها إلى الخلف وقد اتسعت عيناها عن آخرهما لدى رؤيتها ظلال الأشجار التي تكونت في الضوء الخافت.

انطلقت باتجاه ويلز وقالت بصوت هادئ: «أنا قادمة، إنها فقط أول مرة أذهب إلى الغابة».

لانت أسارير ويلز، فحتى هو، الذي قضى جل حياته يحلم بالقدوم إلى الأرض، كان يجد الأمر مرعبا في بعض الأحيان: الاتساع الشاسع، والأصوات غير المألوفة، والإحساس بأن أي شيء قد يكون مختبئًا في الظلام الذي لا تكشفه

نيران المخيم، وقد كان لديه وقت ليهيئ نفسه، بإمكانه فقط أن يتخيل كيف كان الأمر بالنسبة إلى الآخرين، الذين انتزعوا من زنازينهم على حين غرة وألقي بهم على متن سفينة الإنزال من قبل حتى أن يتمكنوا من استيعاب ما يجري، وأنهم كانوا في طريقهم إلى كوكب غريب لم يكن قط بالنسبة إليهم أكثر من كلمة جوفاء.

قال ويلز مشيرًا إلى تجمع من الجذور المتشابكة تغطيها كومة هائلة من أوراق الشجر الأرجوانية: «انتبهي، فالأرض تزداد وعورة بداية من هنا».

أمسك ويلز بيد أوكتافيا الصغيرة وساعدها لتمر فوق شجرة قد سقطت على الأرض. بدا التفكير في أن شيئًا دون نبض يمكن أن يموت أمرًا غريبًا ولكن كان مظهر اللحاء المخضل المتقشر يشبه الجثة، مما لم يدع مجالًا للشك.

أثناء ما بدأ هبوط المنحدر المؤدي إلى النهر: «إذن، سألت أوكتافيا في هل هذا صحيح؟ هل حقًّا تعمدت أن تسجن فقط لكي تتمكن من المجيء مع كلارك؟»

- أظن أن هذا صحيح.

تنهدت بتأثر بالغ، وقالت: «إن ذلك أكثر شيء عاطفي قد سمعته في حياتي».

ابتسم ويلز ابتسامة ساخرة وقال: «صدقيني، إنه ليس كذلك».

سألته أوكتافيا وقد أمالت رأسها جانبًا مستفهمة، فبدا عليها تحت ظلال الغابة ذاك المظهر الطفولي مرة أخرى: «ماذا تعني؟».

أشاح ويلز بعينيه بعيدا، إذ أحس فجأة بأنه غير قادر على أن ينظر إلى عينيها. تساءل مقطبًا جبينه عمَّا ستقوله أوكتافيا لو أنها عرفت الحقيقة.

لم يكن الملك الجسور الذي جاء لكي ينقذ الأميرة، بل كان هو السبب في أنها سُجنت في البرج المُحصَّن.

ألقى ويلز نظرة على القلادة التي تحمل الشريحة الخاصة به للمرة الرابعة عشرة منذ أن جلس قبل دقيقتين. لقد جعلته الرسالة التي أرسلتها كلارك في ذاك اليوم مضطربًا، كما أنها كانت تتصرف بغرابة طوال الأسابيع القليلة الماضية. نادرًا ما تمكن ويلز من رؤيتها، وحتى المرات القليلة التي نجح في أن يعثر عليها بنفسه، كانت تتملص منه في اضطراب محموم واضح.

لم يستطع أن يمنع نفسه عن القلق من أنها تنوي الانفصال عنه. الشيء الوحيد الذي تصدى للهيب القلق الذي كاد يحرق معدته هو معرفته بأنها على الأرجح لم تكن لتختار المكتبة لتعلن انفصالها عنه، سيكون قاسيا أن تدمر ذكرى المكان الذي أحبه كلاهما. لم تكن كلارك لتفعل هذا به.

تناهت خطوات أقدام إلى مسامعه، فنهض واقفًا عندما أضاءت المصابيح مجددًا من فوقه. لقد ظل ويلز ساكنًا وقتًا طويلًا حتى نسيت المكتبة أنه كان موجودًا، ولم يكن هناك سوى الضوء الخافت المنبعث من الأرضية، اقتربت كلارك. ما زالت ترتدي زي المستوصف، وهو أمر جعله يبتسم كالعادة. كان يحب أنها لا تقضي ساعات في إرهاق نفسها من أجل مظهرها، كحال معظم فتيات فينيكس. ولكن كان القميص الأزرق والسروال واسعين لدرجة أنهما سقطا عن جسدها بغير هندام، وأحاطت الهالات السوداء عينيها.

قال بينما يتقدم نحوها ليقبلها قبلة سريعة كتحية: «مرحبا». لم تبتعد عنه، ولكنها لم تبادله القبلة. سألها ويلز، على الرغم من معرفته تمام المعرفة بأنها لم تكن بخير: «هل أنت بخير؟».

قالت بصوت متقطع: «ويلز...».

اعتصرت عينيها لتحبس دموعها، فاتسعت عينا ويلز في هلع، لم يسبق لكلارك أن بكت قط.

أحاطها بذراعه ليقودها إلى الأريكة. كادت ساقاها تنثنيان من تحتها. همس قائلا: «مهلا، سيكون كل شيء على ما يرام، أعدك، فقط أخبريني بما يحدث».

راحت تحدق إليه، فتمكن أن يرى أن رغبتها في أن تمنحه الثقة توشك أن تغلب خوفها.

- أريدك أن تعدني بأنك لن تخبر أي أحد بأي شيء عن هذا الأمر. أومأ ويلز قائلًا: «بالطبع».

- إنني أتكلم بجد، هذه ليست ثرثرة أو نميمة، الأمر حقيقي، مسألة حياة أو موت.

شد ويلز على يدها وقال: «كلارك، تعلمين أن بإمكانك إخباري بأي شيء».

- لقد اكتشفتُ...

سحبت نفسًا إلى رئتيها، وأغمضت عينيها ثواني، ثم عادت تقول: «إنك نعلم بشأن أبحاث والدي عن الإشعاع الذري».

أومأ ويلز. لقد كان والداها على رأس دراسة عملاقة تهدف إلى تحديد متى -لو أن ذلك مقدر الحدوث- سيكون كوكب الأرض أمنًا على البشر ليعودوا إليه. في كل مرة أتى والده على ذكر مهمة أرضية، فكر ويلز في أنه احتمال بعيد الحدوث، أقرب إلى أمنية من كونها خطة واقعية. ولكن رغم ذلك كان يعلم

مدى أهمية عمل عائلة جريفين بالنسبة إلى المستشار، والمستوطنة بكليتها. قالت كلارك برتابة: «إنهم يجرون تجارب بشرية».

أحس ويلز بالقشعريرة تسري في أوصاله، ولكنه لم ينبس ببنت شفة، فقط شد على يدها بقوة أكبر.

تابعت كلارك وقد بات صوتها كالهمس: «إنهم يجرون تجارب على الأطفال».

كان صوتها أجوف، وكأن ما قالته للتو خبر بائث من الماضي البعيد، حتى لم يعد يحمل أي معنى. سألها ويلز بعقل يصارع لكي يفهم ما تقول: «أي أطفال؟».

قالت كلارك وقد لاحت في عينيها الملآنتين بالدموع شرارة غضب مباغت: «غير مسجلين، أطفال من مركز الرعاية. الذين أعدم والدا كل منهم لخرقهم قوانين تعداد السكان».

كان بإمكانه سماع الاتهام الذي لم تصفه كلماتها: الأشخاص الذين قتلهم والدك.

- إنهم صغار جدًّا...

لم تقوَ كلارك على الكلام. غاصت بظهرها في الأريكة وبدت وكأنها تقلصت في الحجم، وكأن الحقيقة قد استأصلت جزءًا منها.

أحاطها ويلز بذراعه من خلفها، ولكن بدلا من أن تنفر منه كما اعتادت أن تفعل كل يوم طيلة الأسابيع القليلة الماضية، ارتمت داخل حضنه وأراحت رأسها على صدره. استطاع أن يشعر بدموعها التي بللت قميصه بينما تقول:

«إنهم جميعا مرضي للغاية، لقد مات بعض منهم بالفعل».



دمدم بينما يبحث عن شيء ليقوله، أي شيء يذهب عنها الألم: «أنا آسف جدًّا يا كلارك. إنني متأكد من أن والديك يفعلان كل ما في وسعهما لكي ي ، يتأكدا من أن...».

توقف مترددًا. لم تكن هناك أي كلمات من شأنها أن تخفف من حقيقة الأمر، كان عليه أن يفعل شيئا ما، أن يضع حدا لهذا الأمر قبل أن يدمرها شعورها بالذنب والرعب. سألها بلهجة اتسمت بالصرامة: «ما الذي بإمكاني فعله؟»

اندفعت معتدلة في جلستها وراحت ترمقه بنظراتها التي يملؤها نوعٌ منعطف من الرعب، قالت بحسم أصابه بالدهشة: «لا شيء. عليك أن تعدني بالا تُقدِم على فعل أي شيء. لقد جعلني والداي أقسم على ألا أخبر أي أحد. ما لم يرغبا في أن يفعلا ذلك يا ويلز، لم يكن خيارهما، نائب المستشار رودس هو من يجبرهما، لقد هددهما».

ثم أمسكت بيدي ويلز وقالت: «عدني بألا تتفوه بأي شيء».

ثم عضت على شفتها وقالت: «إنني فقط لم أستطع أن أخفي الأمر عنك أكثر من ذلك، كان علي أن أخبر أحدهم».

قال ويلز بينما كانت حرارة جسده تتأجج تحت وطأة الغضب: «أعدك».

ليس يحق لذاك الوغد القذر أن يحوم من حول المستشار هكذا. فكر في والده، الرجل الذي امتلك حسًّا صارمًا بالصواب والخطأ. لم يكن والده ليسمح بإجراء تجارب بشرية، وبإمكانه أن يضع حدًّا لهذه التجارب على الفور.

أخذت كلارك تحدق إليه تتفحص عينيه، ثم هش ثغرها بابتسامة مرتعشة ما لبثت أن اختفت في اللحظة نفسها التي ظهرت فيها تقريبًا.

- شكرٍا لك.

أسندت رأسها مجددًا على صدر ويلز، فأحاطها بذراعه وهمس ة قائلًا: «أحبكِ».

مضت ساعة بعد أن أوصل كلارك إلى منزلها. عاد ويلز أدراجه عبر طابق الرصد بمفرده. كان في حاجة إلى أن يفعل شيئًا. لو لم يتغير شيء قريبًا، فسيدمرها الذنب. أبي أن يجلس كالمتفرج.

لم يحدث أن حنث ويلز بوعده من قبل، وهو أمر زرعه أبوه فيه منذ نعومة أظافره؛ القائد لا ينقض كلمته أبدًا. ولكنه لاحقًا فكر في دموع كلارك، فأدرك أنه لا يملك خيارًا. استدار ومضى متجهًا إلى مكتب والده.

انتهيا من ملأ دورق الماء من النهر وشرعا في قطع طريق العودة إلى المخيم. وبعد عدد لا بأس به من الإجابات ذات الكلمة الواحدة، نجح ويلز في أن يجعل أوكتافيا تتوقف عن طرح أسئلة بشأن كلارك. ولكنها الآن أصبحت تسير ببطء عابسة الوجه، فشعر بالذنب تجاهها. كانت فتاة عذبة، وكان يعلم أن نيتها حسنة. كيف انتهت بها الحال إلى هنا؟

خدش ويلز حاجز الصمت قائلًا: «إذن ماذا يمكن لشخص مثلك أن يفعله لتنتهي به الحال إلى الحبس؟».

رمقته أوكتافيا متفاجئة.

- ألم تسمع أخي يتحدث عن هذا الأمر؟

ثم ابتسمت ابتسامة واسعة وقالت: «إنه يحب أن يقص على الآخرين كيف أمسك بي بينما أسرق طعامًا للأطفال الصغار في مركز الرعاية، الصغار الذين

يتعرضون للمضايقة دائمًا لكي يتخلوا عن حصص إعاشتهم، وكيف حاكمني أولئك الوحوش الذين في المجلس دون أن يطرف لهم جفن».

بدا في صوت أوكتافيا شيء ما جعل ويلز يتردد هنيهة مفكرًا.

- هل هذا ما حدث حقًّا؟

سألته بصوت يحمل من الوهن ما جعلها فجأة تبدو أكبر من فتاة ذات أربعة عشر عامًا: «هل هذا يهم؟ سوف يفكر كل منا في الآخر كيفما شاء. لو أن تلك هي القصة التي يود بيلامي أن يصدقها، إذن فليكن، لن أمنعه».

توقف ويلز ليعدل من مسكة دورق المياه الثقيل. لقد وجدا نفسيهما بطريقة ما في جزء غريب من الغابة؛ هنا تتكاثف الأشجار وتقترب من بعضها أكثر. بإمكانه أن يرى كم قد ابتعدا بمجرد النظر أمامه.

أخذت أوكتافيا تجيل نظرها يمنة ويسرة، وحتى مع الضوء، الخافت كان باستطاعته أن يرى نظرة الهلع التي تكسو وجهها.

- هل نحن ضائعان؟

- سوف نكون بخير، إنني فقط أحتاج إلى أن...

توقف تحت وطأة صوت مباغت تردد عبر الهواء.

سألت أوكتافيا: «ماذا كان ذلك؟ هل نحن...؟».

قاطعها ويلز بأن أشار بإصبعه على فمه وتقدم خطوة إلى الأمام، بدا الصوت مثل غصن تكسر؛ مما يعني أن هناك شيئا ما تحرك خلف الأشجار.

أنَّبَ نفسه لأنه لم يحضر سلاحًا. لكان أمرًا رائعًا أن يعود وبصحبته غنيمته من الصيد؛ ليبرهن على أن ليس بيلامي فقط من لديه القدرة على الصيد. تردد الصوت مجددًا، فاستحال ارتباك ويلز خوفًا. دعك من التفكير في صيد العشاء، لو لم ينتبه جيدًا، فعلى الأرجح سيصبح هو وأوكتافيا عشاءً هما نفساهما.

أوشك أن يجذب يدها وينطلقا هاربين، حتى التقطت عيناه شيئًا ما: شعاعًا ذهبيًّا محمرًّا. أنزل ويلز الدورق المملوء بالماء على الأرض ومضى بضع خطوات إلى الأمام. همس قائلا: «ابقي هنا».

أمامه مباشرة، كان بإمكانه أن يرى مساحة مفتوحة خلف الأشجار، أشبه بأرض جرداء. أوشك أن يصيح مناديًا الاسم الذي يحوم على شفتيه، ولكنه تجمد وتصلب واقفا في مكانه فجأة.

كانت كلارك واقفة بين العشب، بين ذراعي بيلامي دون أي شخص آخر. تأججت نيران الغضب بداخل ويلز ما إن لامست شفتاها شفتي فتى والدن، واشتعل صدره تحت وطأة المحاولات اليائسة لتسكين نيران قلبه المضطرم.

تمكن بطريقة ما من أن ينتزع عينيه عن المنظر ويعود أدراجه إلى الأشجار، قبل أن تضربه موجة من الغثيان دار رأسه على إثرها. أمسك بأحد الفروع ليحافظ على توازنه، وراح يلهث لكي يدخل بضعة أنفاس إلى رئتيه عنوة، لم ير الفتاة التي خاطر بحياته لكي يحميها تقبل شخصًا آخر فحسب، بل كانت تقبل ذاك الأخرق الذي ربما تسبب في مقتل والده.

أتى صوت أوكتافيا من جانبه: «واها لهذا! يبدو أن تمشيتهما أكثر متعة من خاصتنا».

ولكن ويلز كان بالفعل قد ولى ظهره وشرع في السير في الاتجاه الآخر.



بالكاد تنبه إلى وجود أوكتافيا تعدو في إثره تسأل عن شيء ما يتعلق بصندوق أدوية، ولكن صوتها بدا مكتومًا بفضل الدم الضارب في رأسه. لم يكن يكترث ما إذا كانا قد عثرا على الأدوية المفقودة، فليس هنالك دواء قوي بما يكفي ليعالج قلبًا محطَّمًا.

الفصل الثامن عشر

كلارك

كان الظلام قد أرخى سدوله مع عودة كلارك وبيلامي إلى المخيم ومعهما الدواء، لم تمض سوى بضع ساعات بداخل الغابة، ولكن ما إن عبرا خط الأشجار ووطئت أقدامهما أرض المخيم، بدا الأمر وكأن دهرا قد مضى مذ غادرت.

التزم كلاهما الصمت طوال طريق العودة. ولكن في كل مرة تحتَكُّ كلارك . بذراع بيلامي دونما قصد، كانت تشعر وكأنّ تيارًا كهربيًّا يتراقص على سطح جلدها. لقد شعرت بالحرج الشديد بعد قبلتهما، وقد أنفقت الخمس الدقائق التالية وهي تعتذر في تلعثم، بينما علت وجه بيلامي ابتسامة. إلى أن قاطعها ضاحكًا وأخبرها بألا تقلق بشأن ما حدث. ابتسم ابتسامة لعوبًا بينما يقول: أعلم أنكِ لستِ واحدة من ذاك النوع من الفتيات ممن يتطارحن الغرام مع فتيان غرباء في الغابة. ولكن ربما يجدر بكِ ذلك».

ولكنهما لما اقتربا من ساحة المخيم، بدد ظل خيمة المستوصف كل الأفكار المتعلقة بالقبلة، وانطلقت كلارك بصندوق الأدوية التي تمسك به تحت ذراعها.

كانت الخيمة فارغة إلا من تاليا، التي تهذي تحت وطأة الحمى، وأوكتافيا -مما أثار دهشة كلارك- والتي كانت تستلقي لتوها على سريرها الصغير القديم.

قالت أوكتافيا: «الخيمة الأخرى صغيرة جدًّا حقًّا».

اكتفت كلارك بإيماءة خفيفة. فتحت علبة الأدوية على الأرض، وملأت حقنة وأدخلت الإبرة في ذراع تاليا. ومن ثم عادت كلارك تبحث في الصندوق عن أقراص مسكنة. أسرعت في إعطاء تاليا جرعة، وابتسمت لما رأت وجه صديقتها تغط في نوم هادئ.

ظلت كلارك جاثية إلى جوار تاليا بضع دقائق أخرى، وأطلقت زفرة ارتياح عميقة لدى استقرار نبضها. راحت تنظر ثواني إلى سوار معصمها متسائلة إذا كان هناك شخص ما في مكان ما في السماء يراقب معدل ضربات قلبها. الطبيب لاهيري مثلا، أو طبيب آخر من أطباء المستوطنة الكبار، كان هناك يقرأ مؤشرات المئة الحيوية كما يقرأ أخبار اليوم. لا بد أنهم قد رأوا بالفعل أن هناك خمسة أشخاص قد ماتوا.

تساءلت لو أنهم عزوا تلك الميتات إلى التسمم بالإشعاع الذري ويعيدون النظر في أمر جهودهم لإعادة استيطان الأرض، أو لو أنهم كانوا أذكياء بما فيه الكفاية ليدركوا أنهم قتلوا بسبب الهبوط العنيف لسفينتهم. لم تكن واثقة أي سيناريو هو الأفضل بالنسبة إليها. بالطبع لم تكن على استعداد ليمد المجلس نفوذه وسلطانه القضائي على الأرض. ولكن أمها وأباها أفنيا حياتهما في سبيل مساعدة البشرية على العودة إلى موطنها الأصلي. إن الاستقرار الدائم على الأرض من شأنه أن يعني -بطريقة ما- نجاح والديها أيضًا، أنهما لم يخسرا حياتهما هباءً.

أخيرًا، اغترفت الأدوية بيديها وأعادتها إلى داخل الصندوق، ثم وضعته في زاوية الخيمة، على نية أن تجد مكانًا ما لتقفل عليه في الغد، أما الآن، فكانت كلارك تشعر بأن بإمكانها أخيرًا أن تأخذ قسطًا من الراحة. لو كان هناك في الفضاء أحد يراقب عدد من هم على قيد الحياة فعلًا، فسوف تحرص على ألا يتناقص عددهم عن خمسة وتسعين مهما كلف الأمر.

ترنحت بضع خطوات، وارتمت بجسدها على سريرها من دون أن تكترث لخلع حذائها حتى.

بدا صوت أوكتافيا آتيا من بعيد وهي تسألها: «هل ستصبح بخير؟».

تمتمت كلارك بنعم. بالكاد كان بإمكانها أن تفتح جفنيها.

- ما الأدوية الأخرى التي لدينا؟

قالت كلارك، أو على الأرجح حاولت أن تقول: «كل شيء».

وبمجرد أن بلغت الكلمة شفتيها، لف الإعياء دماغها بغيمة من الخدر. آخر شيء تذكرته هو سماعها أوكتافيا وهي تنهض عن سريرها قبل أن تغط في نوم عميق بلا أحلام.

***

عندما استيقظت كلارك في الصباح التالي، كانت أوكتافيا قد اختفت، وضوء ساطع انبعث بشدة عبر ستار الخيمة. بينما كانت تاليا راقدة على جنبها لا تزال نائمة. نهضت كلارك عن سريرها وهي تئن، إذ تشنجت عضلاتها بفضل رحلتها الطويلة في الغابة بالأمس. ولكنه كان نوعًا حلوًا من الألم؛ فقد سارت عبر غابة لم تطأها قدم إنسان أو ترها عيناه طيلة ثلاثمئة سنة. تلوَّت معدتها عندما فكرت في امتياز آخر قد اكتسبته سهوًا: أول فتاة تُقبّل رجلًا على كوكب الأرض منذ وقوع الكارثة.

ابتسمت كلارك وأسرعت في اتجاه تاليا. لم تطق الانتظار حتى تتحسن حالتها لتحكي لها كل شيء. تحسست بظهر يدها جبهة صديقتها وتنفست الصعداء لما وجدت حرارتها قد انخفضت عما كانت عليه الليلة الماضية. سحبت عن تاليا غطاءها برفق لتلقي نظرة على بطنها. ما زالت آثار العدوى ظاهرة على

جلدها، ولكنها لم تنتشر في مناطق أخرى، ستتعافى تاليا قريبًا بفضل دورة علاج كاملة بالمضادات الحيوية.

كان من الصعب معرفة ذلك بدقة، ولكن بالنظر إلى قوة الضوء، استطاعت أن تخمن أن ثماني ساعات على الأقل قد مضت على آخر جرعة أخذتها تاليا. التفتت ومضت في اتجاه زاوية الخيمة حيث تركت صندوق الأدوية. وقد اكتسى وجهها بشيء من التجهم إذ لاحظت أنه كان مفتوحًا. جثت كلارك على الأرض وسحبت نفسا إلى رئتيها بحدة. أغمضت عينيها وفتحتهما لتتأكد أن عينيها لم تكونا تخدعانها.

كان الصندوق فارغًا، كل المضادات الحيوية، وكل المسكنات، وحتى الحقن، كلها اختفت. همست كلارك: «كلا».

لم يكن هناك شيء. تعثرت وهي تنهض واقفة، وقالت مجددًا: «كلا».

هرعت إلى أقرب سرير إليها وراحت تلقي بالأغطية جانبًا، ومن ثم فعلت الشيء نفسه بسريرها، إلى أن وقعت عيناها على سرير أوكتافيا، فاستحال فزعها إلى ارتياب لحظة. هرعت وطفقت تبعثر بين كومة الأغطية بينما أخذت تتمتم لنفسها: «هيا، هيا».

ولكنها انتهت خالية اليدين. ضربت الأرض بقدمها قائلة: «كلا».

لم تكن الأدوية في الخيمة، كان هذا جلي الوضوح. ولكن أيًّا كان من سرقها، فلا بد أنه لم يبتعد كثيرًا. لم يوجد سوى أقل من مئة إنسان على الكوكب كله، ولم تكن كلارك تنوي أن يهدأ لها بال قبل أن تجد ذاك اللص الذي عرض حياة تاليا للخطر. على الأرجح لم تكن في حاجة إلى أن تبحث بعيدًا كثيرًا.

بعد بحث سريع في أرجاء الشقة لكي تتأكد من أن والديها لم يكونا بالمنزل، أسرعت كلارك باتجاه المختبر وأدخلت شيفرة الدخول. كانت تتوقع أن يغير والدها كلمة المرور في كل مرة، ولكن إما أنهما لم يعرفا أنها كانت تتردد على زيارة الأطفال، وإما أنهما لم يرغبا في منعها. ربما كانا يفضلان معرفة أن كلارك تأتي لتسليتهم.

في طريقها إلى ليلي، ابتسمت كلارك للآخرين، رغم ما أحست به من ثقل يجثم فوق صدرها عندما رأت أن عددًا قليلًا منهم فقط كان مستيقظًا. اشتد على العديد منهم المرض، وازداد عدد الأسرة الفارغة عن المرة الماضية.

حاولت أن تبعد هذه الفكرة عن رأسها لدى اقترابها من ليلي، ولكن ما إن وقعت عيناها على صديقتها، أخذت يداها ترتجفان.

كانت ليلي تُحتَضَر. بالكاد تمكنت من أن تفتح عينيها عندما سمعت كلارك تهمس باسمها، حتى عندما حاولت أن تحرك شفتيها، لم تقو على أن تنطق بكلمة واحدة.

انتشرت المزيد من البقع الحمراء القشرية على جلدها، وإن كان عدد قليل منها كان ينزف؛ إذ لم تعد ليلي تقوى على حكها. جلست كلارك تقاوم نوبة أصابتها لدى رؤيتها صدر صديقتها يعلو ويهبط بأنفاس غير منتظمة، كان الجزء الأسوأ هو إدراكها حقيقة أن تلك لم تكن سوى البداية؛ فقد بدأت حالة المبحوثين الآخرين في التراجع منذ أسابيع، وأخذت الأعراض تتكاثر بشكل مروع وبشع كلما تمكن التسمم الإشعاعي من أجسادهم.

خطر على عقل كلارك ثواني أن تحمل ليلي إلى المركز الطبي، حيث يمكنهم على الأقل أن يوفروا لها دواء مسكنًا للآلام شديد المفعول، حتى مع حقيقة أن الوقت قد تأخر على إنقاذها. ولكن هذا سيكون بمنزلة أن تطلب من نائب المستشار أن يحكم على والديها بالإعدام. ومن ثم سيجد أشخاصًا آخرين

ليستكمل ما بدأه أبوها وأمها فقط. كل ما تمنته كلارك هو أن تكون تلك الأبحاث قد أثبتت فشلها القاطع، وبالتالي يصبح وقف التجارب ومن ثم لن يعاني أولئك الخاضعون للأبحاث دونما جدوى.

رفرف جفنا ليلي الشفافان بتثاقل لينفتحا. قالت بصوت شخص يحتضر: «مرحبا يا كلارك».

كاد شبح ابتسامة أن يلوح على وجهها قبل أن تضربها موجة جديدة من الألم وتمحوها بعيدًا.

اقتربت منها كلارك، وأمسكت بيد ليلي وربتت عليها برفق، وهمست: «مرحبا، كيف تشعرين؟».

كذبت ليلي، وجفلت بينما تحاول جاهدة لكي تجلس: «بخير».

وضعت كلارك يدا على كتفها وقالت: «لا بأس، ليس عليكِ أن تجلسي».

قالت الفتاة بصوت واهن: «لا، أود ذلك».

ساعدتها كلارك برفق لكي تجلس، ثم عدلت من وضع الوسائد خلف ظهرها. منعت الرجفة التي أرادت أن تسري في جسدها بمجرد أن لمست أصابعها ظهر ليلي. كان بإمكانها أن تشعر بكل فقرة من فقرات ظهرها تبرز من جلدها الشاحب.

سألتها كلارك بينما تنظر أسفل سرير ليلي حيث تُخبِّئان الكتب التي سرقتها كلارك من المكتبة: «هل أعجبتك مختارات ديكنز؟».

- لقد قرأت أول قصة فقط؛ تلك التي عن أوليفر تويست.

ابتسمت ليلي لكلارك ابتسامة خافتة وقالت: «إن رؤيتي...»

ولم تكمل جملتها. كانت كلتاهما تعرف أن مع بداية فقدان المبحوثين أبصارهم، فهذا يعني أن النهاية ليست ببعيدة. عادت ليلي تقول: «ولكنني لم أحبها على أي حال؛ كانت تذكرني كثيرًا بمركز الرعاية».

لم يسبق لكلارك أن سألت ليلي عن حياتها قبل ذلك؛ إذ كانت تحس أن ليلي لم ترغب في أن تتحدث عنها. سألتها بحرص: «هل كان بذلك السوء؟»

هزت ليلي كتفها هزة خفيفة وقالت: «كنا جميعًا نعتني ببعضنا بعضًا، لم يكن لدينا أي أحد، حسنا، عدا تلك الفتاة وحدها؛ إذ كان لديها شقيق، أخ أكبر حقيقي».

وجهت نظرها إلى الأسفل وقد احمرت وجنتاها فجأة، ثم أردفت: «كان لطيفًا؛ اعتاد أن يحضر لها أشياء؛ مثل طعام إضافي، وشرائط ملونة».

سألتها كلارك متظاهرة بأنها تصدق قصة أن هنالك فتاة لديها أخ بينما تزيل خصلة شعر عن جبين ليلي المبلل بالعرق: «حقًّا؟».

حتى في خضم هذه المرحلة المتقدمة من مرضها، كانت ليلي تتمتع بعاطفة متقدة.

أصابها الصلع في قالت كلارك بشرود إذ وقعت عيناها على المناطق التي رأس ليلي، والتي أصبح من الصعب التظاهر بعدم رؤيتها: «يبدو أنه شخص لطيف».

قالت ليلي بصوت أنهكه التعب: «دعك من هذا، أريدك أن تخبريني عن يوم ميلادك، ماذا سترتدين؟».

لقد نسيت كلارك أن يوم ميلادها الأسبوع المقبل. لم تشعر بأن لديها الرغبة في الاحتفال. قالت بمرح: «هكذا، كما تعلمين، أفضل لباس طبي لدي. إنني



أفضل أن أقضي الوقت هنا معك على الذهاب إلى حفل سخيف على أي حال».

قالت ليلي بحنق ساخر: «يا إلهي، عليك أن تفعلي شيئًا ما يا كلارك. لقد بدأت تصبحين مملة حقًّا. كما إنني أود أن أسمع عن فستانكِ».

جفلت فجأة وانحنت على نفسها في ألم. ربتت كلارك على كتف ليلي الهش وسألتها: «هل أنت بخير؟».

همست ليلي من بين شفتيها: «إنه يؤلم».

- هل يمكنني أن أحضر لك أي شيء؟ هل ترغبين في بعض الماء؟

فتحت ليلي عينيها، اللتين كانتا تنظران إليها بتوسل الآن، وقالت: «يمكنك أن توقفي هذا يا كلارك».

توقفت عن الكلام وراحت تئن.

- أرجوك، اجعليه يتوقف. إن الأمر مسألة وقت ليس إلا.

أشاحت كلارك بوجهها جانبًا كي لا تلمح ليلي دموعها، ثم افتعلت ابتسامة رغمًا عنها وهمست قائلة: «سيكون كل شيء على ما يُرام، أعدكِ».

أخذت ليلي تنشج قبل أن تغط في الصمت من جديد، ثم أسندت ظهرها إلى السرير وأغمضت عينيها.

سحبت كلارك الأغطية لتدثر صديقتها. تحاول جاهدة أن تتجاهل الشيطان الذي راح يشقّ بمخالبه طريقه إلى مقدمة عقلها. تملكها العجز في تلك اللحظة. لكان من شأن بضع أقراص من المسكنات أن تدخلها في غيبوبة، ومن ثم فسوف تقضي ما تبقى لها من معاناة دون ألم.

سألت كلارك نفسها: ما الذي أفكر فيه؟ وتراجعت إلى الخلف في رعب. لقد امتدت الدماء التي تغطي أيدي أبيها وأمها إلى يديها. لقد أصابها هذا الكابوس البشع بالعدوى وحولها إلى وحش. أو ربما لم يكن ذلك ذنب والديها، ربما كانت تحمل هذا الظلام بداخلها دوما، وظل كامنًا في انتظار لحظة ظهوره على السطح.

ما إن هبت إلى المغادرة، تحدثت ليلي مجددا، وتوسلت قائلة: «أرجوك، لو كنت تحبينني. أتوسل إليكَ».

كان صوتها هادئًا، ولكنه يحمل من اليأس ما بث الرعب في قلب كلارك.

- فقط اجعلي كل شيء يتوقف.

كان بيلامي يقطع الخشب في أقصى نهاية ساحة المخيم، وعلى الرغم من أن الجو كان باردًا، فإن قميصه كان مشبعًا بالعرق، حاولت كلارك ألا تنتبه إلى كيف أن قميصه كان ملتصقًا بصدره مفتول العضلات. عندما رآها تجري باتجاهه، وضع فأسه أرضًا والتفت ليواجهها بابتسامة تعلو وجهه. قال عندما توقفت وانتظرت لتلتقط أنفاسها: «حسنًا، كيف حالك؟ لم تسطيعي الابتعاد عني أليس كذلك؟».

تقدم نحوها ووضع يده على خصرها، ولكن كلارك أبعدت ذراعه بعيدا عنها. سألته: «أين أختك؟ لا أستطيع أن أجدها في أي مكان».

محت الجدية نبرة المرح اللعوب في صوته: «لماذا؟ ما الأمر؟».

- لقد اختفت الأدوية التي وجدناها.



أخذت كلارك نفسًا عميقًا لتشجع نفسها على نطق كلماتها التالية: «وأظن أن أوكتافيا أخذتها».

ضيق بيلامي عينيه وصاح: «ماذا؟ »

- لقد كانت هي الشخص الوحيد غيري في الخيمة ليلة البارحة، وكانت تحدق إلى الأدوية حقًّا.

قاطعها بيلامي صائحًا: «كلا. هل من بين كل أولئك المجرمين على هذا الكوكب اللعين، تظنين أن أختي هي من سرقت؟».

أخذ يرمقها بعينين تستشيطان غضبًا، ولكنه عندما تكلم ثانية كان صوته هادئًا: «ظننتُ أنك كنت مختلفة، ولكنني كنت مخطئًا. أنت لست سوى واحدة من عاهرات فينيكس اللّاتي يظنن أنفسهن يعرفن أفضل من أي شخص آخر».

ركل مقبض الفأس بقدمه، ثم تركها ومضى دون كلمة أخرى. ظلت كلارك واقفة ثواني ملتصقة قدماها بالأرض وقد أصابتها كلمات بيلامي بالشلل. ولكنها شعرت بأن شيئًا بداخلها يتمزق، ووجدت نفسها فجأة تعدو باتجاه الأشجار تترنح تحت ظلال سرادق الغابة. كان حلقها متيبسًا، هوت على الأرض واحتضنت ركبتيها بذراعيها لتمنع ما يعتمل بداخلها من ألم من أن يغادر صدرها.

وحدها، تلفها الظلال، فعلت كلارك شيئًا آخر لأول مرة على الأرض؛ بكَتْ.

الفصل التاسع عشر

بيلامي

توقف بيلامي ليعدل من وضع الطائر الذي ألقاه على كتفه. لقد تركته مواجهته مع كلارك في حالة من الهياج الشديد جعلته يلتقط رمحه ويمضي عاصفًا باتجاه الغابة دون أن يفكر لحظة. فقط بعد أن أوقع بذلك الطائر بالقرب من النهر بدأت سورته تهدأ. كانت رمية جيدة؛ إذ كان ذلك طائره الأول، وهو أكثر صعوبة من صيد الحيوانات على الأرض، وسيكون ريشه مثاليًّا من أجل السهام الجديدة التي كان يصنعها لكي يأخذها معه عندما يغادر هو وأوكتافيا معًا إلى الغابة. عند عودته إلى المخيم، أدرك أنه لم يرَ أوكتافيا منذ الصباح الباكر، فأحس بوخزة من القلق. كان عليه أن يمر ليراها قبل أن يغادر.

كانت النيران قد أشعلت بالفعل، وما إن اقترب بيلامي، حتى التفتت عشرات الوجوه إليه، ولكن واحدًا لم يكن يبتسم. نقل الطائر إلى كتفه الأخرى لكي يمنحهم رؤية أفضل لصيده. لماذا كانوا يحدقون إليه هكذا بحق الجحيم؟

أتت صيحة غاضبة من نهاية ساحة المخيم جذبت انتباهه إلى مجموعة أشخاص هناك بالقرب من حطام سفينة الإنزال. كانوا متجمعين في دائرة من حول شيء ما على الأرض. سحب نفسًا عميقًا إلى رئتيه لما تحرك الشخص المُلقى على الأرض.

ثم رآها، وتعاظم ارتباكه واستحال غضبا هائجا لا يشبه أي شيء شعر به من قبل.

لقد كانت أوكتافيا.

ألقى بالطائر على الأرض وانطلق يعدو نحوها. صاح بيلامي بينما يحاول أن يشق طريقه بين الحشد: «ابتعدوا عن طريقي».

كانت أوكتافيا على الأرض تنهار الدموع على خديها، يحيط بها جراهام وشرذمة من الأركاديين يحدجونها بأعين تلتمع بالجنون.

زأر بيلامي وهو يعبر بين الحشد: «ابتعدوا عنها!».

ولكن قبل أن يتمكن من أن يصل إلى أوكتافيا، أحاطت ذراع أحدهم برقبته حتى كادت تحطم قصبته الهوائية، صارع بيلامي من أجل أن يلتقط أنفاسه، وأخذ ينظر إلى ما حوله في اهتياج محموم. كان ويلز واقفًا أمامه تكسو وجهه تعابير باردة وجامدة. قال بيلامي بينما يتناثر بصاقه من بين شفتيه: «ما الذي يجري بحق الجحيم؟ ابتعد عن طريقي».

لم يتحرك ويلز قيد أنملة. عندها جز بيلامي على أسنانه وانقض عليه، ولكن شخصًا آخر هجم عليه وأمسك بخناقه ودفعه إلى الوراء. صاح بيلامي، ودفع ساعده إلى الخلف بقوة تكفي لكي تجعل أيًّا كان الذي يقف وراءه يفلته وهو ينخر كالخنزير.

كانت أوكتافيا لا تزال راقدة على الأرض. عيناها مشرعتان عن آخرهما في فزع، بينما تبدل نظرها بين بيلامي وجراهام، الذي كان يقف فوقها مباشرة. قال بيلامي وهو يجز على أسنانه: «من الأفضل أن يخبرني أحدكم ما الذي يحدث، وفورًا».

قال ويلز بهدوء يثير الغيظ: «لقد سمعتك أنت وكلارك تتحدثان بشأن الأدوية المفقودة في وقت سابق. ما عرف أحد بهذا إلا أوكتافيا، لا بد أنها من سرقتها».

قالت أوكتافيا منتجبة: «أنا لم أسرق أي شيء».

مسحت وجهها بظهر يدها وأخذت تنشج، وأردفت: «لقد فقدوا عقولهم جميعًا».

نهضت مترنحة على قدميها وشرعت تخطو باتجاه بيلامي.

انقضَّ جراهام بسرعة وجذب أوكتافيا من رسغها وسحبها إلى الخلف مجددا، وقال: «لن تذهبي إلى أي مكان».

صاح بيلامي غاضبا: «اتركها!».

انقضّ باتجاه جراهام، ولكن ويلز وقف أمامه، وأتى شخص آخر قيد زراعيه خلف ظهره. هاج بيلامي كالوحش الثائر، وصاح بينما يحاول أن بحرر ر نفسه: «ابتعدوا عني!».

ولكن تكاثرت الأيدي التي تكبله إلى الأرض وتمنعه من الحركة. عاد بيلامي يقول محاولًا دون جدوى أن يبقي صوته هادئًا: «اسمعوا، لقد كانت مصابة مذ هبطنا، هل تعتقدون حقًّا أنها كان بإمكانها أن تسرق الأدوية وتهربها إلى مكان ما خارج المخيم؟».

أجابه ويلز بهدوء: «كان بإمكانها أن تتبعني إلى داخل الغابة بالأمس. لقد قطعنا مسافة كبيرة سيرًا على الأقدام معًا».

أخذ بيلامي يتخبط بين الأذرع التي تكبله، غير قادر على كبح جماح غضبه لما حملته كلمات ويلز من معنى مبطن. لو كان قد تجرأ ووضع يدًا على أخته...



أومأ ويلز إلى فتى من والدن، فتقدم الأخير ومعه بكرة من الحبال. قال ويلز: «هدئ من روعك».

قال بيلامي بحنق: «إذن قل لهذا الطفيلي أن يزيل يديه القذرتين عن أختي».

ظهرت كلارك فجأة، وراحت تشقّ طريقها بين الحشد. اتسعت عيناها لما وقعتا على أوكتافيا، وسألت: «ما الذي يحدث؟ هل أنتِ بخير؟».

هزت أوكتافيا رأسها نافية والدموع تنهمر على وجهها.

قال ويلز ببرود: «إننا فقط نريد أن تخبرنا أوكتافيا عن مكان الأدوية، ومن ثم كل شيء سيُحَل».

صاحت أوكتافيا بصوت متهدج: «لست أنا من أخذتها».

قال جراهام بصوت كالفحيح: «إننا نعرف بأنك تكذبين. إنك فقط تزيدين الأمور سوءًا هكذا».

صرخت أوكتافيا عندما شدّ من قوة قبضته على معصمها، وأخذ بيلامي يصارع الأيدي التي تمسك به.

صرخ بيلامي بويلز قائلًا: «ما الذي تنوون فعله إذن؟ ستُبقون كلينا مقيدين؟».

زم ويلز فكه وقال: «هكذا بالضبط. سنبقي على أوكتافيا محبوسة إلى أن تخبرنا أين خبأت الأدوية، أو أن نجد دليلًا يشير إلى شخص آخر».

- تحبسونها؟

أجال بيلامي بصره حول ساحة المخيم ساخرًا، وأضاف: «وكيف ارتأيتُم أن تفعلوا ذلك؟»

تقدمت كلارك بوجه تعلوه نظرة متبرمة، وقالت باقتضاب: «إنني أقضي معظم اليوم في خيمة المستوصف على أي حال، يمكن أن تبقى أوكتافيا هناك، سأبقي عيني عليها وأحرص على ألا تهرب».

نخر جراهام قائلًا: «هل أنتِ جادّة؟ لقد سرقت الأدوية من تحت أنفك، والآن خطتك هي أن تبقي عينًا عليها».

التفتت كلارك إلى جراهام مقطبة حاجبيها.

- لو كان ذلك لا يروق لك يا جراهام، فإذن يمكنك أن تضع حارسًا خارج الباب.

كان جسد بيلامي قد أخذ يرتجف إذ خمد غضبه واستحال إلى إنهاك، قال بوهن: «هذا برمته ضرب من الشطط والجنون. انظروا إليها، إنها لا تشكل تهديدا على أي أحد. فقط فكوا قيدها وأقسم لكم إنني لن أدعها تغيب عن جفني».

مسح بعينيه وجوه الحشد الملتف حولهما بحثًا عن وجه واحد يحمل شيئًا من الشفقة. من المؤكد أن هناك أحدًا آخر قد رأى في ذلك الأمر كل ما تحمله كلمة هراء من معنى. ولكن أحدا لم يكن ينوي أن ينظر إلى عينيه. زم شفتيه بينما يلتفت ليواجه جراهام مجددًا، وزمجر قائلًا: «إنكم جميعا مجانين. لقد حرضتها على ذلك، أنت من سرقت الأدوية».

ضحك جراهام ساخرًا ورمى نظرة نحو آشر وقال: «أخبرتك أنه سوف يقول ذلك.»

كانت السماء تكفهر، والسحب تغزل غطاء رماديًا وثيرًا. تنفس بيلامي بعمق وقال: «حسنًا، فكروا كما يحلوا لكم، قوموا فقط بفك وثاق أوكتافيا ودعونا نذهب، سنترك المخيم إلى الأبد، لا ننوي أن نأخذ أي شيء من مؤنكم الثمينة حتى».



رمق أخته بنظرة، ولكنها بدت غير سعيدة بالفكرة، إذ ظهر على ملامحها أنها تجمدت تحت وقع الصدمة.

استدرك بيلامي: «لن تضطروا إلى أن تفكروا في شأننا أبدًا مرة أخرى».

لاحت نظرة ألم هربت من وجه كلارك قبل أن تتراجع مسرعة لتخفيها وراء قناع قوتها الفولاذي. فكر بيلامي في نفسه بمرارة: ستتخطى الأمر. سوف تجد شخصًا آخر ليتسكع معها عبر الغابة.

قال جراهام باحتقار: «لا أظن ذلك، ليس قبل أن نسترجع الأدوية. لا يمكننا أن نسمح بأن يموت أي شخص آخر بسبب أختك الصغيرة المدمنة».

أثار الاتهام كل بوصة في جسد بيلامي، وجعل كل أعصابه تميز من الغيظ، حتى حكته أصابعه توقًا إلى أن تطبق على رقبة جراهام.

قالت كلارك وهي تهز رأسها إلى جراهام وترفع إحدى يديها: «يكفي! إنني أرغب في استعادة الأدوية أكثر من أي واحد منكم، ولكنكم لا تساعدون على هذا».

قال بيلامي بحنق: «حسنًا إذن، ولكنني سآخذها الآن إلى الخيمة، ولن يجرؤ أي أحد على أن يلمسها بيده مرة أخرى».

اقتلع يده ليحررها من بين أيدي آسريه، وذرع المسافة بينه وبين أوكتافيا وأمسك بيدها، بينما أبقى عينيه مثبتتين على جراهام، وقال له بصوت خافت ومتوعد: «سوف تندم على هذا».

أحاط أخته المرتجفة بذراعه وقادها إلى خيمة المستوصف. تجهم وجهه في تصميم استبد به. سوف يفعل أي شيء من أجل أن يحمي أخته، كما كان يفعل دائمًا.

كان ذلك ثالث حارس يزورهم خلال البضعة الأشهر الماضية، لقد اعتادوا المجيء بصورة متكررة في ذلك العام، وكانت أوكتافيا تكبر. حاول بيلامي أن يمنع نفسه من التفكير فيما يمكن أن يحدث في المرة التالية، ولكن حتى هو كان يدرك أنهم لن يتمكنوا من الاختباء إلى الأبد.

قالت أمه بصوت أجش وهي تحدق إلى أوكتافيا التي حملها بيلامي إلى الأريكة: «لا يمكنني أن أصدق أنهم فتشوا في خزانة الملابس. حمدًا لله أنها لم تبكِ».

نظر بيلامي إلى أخته الرضيعة. كل شيء يخصها كان صغيرًا؛ من قدميها الضئيلتين المكسوتين بالجوارب، وحتى أصابع يدها الصغيرة على نحو لا يصدق، كل شيء عدا خديها الدائريين، وعينيها العملاقتين، اللتين دومًا ما ترقرقتا بدموع لم يبد أنها تنوي أن تنزل منهما قط. هل من الطبيعي لطفلة في الثانية من عمرها أن تكون بهذا الهدوء؟ هل كانت تعلم بطريقة أو بأخرى ما سوف يحدث إذا علم أحدهم بوجودها؟

سار بيلامي نحوها وجلس إلى جوار أوكتافيا، التي أدارت رأسها لتحدق إليه بعينيها الزرقاوين العميقتين. مال نحوها ليلمس خصلة من شعرها المجعد الداكن اللامع. كانت تبدو مثل رأس الدمية التي وجدها في أثناء نبشه عن آثار قديمة في حجرة التخزين. فكر في أن يأخذها معه إلى البيت من أجل أوكتافيا، ولكنه ارتأى أن حصص الإعاشة التي سيحضرها من قسم المقايضة كانت أكثر أهمية. لم يكن واثقًا أيضًا ما إذا كان من الصواب أن يعطي رأس دمية مفصولة إلى طفلة رضيعة، بغض النظر عن كم كانت جميلة.

ابتسم لما أمسكت أوكتافيا إصبعه بقبضتها الصغيرة. تظاهر بأن قبضتها تؤلمه، وقال: «مهلًا، أعيدي إليَّ إصبعي».

ابتسمت أوكتافيا دون أن تضحك بصوت. لم يستطع أن يتذكر أنه سمعها تضحك قط من قبل، راحت أمه تدمدم إلى نفسها وهي تذرع الغرفة جيئةً وذهابًا: «كان ذلك وشيكًا جدًّا، وشيكًا جدًّا... وشيكًا جدًّا... وشيكًا جدًّا».

سأل بيلامي والدته وقد شعر بالخوف يتعاظم بداخله مجددا: «أمي، هل أنتِ بخير؟».

مضت متجهة إلى الحوض، والذي كان ملآنًا بالصحون على الرغم من أنه في صباح هذا اليوم كانت ساعة الماء خاصتهم، ولم يتمكن من إنهائها قبل مجيء الحراس، وسيكون أمامهم خمسة أيام أخرى قبل أن تتاح لهم الفرصة مجددًا ليغسلوها.

أتى صوت ارتطام بعيد من نهاية الرواق، تبعه دوي ضحكات. شهقت أمه وراحت تنظر إلى أرجاء الشقة، وقالت: «أعدها إلى خزانة الملابس».

وضع بيلامي ذراعه أمام أوكتافيا وقال: «هدئي من روعك، لقد كان الحراس هنا للتو، ولن يعودوا بعض الوقت».

تقدمت أمه خطوة إلى الأمام. كانت عيناها متسعتين عن آخرهما يملؤهما الفزع. قالت له: «خذها من هنا!».

هب بيلامي عن الأريكة ووقف أمام أوكتافيا وقال: «لا، لم يكن أولئك هم الحراس أصلًا، إنه فقط شخص يتسكع بالجوار، لا يجب أن تعيدها إلى الداخل الآن»

نشجت أوكتافيا، ولكنها ما لبثت أن سكتت تمامًا لما حدجتها أمها بنظرة طويلة غاضبة.

راحت أمهما تتمتم بينما تمرر يدها بشرود بين شعرها الذي كان مشعثًا بالفعل: «يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!».

مالت بجسدها إلى الحائط وانزلقت إلى الأرض حتى هوت بارتطام حادّ. ألقى بيلامي نظرة على أوكتافيا، ثم سار ببطء باتجاه أمه، وجثا على ركبتيه أمامها بهدوء وقال: «أمي؟».

تعاظم بداخله نوع من الخوف لم يعهده من قبل، يختلف عمَّا شعر به في أثناء التفتيش. كان ذلك الخوف باردًا، وبدا وكأنه يتسرب إليه من معدته، محولًا دماءه إلى جليد.

قالت بصوت واهن وهي تحدق إلى شيء ما خلف رأس بيلامي مباشرة: «إنك لا تفهم. سوف يقتلونني؛ سوف يأخذونك، وسوف يقتلونني».

سألها بيلامي بصوت يرتجف: «يأخذونني إلى أين؟».

همست، بينما تزداد عيناها جحوظًا: «لا يمكنك أن تمتلك الاثنتين، لا يمكنك أن تمتلك الاثنتين».

رمشت بعينيها، ثم ركزت نظرتها على بيلامي مجددًا وأردفت: «لا يمكنك تمتلك أن تمتلك أمًّا وأختًا».

الفصل العشرون

جلاس

تسلقت جلاس آخر بضع درجات مُسرعة، وانعطفت إلى الرواق. لم تكن قلقة بشأن أن يوقفها الحراس بتهمة مخالفة حظر التجول. تشعر كما لو أنها تطفو، وأن خطواتها خفيفة كالريشة بينما تذرع الطريق عبر الرواق في صمت. وضعت يدها على شفتيها حيث لا تزال ذكرى قُبلةِ لوك باقية، وابتسمت.

كان ذلك بعد الساعة الثالثة صباحًا بقليل؛ كانت السفينة خالية، وأضواء الرواق خافتة. لقد تسبب إبعاد نفسها عن لوك في ألم شديد، حتى أحست أنه انتقل إلى جسدها، ولكنها تدرك أن ذلك كان أفضل من أن تمسك بها أمها. لو أنها غطت في النوم سريعًا بما يكفي، فلربما تمكنت من أن تخدع عقلها بالاعتقاد أنها لا تزال مع لوك، وأن جسده الدافئ لا يزال إلى جوارها.

ألصقت إصبعها على لوحة القفل على الباب، ثم دلفت إلى الداخل. أتى صوت أمها على الأريكة: «أهلًا يا جلاس».

شهقت جلاس وتلعثمت قائلة: «مرحبًا. كنتُ... أنا...»

راحت تبحث عن كلمات تسعفها لإيجاد سبب منطقي يفسر غيابها عن المنزل حتى بعد منتصف الليل، ولكنها لم تستطع أن تكذب؛ ليس بعد الآن، وليس بشأن هذا الأمر.

التزم كل منهما الصمت هنيهة، ورغم أنها لم تتمكن من رؤية التعبير الذي على وجه أمها، فإن جلاس استطاعت أن تشعر باضطرابها وغضبها ينبعثان عبر الظلام. سألتها سونيا أخيرًا: «كنتِ معه، أليس كذلك؟».

أجابت جلاس وقد شعرت بالارتياح لأنها تقول الحقيقة أخيرًا: «بلى، أنا أحبه يا أمي».

تقدمت أمها نحوها خطوة، فأدركت جلاس أنها لا تزال ترتدي فستانًا ليليًّا أسود، وآثار أحمر الشفاه الباهت على فمها، وبقايا آثار لعطرها في الهواء.

سألتها جلاس بضجر: «أين كنتِ أنتِ الليلة؟».

كان الأمر مثل السنة الماضية تماما؛ فمنذ اليوم الذي تركهما فيه أبوها، نادرًا ما كانت أمها موجودة. تقضي طوال الليل في الخارج، وأحيانًا تظل نائمة طوال النهار. والآن لم تعد جلاس تملك الطاقة لتشعر بالإحراج أو حتى بالغضب- من تصرفات أمها. لم تستطع أن تشعر إلا بغصّة حزن واهنة.

برمت سونيا شفتيها باشمئزاز يقترب إلى كونه ابتسامة، وقالت: «ليست لديكِ أي فكرة عما فعلته لكي أحميكِ. عليكِ أن تبتعدي عن ذاك الفتى».

قالت جلاس باستسلام: «ذاك الفتى؟ أنا أعلم أنكِ تعتقدين أنه مجرد...».

صاحت أمها: «هذا يكفي! ألا تدركين كم أنتِ محظوظة لوجودكِ هنا فقط؟ لن أدعكِ تقتلين نفسكِ من أجل والدني حقير يستميل فتيات فينيكس ويخدعهن ثم يتركهن».

اعترضت جلاس قائلة وهي تصيح بصوت عال: «إنه ليس مثلما تقولين! أنتِ حتى لا تعرفينه».



- إنه لا يكترث لكِ، في حين أنكِ كنتِ مستعدة للموت لكي تنقذيه. لقد نسيكِ بالكلية عندما كنتِ في الحبس.

جفلت جلاس. صحيحٌ أن لوك بدأ في مواعدة كاميل في أثناء ما كانت جلاس في الحبس، ولكنها لم تتمكن من أن تلومه؛ ليس بعد الكلام القاسي الذي قالته عندما انفصلت عنه في محاولة يائسة لحمايته.

ارتجف صوت سونيا تحت وطأة ما تبذله من جهد لتبقى هادئة: «جلاس، أنا آسفة لأنني كنتُ قاسية معكِ، ولكن ما دام المستشار لا يزال على أجهزة الإنعاش القلبي، فعليكِ أن تتوخي الحذر. لو أنه استيقظ ووجد أي حجة -أي حجة على الإطلاق- ليعيد النظر في أمر العفو عنكِ، فسيفعل». تنهدت. «لا يمكنني أن أدعكِ تخاطرين بحياتكِ مرة أخرى. هل نسيت ما حدث في المرة الماضية بالفعل؟»

ولكن بالفعل لم تنسَ جلاس. كانت ذكراها ثابتة مثلها مثل ندوب الأصفاد على جلدها، شيء سوف تحمله معها ما حيت. وحتى أمها لم تكن تعرف الحقيقة كاملة.

تجاهلت جلاس نظرات الحراس المستغربة عندما عبرت نقطة التفتيش وراحت تعبر الجسر السماوي متجهة إلى والدن. دعهم يظنون أنها ذاهبة لكي تشتري المخدرات لو أرادوا ذلك. ليس هنالك عقاب يحكمون به عليها يمكنه أن يؤلمها أكثر مما كانت توشك على فعله.

كان الوقت بعد الظهيرة، ولحسن الحظ، كانت الأروقة خالية. سوف يعود لوك من مناوبته الصباحية قريبًا، ولكن سيظل كارتر موجودًا في مركز السلع، حيث يعمل في فرز عبوات الغذاء. كانت جلاس تعلم أن ذلك ضرب من

الحماقة -إذ كان كارتر يكرهها، وسوف يزداد كرها لها ما إن يدري بأنها حطمت قلب لوك- ولكنها لم تستطع أن تنفصل عن لوك بينما كارتر في الغرفة المجاورة.

توقفت مترددة أمام الباب، ووضعت يدها على بطنها بشرود. كان عليها أن تفعل ذلك. لقد أجلت هذا الأمر مرات عديدة بالفعل؛ كانت تستجمع شجاعتها لكي تنفصل عنه، ثم تتراجع ما إن تقف كلماتها الفظيعة على حافة شفتيها. كانت تعد نفسها في كل مرة أن تكون المرة المقبلة، كانت تقول لنفسها: أريد فقط أن أراه مرةً أخيرة.

ولكن الآن وقد أخذت بطنها تزداد استدارة يومًا بعد يوم بشكل ملحوظ.

وحتى مع نصف حصص الإعاشة، باءت كل محاولات جلاس لكي تخفي وزنها الزائد بالفشل تحت تلك الفساتين القبيحة التي تبعث كورا على كتم ضحكاتها منها، ستظهر بطنها بوضوح قريبًا، وحين يحدث ذلك، ستكون هناك أسئلة، سيسألها المجلس عن هوية الأب، وإذا كانت لا تزال على اتصال بلوك، فسيعرف بالأمر، وسيضحي بنفسه في محاولة طائشة من أجل أن ينقذها، والتي لن تنتهي سوى بمقتل كليهما معًا.

قالت جلاس لنفسها لتحثها على طرق الباب بينما تدرك أن هذه هي المرة الأخيرة التي ستقف فيها على عتبة هذا الباب، والمرة الأخيرة التي سترى فيها لوك يبتسم لها وكأنها الفتاة الوحيدة في الكون: أنت تُنقذين حياته. بدت كلمات التشجيع التي تقولها لنفسها جوفاء لأذنيها.

ولكن لما انفتح الباب، لم يكن لوك واقفًا خلفه، بل كارتر، لا يرتدي غير بنطال زيّ العمل.

ضَيَّق عينيه بينما كان ينظر إلى خديها المحمرين خجلًا، وقال متذمران «إنه ليس هنا».

تراجعت جلاس خطوة إلى الوراء تلقائيًّا، وقالت: «آه، آسفة، سوف أعود لاحقًا».

ولكن كارتر داهمها بحركة مفاجئة وجذب ذراعها، وأحكم قبضته حول رسغها بطريقة آلمتها. سألها وقد لاحت على وجهه فجأة ابتسامة تقلصت لها معدة جلاس: «لمَ العجلة؟ تعالي وانتظريه بالداخل. أنا متأكد أن هناك أمرا ما يعطله فقط».

جفلت جلاس، وأخذت تدلك رسغها بينما تتبع كارتر إلى الداخل، لقد نسيت كم كان طوله.

سألته بأكثر نبرة مهذبة لصوتها وهي تتخذ مجلسًا على حافّة الأريكة حيث اعتادت هي ولوك أن يجلسا: «أليس لديك عمل اليوم؟».

آلمها قلبها عندما أدركت حقيقة أنها لن تتمكن من أن تجلس في حضنه مجددًا، أو أن تمرر أصابعها بين شعره المجعد بينما يستلقي واضعا رأسه على حجرها.

هز كارتر كتفيه في عدم اكتراث وقال: «لم أكن في مزاج للعمل».

قالت جلاس وقد فضلت ألا تعقب: «آه» .

لو لم ينتبه كارتر إلى تصرفاته، فسيتم خفض رتبته من جديد، والوظيفة الوحيدة الأدنى من مركز السلع هي وظيفة في قسم النظافة العامة. أضافت إذ إنها لم تكن متأكدة مما يجب أن تقوله غير ذلك-: «أنا آسفة».

تجرع كارتر بعضًا من زجاجة لا يظهر محتواها، وقال: «كلا، لستِ كذلك».

جعدت جلاس أنفها عندما فتح فاه، ويسكي من السوق السوداء.

تابع قائلًا: «إنكِ مثل كل الملاعين الآخرين على متن فينيكس؛ كل ما يهمك هو مصلحتك».

قالت جلاس بينما هبت تذرع غرفة المعيشة متجهة إلى الباب: «أتعلم شيئًا، يجب أن أذهب. أخبر لوك بأنني سأراه لاحقًا».

قال كارتر: «تمَهَّلي».

تجاهلته جلاس وجذبت مقبض الباب دونما التفات. ولكن قبل أن تتمكن من فتح الباب، أسرع كارتر ومد ذراعه من فوق كتفها ومال نحوها ليغلقه بقوة.

التفتت جلاس لمواجهته، وقالت بلهجة آمرة: «دعني أذهب».

اتسعت ابتسامة كارتر على نحو اقشعر له جسد جلاس. اقترب منها ليمرر يديه على ذراعيها، وقال: «ما المشكلة؟ نعلم كلانا أنكِ معتادة التسكع في والدن كثيرًا. لا تتظاهري بكونكِ صعبة الإرضاء».

صاحت به جلاس وجفلت إذ نجحت محاولتها في الإفلات من قبضته: «عمَّ تتحدث؟».

كشَّت وجهه وغرز أصابعه في ذراعيها بعنف، وقال: «تظنين أنكِ ثائرة ومتمردة عندما تتسلَّلين للتسكع برفقة لوك. ولكنني عرفت العديد من فتيات فينيكس مثلكِ من قبل، كلكن تشبهن بعضكنّ».

كان لا يزال ممسكًا بإحدى ذراعيها، بينما مدّ يده الأخرى من الخلف وراح يعبث بطوق بنطالها. حاولت جلاس أن تدفعه بعيدًا عنها، وقد أخذ الرعب



يدبّ بسرعة محمومة بداخل عروقها. صاحت به: «توقف!» ثم بصوت أعلى: «توقف، دعني أذهب!».

تمتم كارتر: «لا عليكِ».

ثم جذبها إليه بعنف وقيَّد يديها فوق رأسها. حاولت جلاس أن تبتعد عنه، ولكنه كان يزن ضعف وزنها، ولم تتمكن من أن تحرر نفسها. طفقت تنازع بوحشية، محاولةً أن تلكم معدته بركبتها، ولكنها كانت مُحاصرة.

همس كارتر في أذنيها بأنفاس نتنة الرائحة: «لا تقلقي، لن يمانع لوك في هذا، إنه مدين لي بهذا، بعد كل ما فعلته له، كما أننا نتشارك كل شيء».

فتحت جلاس فمها لكي تصرخ، ولكن كارتر اندفع حتّى ألصق جسده بصدرها، فلم يعد هنالك هواء في رئتيها. أخذت رقع سوداء تتراقص أمام ناظريها، وشعرت بأنها تفقد وعيها شيئًا فشيئًا.

ثم فُتِح الباب، فانتفض كارتر وتراجع إلى الخلف بسرعة. ففقدت جلاس اتزانها على إثر ذلك وهوت على الأرض.

دلف لوك إلى الداخل، وتساءل قائلًا: «جلاس؟ هل أنتِ بخير؟ ما الذي يجري؟».

حاولت جلاس أن تلتقط أنفاسها، ولكن قبل أن تملك فرصة لكي تجيب، صاح كارتر على الأريكة -حيث كان يجلس متكئًا بالفعل متظاهرًا باللامبالاة- وقال بلهجة ساخرة: «كانت صديقتك تريني أحدث رقصة فينيكسية للتو. أظن أنها تحتاج إلى قليلٍ من التدريب».

حاول لوك أن يبادل جلاس النظرات، ولكنها أشاحت بوجهها بعيدًا. أخذ قلبها يخفق بعنف تحت وطأة الأدرينالين والغضب يحثهما الخوف.

قال لوك وهو يمدّ يده ليساعدها على النهوض، ذاكرًا اسم اثنين من أصدقائه من الهيئة الهندسية لطالما كانا ودودين مع جلاس: «آسف لأنني تأخرت... لقد تورطت في حديث مع بيكا وعلي».

سألها بلطف عندما لم تلتقط يده: «مهلًا، ما خطبك؟».

بعد ما حدث قبل قليل، كل ما أرادت أن تفعله هو أن ترتمي بين ذراعي لوك، وأن تدع دفء جسده يقنع جسدها بأن كل شيء كان على ما يُرام. ولكنها قد أتت إلى هنا من أجل مهمة محدّدة، لم تستطع أن تسمح له بأن يهدئ من روعها.

- هل أنتِ بخير؟ هل ترغبين في أن نتحدث في غرفتي؟

استرقت جلاس نظرة إلى كارتر تستحضر عن طريقها غضبها وكرهها له إلى ذروتهما حتى تغلي الدماء في عروقها. نهضت واقفة، وقالت مصطنعة حِدّة في صوتها لم تتعرف عليها: «لن أدخل غرفتك مرة أخرى. أبدًا».

سألها لوك: «ماذا؟ ما الأمر؟».

حاول أن يجذب يدها برفق، ولكنها انتزعتها بسرعة.

- جلاس؟

كان الاضطراب الذي في صوته كافيًا ليمزّق نياط قلبها. قالت مصدومة من البرود الذي حمله صوتها: «لقد انتهى ما بيننا. هل ظننت حقًّا أن ما بيننا كان سيستمر؟».

شعرت بخدرٍ غريب يسري في أوصالها، وكأن أعصابها توقفت عن العمل لكي تصد عنها الحزن الذي كان سيفتك بها بلا شك.



أتى صوت لوك خفيضًا ومتقطّعًا: «جلاس، إنني لا أفهم ما الذي تتحدّثين بشأنه. ولكن هل بإمكاننا أن نكمل هذا الحديث في غرفتي؟».

اقترب ليضع يده على ذراعها، ولكنها تراجعت إلى الوراء متحاشية لمسته. تظاهرت بأنها ترتعد خوفًا، وأشاحت بوجهها كي لا يتمكن من رؤية الدموع في عينيها.

- كلا ، لا أصدق أنني سمحت لك بأن تُدخِلني إلى غرفتك في المقام الأول.

التزم لوك الصمت، بينما لم تستطع جلاس أن تمنع نفسها من استراق النظر إليه. كان يحدق إليها بعينين يملؤهما الألم. كان دائمًا ما يداخله القلق بأنه لا يليق بجلاس، بأنه يحول بينها وبين حياة أفضل على متن فينيكس. وها هي ذي الآن تستخدم المخاوف ذاتها التي أنكرتها من قبل لكي تُبعد لوك عنها.

سألها أخيرًا بعجز: «هل هذا ما تشعرين به حقا؟ كنت أظن أننا... جلاس، أنا أحبكِ».

أجبرت الكلمات على أن تغادر فمها بحرقة شديدة الوطأة، حتى بدت كأنما تمزق روحها: «أنا لم أحبك قط. ألا ترى؟ كان كل شيء مجرد لعبة بالنسبة إلي. أردت أن أرى إلى متى سأتمكن من الاستمرار قبل أن يكشف أمري، ولكنني انتهيت الآن. لقد مللت».

اقترب لوك وأمسك ذقنها بأصابعه ورفع وجهها لكي تلتقي أعينهما. كان باستطاعتها أن تشعر بعينيه تفتشان في داخلها عن أي شيء يُشير إلى أن جلاس الحقيقيّة مختبئة في مكان ما هناك.

قال بصوت متهدج: «إنكِ لا تعنين ذلك. لا أدري ما الذي يحدث، ولكن هذه ليست أنتِ. أخبريني يا جلاس، أرجوكِ».

ترددت جلاس لحظة عابرة. فكرت في أن بإمكانها إخباره بالحقيقة، كان سيتفهم الأمر بالطبع، وسيسامحها على كل الأشياء الفظيعة التي تفوّهت بها، وكانت هي ستسند رأسها على كتفه وتتظاهر بأن كل شيء سيكون على ما يُرام. يمكنهما أن يواجها الأمر معًا.

ولكنها بعد ذلك تخيلت لوك وهو يعدم... سيحقن بالحقنة القاتلة التي ستشل وظائف جسده قبل أن يلقى إلى الفضاء الشاسع البارد.

كانت الطريقة الوحيدة لإنقاذ حياة لوك هي أن يُكسَر قلبه.

أفلتت نفسها مبتعدةً عن لمسته. كان ألمها ينهش صدرها بوحشية وحرارة. تكلمت قائلة: «أنت لا تعرفني حتى. إذن...».

توقفت، وأغمضت عينيها لتمنع دموعها بينما تمد يديها خلف رقبتها لتحل قفل قلادتها، وقالت: «لم أعد أريد الاحتفاظ بهذه بعد الآن».

عندما أسقطتها في يد لوك، راح يحدق إليها في صمت وقد حفرت الصدمة والألم أخاديد على وجهه.

لم تَعِ أي شيء سوى وهي تهرع عبر الباب إلى الخارج وتصفقه من خلفها. ثم لاحقًا، أخذت تركض عبر الردهة، مركزة على صوت ارتطام خطواتها في أثناء عبورها الجسر السماوي. حدثت جلاس نفسها: يسار، يمين. يسار، يمين، فقط اذهبي إلى البيت. فقط اذهبي إلى البيت، حينها سيكون بإمكانكِ أن تبكي.

ولكن بمجرد أن انعطفت إلى الزاوية، ترنّحت وهوت على الأرض، متشبِّثة بكلتا يديها ببطنها. همست جلاس برفق: «أنا آسفة».

لم تكن متأكدة ما إذا كانت تتحدث إلى الطفل، أم إلى لوك، أم إلى قلبها المعطوب المُحطَّم.



الفصل الحادي والعشرون

كلارك

حطت غيمة ثقيلة من التوتر فوق خيمة المستوصف. كان بإمكان كلارك أن تشعر بها تجثم فوق صدرها مع كل نفس تأخذه.

ظلّت تحوم في صمت بالقرب من تاليا، تُحاول هباءً أن تهزم العدوى التي أصابت كليتيها بالفعل وبدت عازمة على إصابة كبدها تاليا، بينما تشتعل غضبًا في داخلها حنقًا على أنانية أوكتافيا. كيف تمكنت من أن تجلس هناك بينما تشاهد تاليا تسقط في نوبات غياب عن الوعي بشكل متكرر من دون أن تعيد الأدوية المسروقة؟

ولكنها لاحقًا نظرت إلى زاوية الخيمة حيث انزوت أوكتافيا مستلقية. كان مظهر خدّيها المستديرين ورموشها الكثيفة يجعلها تبدو يافعة على نحو مؤلم، فحل الشك والشعور بالذنب محل غضب كلارك. ربما لم تفعلها أوكتافيا، ولكن لو ليست هي، فمن فعلها؟

وقعت عيناها على السوار الذي قيد معصمها. لو أن تاليا تمكّنت فقط من أن تصمد حتى وصول الدفعة الثانية من المستوطنة، فلسوف تصبح بخير. ولكن أحدًا لم يكن يعرف متى سوف يحدث ذلك، فالمجلس سيظل منتظرًا حتى

يحصلوا على معلومات مؤكدة بشأن مستويات الإشعاع الذري، بغض النظر عما يحدث على الأرض.

كانت تدرك أن المجلس لن يكترث لموت تاليا، حالها كحال ليلي، فالأيتام والمجرمون لا يُعَدُّون بشرًا.

شعرت كلارك بحريق من الغضب المتأجج بينما تراقب تاليا وهي تلتقط أنفاسها بمشقة بالغة. رفضت أن تظل جالسة هكذا وتنتظر إلى أن تموت صديقتها. ألم يعالج البشر الأمراض آلاف السنين قبل اكتشاف البنسلين؟ لا بد أن هُناك شيئًا ما في الغابة من شأنه أن يقاوم العدوى. حاولت أن تتذكر القدر اليسير الذي تعلمته عن النباتات من صف أحياء الأرض. من يدري إذا كانت تلك النباتات لا تزال موجودة على أي حال؟ فمن الواضح أن كل شيء قد تطور على نحو غير مألوف بعد الكارثة. ولكن على الأقل كان عليها أن تحاول.

همست كلارك إلى صديقتها النائمة: «سوف أعود».

ودون أن توجه كلمة إلى الفتى الأركادي الذي يحرس الخيمة من الخارج، هرعت كلارك إلى خارج المستوصف وشرعت في المشي نحو الغابة، ولم تهتم بأن تحضر أي شيء من خيمة المؤن خوفًا من أن تلفت أي انتباه. ولكنها لم تنجح في أن تقطع أكثر من عشرة أمتار من دون أن يرن صوت مألوف في طبلتي أذنيها.

اقترب ويلز حتى أصبح بجانبها، وسأل: «إلى أين أنتِ ذاهبة؟».

- للبحث عن نباتات طبيّة.

كانت مُرهقةً جدًّا لكي تكذب على ويلز، ولم يكن يهم على أي حال، فدائمًا ما كان يعرف من عينيها أنها تكذب. بطريقة ما، لم تمنعه تزكيته لنفسه واعتقاده



الراسخ بصوابه الأخلاقي الذي أعماه عن الحقائق جلية الوضوح من أن ينفذ إلى ما تخبئه عيناها من أسرار.

- سآتي معك.

قالت كلارك: «أنا بخير وأنا بمفردي، شكرًا. ابقَ هنا في حالة احتاجوا إلى أحد ليسيطر على الحشود الغاضبة».

ثم أسرعت في مشيتها، وكأنّ ذلك كان سيُثني الفتى الذي سافر عبر النظام الشمسي ليكون معها.

قال ويلز عابس الوجه: «أنتِ مُحقة، لقد خرجت الأمور عن السيطره في الماضية. لم أقصد أن تُصاب أوكتافيا بأي أذى، أردتُ أن أساعد فقط، أنا أعرف أنكِ تحتاجين إلى تلك الأدويةِ من أجل تاليا».

التفتت كلارك لتواجه ويلز. لم تكن تملك الوقت ولا الطاقة لتتحمل احتياجه إلى التكفير عن الذنب الآن. قالت: «أردت أن تساعد فقط. لقد سمعت هذه الجملة من قبل. وخمن ماذا حصل هذه المرة يا ويلز؟ لقد انتهت الحال بحبس أحدهم أيضًا».

توقف ويلز في مشيته، وأشاحت كلارك برأسها غير قادرة على أن تنظر إلى عينيه اللتين يملؤهما الألم، ولكنها أبت أن تدعه يجعلها تشعر بالذنب. ليس هناك شيء يمكنها أن تقوله له سيتمكن من تخفيف ما سببه لها من ألم.

لم تنظر كلارك خلفها بينما تتقدم بخطوات واسعة نحو الغابة. لا تزال شبه مُترقبة لسماع خطوات الأقدام من خلفها. ولكن هذه المرة لم تسمع سوى الصمت.

***

ما إن وصلت إلى الجدول، استحال الغضب الذي حملته كلارك عبر الغابة إلى يأس. قتلت العالمة التي بداخلها بواسطة سذاجتها، إذ كان من الغباء أن تعتقد أنها ستتمكّن بطريقة ما من التعرف على نبات عن طريق درس أخذته منذ ستة أعوام. دعك من أن شكله سيختلف بعد كل ذلك الوقت. ولكنها أبت تعود أدراجها، حصرت ما بين كبريائها العنيدة وبين رغبتها في تجنّب ويلز أطول فترة ممكنة.

كان الأمر باعثًا على الاسترخاء للغاية أن تسير بقدمها في الماء، لذا تسلقت المنحدر إلى الأعلى وسارت عبر الحافة لتعبر إلى الجانب الآخر. كانت تلك هي أبعد مسافة تقطعها بعيدًا عن المُخيم بمفردها. بدا الجو مختلفًا في هذا المكان، حتَّى الهواء كان ذا طعم مُختلف بطريقة ما عمَّا كان بالقرب من ساحة المخيم. أغمضت عينيها، آملة في أن يساعدها ذلك على تمييز الروائح الغريبة التي تحيط بها ولا تستطيع صياغة وصفها بالكلمات. بدا الأمر وكأنها تحاول أن تسترجع ذكرى لم يسبق لها وأن عايشتها لتبدأ بها.

ازدادت الأرض انبساطًا هُنا عمَّا سبق أن رأت في أي مكان آخر من الغابة، وازدادت المسافة بين الأشجار على امتداد بصرها اتّساعًا، حتى الأشجار نفسها تباعدت في شكّل خطين مستقيمين على كلا الجانبين، وكأنها استطاعت أن تشعر بوجود كلارك وتنحت جانبًا مفسحة لها الطريق لكي تمر.

شرعت كلارك في قطف ورقة شجر نجمية الشكل عن إحدى الأشجار، ثمَّ جمدت في مكانها إذ وقعت عيناها على ومضة ضوء. كان هناك شيء ما متخفيًا بين شجرتين عملاقتين يعكس ضوء الشمس الخافت. تقدمت خطوة أخرى إلى الأمام، وقد بدأ قلبها يخفق بشدة.

إنها نافذة.



راحت كلارك تسير باتجاهها ببطء. كانت تحس في الوقت نفسه أنها تسير في إحدى أحلامها. كانت النافذة محاطة بشجرتين، لا بد أنهما نَمَتا من حُطام المبنى، أيًّا كانت ماهيّته في الماضي. ولكن لم يكن الزجاج شفافًا. رأت لما اقتربت أكثر أن النافذة كانت في الأصل مصنوعة من قطع مختلفة من الزجاج الملون، والذي كان مرتبًا ليكون صورة ما، ولكن كان بها العديد من الشقوق التي جعلت من العسير أن تعرف ماهيتها.

اقتربت ومدت يدها لتمسح الزجاج بإصبعها برفق. ارتجفت لما تسربت البرودة إلى أصابعها. كان الأمر أشبه بلمس جثة. لحظة عابرة، وجدت نفسها تتمنى لو أن ويلز كان معها. بغض النظر عن كم كانت غاضبة منه، فهي لن تحرمه أبدًا من رؤية إحدى البقايا الأرضية التي قضى حياته كلها وهو يحلم بها.

التفتت وسارت من خلف إحدى الأشجار الضخمة. كانت هناك نافذة أخرى، ولكنها كانت محطمة، وقطع الزجاج الحادة تلمع على الأرض. تقدمت كلارك وقرفصت لتدقق النظر إلى الداخل. الفتحة المسننة واسعة بما يكفي للدخول عبرها زحفًا. كانت الشمس في بداية غروبها تقريبًا، وأخذت أشعة الشفق البرتقالية تنفذ عبر . الفتحة مباشرة، كاشفة عما بدت كأرض خشبية. صرخ دماغ كلارك بكل ما لديه من غرائز طبيعيّة أن ابتعدي عن هنا، ولكنها لم تستطع منع نفسها.

احترست كلارك ألا تدع جلدها يلامس الزجاج بينما تمد ذراعها عبر فتحة النافذة، ومررت يدها على الخشب. لم يحدث شيء. كوَّنت قبضة بأصابعها وطرقت على السطح الخشبي، بينما راحت تسعل إذ تناثرت غيمة من الغبار في الهواء، بدا ملمسهُ صلبًا، توقفت هنيهة مفكرة في الأمر. لو أن المبنى قد بقي صامدًا طوال هذا الدهر، فبالتأكيد ستكون الأرضية قادرة على أن تتحمل وزنها. مررت إحدى ساقيها عبر الفتحة بحرص،

مررت إحدى ساقيها عبر الفتحة بحرص، ثم ألحقت بها الأخرى. ظلت كاتمة أنفاسها، ولكن شيئًا لم يحدث. وبعد أن أجالت نظرها يمنة ويسرة، ونظرت إلى الأعلى، سحبت كلارك بعض الهواء إلى رئتيها.

كانت الجدران مرتفعةً في كل الاتجاهات، لتتلاقى معًا في نقطة تبعُد أمتارًا عَديدة فوق رأسها، أعلى حتى من السقف الذي يعلو الحقول الشمسية. لم يكن المكان مظلمًا كما توقّعت؛ إذ كان هُنالك المزيد من النوافذ على طول الحائط الآخر الذي لم تتمكن من رؤيته. كانت تلك مصنوعة من الزجاج الشفاف، ولكنّها لم تكن مهشمة؛ ومن ثم مرت أشعة ضوء الشمس من خلالها، فاتضحت ملايين من جزيئات الغبار التي تتراقص في الهواء.

وقفت كلارك ببطء على قدميها. كانت أمامها سلالم ارتفعت بمحاذاة الأرض بارتفاع خصرها تقريبًا. تقدّمت بضع خطوات مترددة، ثمَّ صرخت، فأفزعت نفسها مجددًا إذ تردَّد صدى صوتها على مسافة كبيرة من فوقها.

كانت تقف في شرفة تطل على مساحة ممتدّة شاسعة، وقد خيم الظلام كليًّا تقريبًا، على الأرجح لأن معظم المباني قد دكّت تحت الأرض الآن. كل ما استطاعت رؤيته هو بعض الحواف الناتئة فقط. لم تجرؤ على أن تخاطر بالاقتراب خطوة أخرى من الحافة من أجل رؤية أوضح، ولكن ما إن اعتادت عيناها الظلام، اتّضحت لناظريها المزيد من الأشكال.

جُثَث.

ظنت في بداية الأمر أن ذلك من نسج خيالها ليس إلّا، وأن عقلها كان يُمارس ألاعيبه معها بسبب الظلال. أغمضت عينيها وحثت نفسها على ألا تكون حمقاء، ولكنها عندما فتحت عينيها مجددًا كانت الأشكال كما هي.

هيكلان عظميّان تدليا من أحد نتوءات الحطام، وواحد آخر أصغر حجمًا يرقد أسفل أقدامهما. على الرغم من عدم معرفتها ما إذا قد حركت تلك العظام من مكانها، فإن أولئك الأشخاص -ممَّا رأته كلارك- قد ماتوا ملتصقين بعضهم ببعض. هل كانوا يحاولون أن يستدفئوا ببعضهم بعضًا اسودت السماء وخطّ الشتاء الذري فوق الكوكب؟ ترى كم من الناس قد تُركوا في هذه الحال؟

تقدمت كلارك خطوة أخرى صغيرة، ولكن هذه المرة طقطق الخشب على نحو خطير. جمدت في مكانها وبدأت تتراجع ببطء شديد إلى الوراء، ولكن تصدّعت الأرض مصدرة دويًا عاليًا عبر الصمت. ثم ترنّحت فجأة، فانهارت الأرض من تحتها. لوَّحت بيديها في فزع وتمسكت بحافة الشرفة، بينما تداعت السلالم والأرضية في الهواء، وأصبحت ساقاها تتدليان من فوق أرض مفتوحة شاسعة الامتداد، في حين سقطت القطع المتهدمة وأصدر صوت ارتطامها بالأحجار دويًّا غليظًا.

صرخت صرخة عالية خالية من الكلمات ارتفعت إلى السقف ثم تبدّدت، انضمت إلى أشباح صرخاتها الأخرى التي ما زالت عالقة في الغبار إذ بدأت أصابعها في الانزلاق.

- النجدة!

حاولت بكل ذرة قوة تبقت في جسدها أن تسحب نفسها إلى الأعلى بذراعين ترتعشان تحت وطأة الجهد المبْذول، ولكن قبضتها كانت تزداد وهنًا. راحت تصرخ مجددًا، ولكن لم تعد رئتاها تحويان مزيدًا من الهواء، وماتت الكلمة على حواف شفتيها قبل أن تدرك أنها كانت تصرخ باسم ويلز.

الفصل الثاني والعشرون

ويلز

انطلق ويلز يعدو بأقصى سرعة إذ أشعلت صرخة كلارك كل بوصة من جسده. كان من الصعب أن يتتبع كلارك عبر الغابة، وبخاصة منذ اضطر إلى أن يبقى مسافة بعيدًا عنها. كانت ستجن غضبًا لو لمحته خلفها. ولكنه الآن كان يَطير فوق العشب بالكاد تمكن من أن يشعر بحذائه يضرب الأرض. كان قد وصل إلى النافذة ذات الزجاج الملون عندما ملأت صرخة صاخبة أخرى ذرات الهواء.

ألصق رأسه بالقرب من فتحة النافذة المهشمة وصرخ قائلًا: «كلارك!».

كان الدَّاخل مظلمًا، ولكن لم يملك وقتًا لكي يخرج مصباحه اليدوي. أمكنه نقط أن يلمح أصابع متمسكة بحافة المبنى بالأعلى. انحنى ودفع نفسه إلى الداخل، وسقط مرتطمًا بالأرض الخشبيّة بعنف، ثم انزلق على بطنه إلى الأمام، وهرع إلى الحافة ليحيط معصم كلارك بإحدى يديه، بينما يتمسك بالحائط الصخري من أجل الدعم.

قال: «أمسكتُ بكِ، لا تخافي».

ولكنه كان متسرعًا لقول هذا، إذ اختفت إحدى يديها، وأصبح يدعم وزنها بكُلِّيَّتِه. استطاع أن يشعر بأنه هو نفسه ينزلق نحو الحافة.

صاح مجددًا: «تمسكي يا كلارك!».



صرخ بينما تنجح محاولته في أن يدفع جسده إلى وضعية جالسة، ثم ألصق إحدى قدميه بالحائط. أخذت يده تتعرق، وأحس أنه يوشك أن يُفلت قبضته.

صرخت كلارك: «ويلز!».

تردَّد صوتها عبر الفضاء الأجوف، فجعله يبدو كأن هناك مئة كلارك يوشكن جميعهن أن يلقين حتفهن.

صرّ ويلز على أسنانه وأخذ يسحبها. لهث حتى انقطعت أنفاسه في إنهاك وارتياح عندما تمسكت كلارك بيدها الأخرى من جديد.

- كدتِ تفعلينها، اصمدي.

رفعت ساعديها على الأرضية الخشبيّة، فمد يديه ليمسك بذراعيها من الأعلى، ثم سحب بقية جسدها إلى الحافة لاهثًا. اصطدم كلاهما بالحائط الحجري وتكدسا بعضهما على بعض.

أخذت كلارك تبكي بينما تُصارع لتلتقط أنفاسها. أحاطها ويلز بذراعه وقال مطمئنًا: «لا بأس، إنكِ بخير».

انتظر منها أن تنفر من لمسته إياها، ولكنها دفنت نفسها بين ذراعيه بدلًا من أن تفعل ذلك، فضمَّها ويلز بقوة. أتى صوتها مكتومًا وهي تسأله من داخل حضنه: «ما الذي تفعله هنا؟ ظننتُ... تمنيت أن...».

تكلم ويلز دافنًا ذقنه في شعرها: «لقد تبعتُكِ، كنتُ قلقًا، ما كنتُ لأدع مكروهًا يصيبكِ قط. مهما حدث».

تكلم دونما تفكير، ولكن بعد أن غادرت الكلمات شفتيه، عرف ويلز أنها حقيقيّة، حتى لو قبّلت شخصًا آخر... حتى لو أرادت أن تكون مع شخص آخر، سيكون دائمًا هنا من أجلها.

لم تقل كلارك أي شيء، فقط بقيت ساكنة بين ذراعيه.

اكتفى ويلز بضمها إليه. كان مرعوبًا من أن يقول شيئًا آخر من شأنه أن يتسبَّب في نهاية تلك اللحظة، وقد تحوّلت راحته إلى فرح. ربما كانت لديه فرصة ليكسب قلبها مجددًا. ربّما أمكنهما -هنا بين بقايا العالم القديم- أن يبدأ قصتهما من جديد.

الفصل الثالث والعشرون

بيلامي

سوف يبدأ بترك أولئك السفلة يتضورون جوعًا. بعدئذ، ربما عندما يصيبهم جميعًا الوهن من شدّة الجُوع لدرجة تجعلهم يزحفون إليه ويتوسّلون إليه ليغفر لهم، سيفكر حينها في أن يخرج للصيد. ولكن سيكون عليهم أن يرضوا بسنجاب أو أي شيء صغير الحجم، من المًستحيل أن يقتل غزالًا آخر من أجلهم.

أمضى بيلامي ليلته مؤرقًا، يُراقب خيمة المستوصف لكي يتأكّد جيدًا من أن أحدًا لم يقترب من أخته، والآن بعد أن طلع الصباح، قرر أن يأخذ جولة حول مُحيط المخيّم. كان لديه الكثير من الطاقة لكي يظل جالسًا دون حراك.

عبر بيلامي خط الأشجار، فأحس بجسده قد استرخي قليلًا لما لامسته الظلال. لقد اكتشف على مدى الأسابيع القليلة الماضية أنه يستمتع بصحبة الأشجار أكثر من البشر. اقشعر جسده إذ مرت نسمة هواء باردة من خلف رقبته، فنظر إلى الأعلى. بدأت الأجزاء الظاهرة من السماء من خلال فروع الأشجار تصطبغ باللون الرمادي، وتبدل الهواء على نحو مفاجئ، أصبح رطبًا تقريبًا. خفض بيلامي رأسه وتابع سيره. ربما قد طفح كيل الأرض من حماقاتهم، وكانت تستعد لبدء جولة ثانية من الشتاء الذري.

التفت وراح يمضي في اتجاه النهر، حيث اعتاد أن يعثر على آثار الحيوانات ليتتبعها. ولكن لاحقًا، جذبت انتباهه حركة سريعة في إحدى الأشجار تبعد بضعة أمتار، ومن ثم توقف.

كان هناك شيء ما ذو لون أحمر لامع يرفْرف في الهواء، ربما كانت ورقة شجر. كما أن شيئًا آخر لم يكن قريبًا من ذلك الطيف المُجاور. ضيق بيلامي عينيه، ثم اتخذ بضع خطوات إلى الأمام، وقد أحس بخدر غريب في رقبته. كان ذلك شريط شعر أوكتافيا. لم يكن الأمر منطقيًّا على الإطلاق -فهي لم تخرج إلى الغابة طوال أيام- ولكنه كان سيعرفه على أي حال؛ هناك أشياء لا يمكن للمرء أن ينساها.

كانت الأروقة مُظلمة عندما انطلق بيلامي مسرعًا على السلالم متَّجهًا إلى شقتهم. لقد استحق الأمر أن يظل بالخارج بعد حظر التجول، ما دام لم يمسك به أحد. لقد هرب من خلال فتحة تهوية قديمة كانت صغيرة جدًّا إلا لطفل ليزحف من خلالها، تؤدي إلى حجرة تخزين مهجورة سبق وأن سمع بشأنها في الطابق (ج). كانت ذاخرة بكل أنواع الكنوز: قبعة ذات حواف عريضة يزينها طائر صغير ظريف، وشريط أحمر قد ربطه بمقبض حقيبة غريبة ذات عجلات. بادل بيلامي اكتشافاته الأخرى مقابل حصص إعاشة، ولكنه احتفظ بالشريط على الرغم من أنه كان سيوفر لهم الطعام شهرًا كاملًا، ولكنّه أراد أن يعطيه أوكتافيا.

ألصق إبهامه على ماسح البصمة وفتح الباب بحرص، ثم وقف جامدا. كان أحدهم يتحرَّك بالداخل، ويُفترض أن تكون أمّه نائمة في هذا الوقت. تقدم خطوة صامتة إلى الأمام بما يكفي ليسْمع بشكل أفضل، ثم شعر بالارتياح إذ ملأ أذنيه صوت يألفه؛ كانت أمه تغني: تهويدة أوكتافيا المفضلة، وهو أمر اعتادت فعله طوال الوقت. كانت تجلس على الأرض وتغنِّي ليصل صوتها عبر

باب خزانة الملابس إلى أن تنام أوكتافيا. تنهد بيلامي في ارتياح، إذ لم يبد أنها كانت فكرة المزاج لكي تزجره، أو الأسوأ، أن تدخل في نوبة من نوبات بكائها التي تجعل بيلامي يود لو يختبئ في الخزانة مع أخته.

ابتسم بيلامي وتسلل إلى الغرفة الرئيسية، ورأى أمه جاثية على ركبتيها على الأرض.

- نامي يا صغيرتي، كفي عن البكاء، ستشتري لك ماما نجمة من السماء، وإذا ما غنت لك الألحان، اشترت لك ماما من القمر قطعتين.

تردد صوتٌ آخر في الظلام؛ صوت صفير خافت. ترى هل خرب نظام التهوية من جديد؟ تقدم خطوة إلى الأمام.

- وإذا خَفَت يومًا ضوء القمر، اشترت لكِ ماما...

سمع بيلامي الصوت مجددًا، ولكن هذه المرة بدا مثل شهقة. تقدم خطوة أخرى.

- أمي؟

كانت تربض فوق شيء ما على الأرض.

صاح بيلامي وهرع نحوها: «أمي!».

كانت أمه تمسك برقبة أوكتافيا بين يديها. وحتَّى رغم الظلام، تمكن بيلامي من أن يرى أن وجه أخته قد استحال أزرق اللون. دفع أمه جانبًا وانتزع أوكتافيا وخبّأها بين ذراعيه. لحظة توقف فيها قلبه، كان متأكدًا من أنّها قد ماتت، ولكنها اختلجت ثم راحت تسعل. التقط بيلامي أنفاسه، وأخذ قلبه يخفق بجنون.

تفوهت أمه خائرة القوة: «لقد كنا نلعب لعبة فقط. لم تستطع النوم؛ لذلك كنا نلعب لعبة معًا...»

ضمَّ بيلامي أوكتافيا إليه، وراح يصدر أصواتًا ليهدهدها بينما يحدق إلى الحائط تحت وطأة شعور غريب اعتراه. لم يكن متأكدا مما كانت أمه تفعله، ولكنه كان واثقا من أنها ستقدم على فعلها ثانية.

وقف بيلامي على أطراف أصابعه، ومد ذراعه نحو الشريط. أحاطت أصابعه بالشريط الحريري الذي يألفه، ولكن عندما حاول أن يسحبه، أدرك أن حلية شعر أخته لم تكن فقط عالقة على الغصن، بل كانت مربوطة إليه.

ترى هل وجد أحدهم الشريط وربطه إلى الشجرة ليبقيه بأمان؟ ولكن لم يحضره معه إلى المخيم فقط؟ انزلقت يده على طول الغصن شارد الذهن، تاركًا اللحاء القاسي يُغرز في جلده بينما يتتبع خطًّا من الغصن مرورًا بساق الشجرة. ولكنه جمد فجأة إذ مرت أصابعه على حافة منطقة منخفضة في جذع الشجرة، حيث نتأت قطعة من الخشب نحو الخارج. كان هناك شيء بارز منها، عش طيور ربما؟

أمسك بيلامي بطرفه وسحبه، وراح يُراقب في فزع بينما تخرج الأدوية التي عثر عليها مع كلارك ثم تَتَبعثر على الأرض. الحبوب، والمحاقن، والقناني؛ كل شيء كان مبعثرًا على العشب بجوار قدميه. نازع عقله بحثًا عن تفسير، أو أي شيء يوقف الذعر الذي أخذ يعتمل في صدره.

هوى إلى العشب وهو يئنّ، ثم أغمض عينيه. كان الأمر حقيقيًّا؛ أوكتافيا هي من سرقت الأدوية، لقد خبَّأتها في الشجرة واسْتخدمت شريط شعرها كعلامة مُميّزة لكي تتمكَّن من العثور عليها مجددًا. ولكنه لم يستطع أن يفكر لماذا قد

فعلت شيئًا كهذا؟ هل كانت قلقة لما قد يحدث لو أن أحدهما أصيب بالمرض؟ ربما كانت تخطط لأخذ المؤن الطبية معهما عندما ينفصلان عن البقية.

ثم رنَّت كلمات جراهام في أذنيه: «لا يمكننا أن نسمح بأن يموت أي شخص آخر بسبب أختك الصغيرة المدمنة».

***

لقد غطَّ الفتى المكلف بالوقوف خارج خيمة المستوصف في النوم. بالكاد أدرك أن ينهض على قدميه متعثرًا ويتمتم بسرعة: «مهلًا، لا يمكنك الدخول إلى هناك». قبل أن يشق بيلامي طريقه عبر ستار الخيمة. أجال بصره في أرجاء المكان لكي يتأكّد من أنه كان خاليًا عدا من صديقة كلارك المريضة النائمة، ثم سار مسرعًا إلى حيث جلست أوكتافيا على سريرها متربّعة تضفر شعرها.

همس بصوتٍ كالفحيح: «ما الذي تظنِّين أنكِ تفعلينه بحق الجحيم؟».

- ما الذي تتحدث عنه؟

كان صوتها يحمل مزيجا من الملل والضيق، وكأنما كان يثقل عليها بسبب واجبها المدرسي كما اعتاد أن يفعل دومًا عندما يذهب للاطمئنان عليها في مركز الرعاية.

ألقى بيلامي بشريط الشعر على سريرها، وجفل لما لمح الرعب الذي اكتسى به وجه أوكتافيا.

أجابت متلعثمة: «أنا لم... لم يكن...».

قاطعها معنِّفًا: «كُفِّي عن هذا الهراء يا أو! الآن يمكنكِ أن تكملي تضفير شعركِ اللعين بينما توجد فتاة تحتضر أمام عينيكِ».

اتّجهت عينا أوكتافيا نحو تاليا، ثم إلى الأرض، وقالت بخجل: «لم أفكر في أنها كانت مريضة إلى هذا الحد حقًّا. لقد أعطتها كلارك بعض الدواء بالفعل، وعندما أدركت أنّها لا تزال في حاجة إلى المزيد، كان الوقت قد فات. لا يُمكنني أن أعترف الآن، لقد رأيت كيف كانوا. لم أكن أعلم ماذا يمكن أن يفعلوا بي». عندما رفعت عينيها مجددًا، كانت عيناها الزرقاوان ملآنتين بالدموع.

- حتى أنت تكرهني الآن وأنت أخي!

تنهد بيلامي وجلس إلى جوار أخته، ثم أمسك بيدها وشد عليها قائلًا: «أنا لا أكرهكِ، إنني فقط لا أفهم. لماذا فعلت هذا؟ أخبريني بالحقيقة هذه المرة من فضلك».

التزمت أوكتافيا الصمت، وأمكنه أن يشعر بجلدها الذي أصبح نديًّا بالعرق وقد أخذ جسدها يرتجف. أفلت يدها وقال: «أو؟».

قالت بصوت كمن يهمس إلى نفسه: «أنا أحتاج إليهم؛ لا أستطيع النوم من دونهم». ترددت ثواني وأغمضت عينيها «في البداية كان ذلك في أثناء الليل فقط. لم تنقطع تلك الكوابيس البشعة عن ملاحقتي؛ فأعطتني ممرضة مركز الرعاية دواء لكي يُساعدني على النوم، ولكن لاحقًا، ازداد الأمر سوءًا. كانت هُناك أوقات لم أكن قادرة على التنفس. كنت أشعر وكأنّ الكون بكليته يكاد يطبق علي ويسحقني. امتنعت المُمرضة عن إعطائي أي أدوية مجددًا، حتَّى عندما كنت أطلب منها. لهذا السبب بدأت في سرقة الحبوب. كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يجعلني أشعر بحال أفضل».

حملق إليها بيلامي، ثم سألها ببطء تحت وطأة ما أدركه للتو: « أهذا ما كنتِ تسرقينه عندما أُلقي القبض عليكِ؟ لم يكن طعامًا للأطفال الصغار في مركز الرعاية، بل حبوبًا».

لم تنبس أوكتافيا ببنت شفة، فقط أومأت والدموع تملأ عينيها.

تنهد بيلامي وقال: «لماذا لم تخبريني يا أو؟».

تنفست بعمق وقالت: «إنني أعلم كم تقلق بشأني، وأعلم أنك ترغب في أن تحميني طوال الوقت... لم أردك أن تشعر بأنك قد فشلت في ذلك».

أحس بيلامي بألم أخذ ينبعث من مكان ما في صميم قلبه. لم يكن يعرف أي شيء آلمه أكثر: أن أخته كانت مدمنة على الحبوب؟ أم أنَّها لم تُخبره بسبب حرصه الجنوني على حمايتها الذي أعماه؟ عندما تكلم أخيرًا، أتى صوته مبحوحًا، سألها: «إذن ما الذي سنفعله الآن؟ ما الذي سيحدث عندما نسلم الأدوية؟».

لأول مرة في حياته لم تكن لديه أي فكرة عن كيف سيُساعد أخته. اقتربت منه وأمسكت بيده، ونظرت إليه نظرة غريبة أقرب إلى التوسّل، وقالت: «سوف أكون بخير. أحتاج فقط إلى أن أتعلم كيف أعيش من دونها. الأمر أكثر سهولة هنا بالفعل. هل أنت نادم على المجيء إلى هنا من أجلي؟».

هز بيلامي رأسه وقال بحزم: «كلّا، إنني فقط أحتاج إلى بعض الوقت لكي أستوعب كل شيء».

نهض واقفًا، ثم نظر إلى أخته من جديد وأضاف: «ولكن ينبغي لك أن تحرصي على أن تستعيد كلارك الأدوية. عليكِ أن تخبريها بنفسك، إنني جادٌّ فيما أقول يا أو».

أومأت أوكتافيا، ثم نظرت إلى تاليا مرة أخرى، وبدت وكأنها تقلصت بعض الشيء، وقالت: «أعلم، سأفعل ذلك الليلة».

- حسنًا.

زفر بيلامي وسار في خطوات سريعة خارج الخيمة إلى ساحة المخيم. عندما وصل إلى خط الأشجار، أخذ نفسًا عميقًا تاركًا الهواء الرطب يتسرَّب إلى رئتيه بداخل صدره المُتألم. أمال رأسه إلى الخلف لكي تلامس الرياح وجهه المحتقن. بدت السماء دون أشجار تحجبها أكثر احتقانًا؛ كانت سوداء تقريبًا. وعلى نحو مُباغت، ومض خط متعرج من الضوء عبر السماء، تبعه صوت انشقاق عنيف ومدو جعل الأرض تهتز من تحته، انتفض بيلامي، ثم ملأت الدوي أرجاء ساحة المُخيم، ولكنها ما لبثت أن تلاشت بسرعة بفعل تفجر دوي آخر يصم الآذان. كانت هذه المرة أعلى من سابقتها، بدت وكأن السماء توشك أن تنهار على الأرض.

ثم بدأ شيء ما بالتساقط بالفعل؛ قطرات من سائل ما أخذت تتدفق على جلده، تبلل شعره، وتتسرب بسرعة إلى ملابسه. أمطار، أدرك بيلامي ذلك، أمطار حقيقية. ولى وجهه شطر السماء، وشعر لحظة بأن دهشته قد غطت على كل شيء آخر: حنقه على جراهام وويلز وكلارك، وقلقه بشأن أخته، وصرخات الأطفال الحمقى الذين لم يعلموا أن الأمطار ليست مؤذية. أغمض عينيه، وسمح للماء بأن يغسل طبقات التراب والعرق التي تراكمت على وجهه. ترك نفسه ثواني يتخيل أن المطر بإمكانه أن يمحو كل شيء في طريقه: الدماء، والدموع، وحقيقة أنه وأوكتافيا قد خذل كل منهما الآخر. ليتمكنا من أن يحظيا ببداية نظيفة، وصفحة جديدة.

فتح بيلامي عينيه. أدرك أن هذا محض سخف، ما المطر إلا ماء، وليس هُنالك شيء يدحُعى بداية نظيفة. تلك هي حقيقة الأسرار، على المرء أن يحملها معه إلى الأبد، مهما كلف الأمر.



الفصل الرابع والعشرون

جلاس

بينما تسير جلاس عبر الجسر السماوي، أحسّت أن إدراكها الفظيع لحقيقة أن أمها كانت محقة يجثم كالثقل على قلبها. لم يكن بإمكانها أن تُخاطر بأي زلّة في خطواتها، ليس لأجلها، ولكن لأجل لوك. ماذا لو أفاق المستشار من غيبوبته وقرر إعادة النظر في قرار العفو عنها، ثم أقدم لوك على فعل غبي واعترف بالحقيقة بشأن الحمل؟ بدا الأمر وكأن التاريخ يكرر نفسه. رغم ذلك، كانت تعرف أنها ستختار الاختيار عينه دائما. ستختار دائمًا أن تحمي الفتى الذي تُحب.

تجنَّبت لوك عدة أيام، رغم أنه قد تم استدعاؤه في العديد من المناوبات الطارئة في الآونة الأخيرة، لدرجة أنها لم تكن واثقة من أنه لاحظ ذلك حتى. تمكنت أخيرا من ترتيب لقاء في شقته هذا المساء، وآلمها صدرها لمجرد التفكير في أنه سيقابلها بابتسامة على وجهه. على الأقل هذه المرة لا يكون هناك خداع أو كذب. ستخبره بالحقيقة ببساطة، مهما كانت صعوبة الأمر. ربما سيختار أن يكون مع كاميل مجددًا، ومن ثم توضع كل الأمور في نصابها حقًّا، أصابتها أفكارها بغصة كمن طعن بخنجر، ولكنها تجاهلتها ومضت في طريقها.

عند اقترابها من نهاية الجسر السماوي، وقعت عيناها على جمع صغير بالقرب من نقطة التفتيش. وقف بضعة حراس يتحدَّثون في دائرة مُحكمة، بينما يتهامس بعض المواطنين فيما بينهم وهم يشيرون بأصابعهم نحو شيء ما عبر النافذة الطويلة المرصعة بالنجوم التي تحد الممشى من كلا الاتجاهين. تعرفت جلاس فجأة على بعض الحراس؛ كانوا من فريق لوك، صفوة الحراس من أعضاء الهيئة الهندسية. كانت المرأة ذات الشعر الذي خطه الشيب التي أخذت تحرك إصبعها بسرعة خاطفة في الهواء بينما تتحكم في المخطط المجسم أمام وجهها هي بيكا. بجانبها كان علي، فتى ذو بشرة سمراء وعينين باللون الأخضر العشبي مثبتتين باهتمام بالغ على الصورة التي عرضتها بيكا.

دهش علي عندما رفع عينيه إلى الأمام ولمحها تقترب منهم، وقال بحرارة: «جلاس!».

ركض نحوها بضع خطوات، واحتضن يديها بين يديه.

- من الرائع أن أراكِ. كيف حالك؟

تلعثمت جلاس في ارتباك: «أنا... بخير».

إلى أي حد يعلمون؟ ترى هل كانوا يحيونها بصفتها حبيبة لوك السابقة؟ الفتاة الفينيكسيّة المتعالية التي حطمت قلبه؟ أم كحبيبة لوك السجينة الهاربة؟ في كلتا الحالين كان علي لطيفًا معها أكثر مما كانت تستحق.

بينما رمت بيكا جلاس بابتسامة سريعة ثم التفتت إلى مخططاتها من جديد، تجهم وجهها بينما تدير مجسّمًا ثلاثي الأبعاد لمخطط بدا معقدًا. أجالت جلاس بصرها يمنة ويسرة ثم سألت: «أين لوك».

لو أنهم كانوا لا يزالون في مناوبتهم، فلن يكون في البيت كذلك. أشار علي إلى ما وراء النافذة مبتسمًا، وقال: «انظري إلى الخارج».



استدارت جلاس ببطء وقد تحولت كل ذرة في جسدها إلى قطعة من الجليد، فقد عرفت بالفعل ما أوشكت على رؤيته، من خارج النافذة، كان هُناك شخصان يطفوان في الفضاء بداخل بدلات فضائية، كلاهما مربوط بواسطة حبل رفيع. كانا مزوَّدين بحقيبة أدوات معلقة على ظهريهما، بينما يستخدمان أيديهما المغطاة بالقفازات ليتحركا بمحاذاة الجسر السماوي.

تحركت جلاس ببطء نحو النافذة كما لو كانت في غيبوبة، وألصقت وجهها بها. أخذت تشاهد الرجلين بعينين يملؤهما الرعب وهما يومئان لبعضهما، ومن ثم اختفيا أسفل الجسر السماوي. كانت وحدة لوك مسؤولة عن التصليحات الخطيرة، ولكنه كان عضوًا مبتدئًا في الفريق فقط عندما كانا معًا في العام الماضي، لقد علمت أنه حصل على ترقية، ولكن لم تملك أي فكرة عن أنه سيكلف بمهام فضائية بتلك السرعة قط.

عندما فكرت في أنه الآن بالخارج -لا شيء يفصل بينه وبين فراغ الفضاء البارد سوى حبل رفيع سخيف وبدلة مضغوطة- أصابتها الفكرة بالدوار. تمسّكت جلاس بالمقبض لكي تُحافظ على اتزانها، ترسل دعاء صامتًا إلى النجوم كي تبقيه بأمان.

لم تُغادر شقتها طوال أسبوعين. حتى أكثر ملابسها اتساعًا لم تكن لتخفي النتوء الذي ظهر بسرعة مُفزعة. لم تكن جلاس واثقة إلى متى ستتمكن أمها من اختلاق الأعذار لها. لقد توقفت عن الرد على رسائل أصدقائها، ولقد توقفوا في نهاية الأمر عن إرسالها. الجميع عدا ويلز، الذي ظل على تواصل يومي معها دون توقف.

فتحت جلاس سجل رسائلها لكي تعيد قراءة الملاحظة التي أرسلها إليها ذاك الصباح:

«إنني أُدرك أن بكِ خطبًا ما بكل تأكيد، وآمل أنكِ تعلمين أنني بجانبكِ دومًا في أي أمر تحتاجين إليه. ولكن، حتى لو لن تجيبي (أو لا تستطيعين أن تجيبي) على رسائلي، فإنني سأعكف على ملء سجل رسائلك بثرثرتي الغبية، لأنكِ مهما حصل، ستظلين أقرب صديقة إليَّ، ولن أتوقف أبدًا عن أن أتمنى لو كنتُ هنا».

تتابعت بقية الرسالة في الحديث عن الصعاب التي يواجهها ويلز في التدريب العسكري، إلى أن انتهت ببعض التلميحات الغامضة عن شيء ما بشأن كلارك. تمنت جلاس ألا يكون هناك خطب ما بينهما. وجب على كلارك أن تدرك كم هي محظوظة، فهي لن تجد فتىً ذكيًّا ورقيقًا مثل ويلز على متن فينيكس. رغم حقيقة أن لقب أذكى وأرق فتى في المستوطنة قد ذهب إلى لوك. لوك، الذي لم يعد موجودًا في حياتها.

الشيء الوحيد الذي جعل جلاس تتماسك هو الروح التي أخذت تنمو في داخل أحشائها. وضعت جلاس يدها على بطنها، وراحت تهمس إلى الطفل وتخبره مجددًا -إذ كانت واثقة بطريقة ما من أنه كان فتى- كم كانت تحبّه.

أتت طرقة مباغتة على الباب، فأسرعت جلاس لكي تنهض على قدميها وتحاول أن تهرع إلى غرفتها وتغلق الباب من خلفها. ولكن كان الحراس الثلاثة قد اقتحموا الشقة بالفعل.

سألها أحد الحراس بحدة بينما يوجه عينيه إلى بطنها، وقد بات نتوء الحمل جلي الوضوح: «جلاس سورنسون؟ أنت رهن الاعتقال بتهمة انتهاك عقيدة الجايا».

- أرجوكم أن تسمحوا لي أن أوضح الأمر فقط.

انقطعت أنفاسها تحت وطأة ما اجتاحها من ذعر. بدا الأمر وكأنها تغرق، أخذت الغرفة تدور بها، وكان من العسير أن تعرف أي الكلمات كانت تخرج من فمها وأيها كانت تندفع عبر جمجمتها بجنون محموم.



في حركة خاطفة، جذب أحد الحراس ذراعيها وقيد معصميها خلف ظهرها، بينما وضع آخر الأصفاد حولهما.

انتحبت جلاس قائلة: «لا، أرجوكم، لقد كان حادثًا».

تشبثت قدماها بالأرض، ولكن دون فائدة، إذ أخذ الحراس يجرونها جرًّا عبر الغرفة.

ثم اعترتها غريزة وحشية ومحمومة، واندفعت في اهتياج ناحية الحارس الذي يحتجزها، وأخذت تركله بعنف في ساقيه، وتدفع كوعها في حلقه، شد قبضته على كتفها، واستمر في جرها إلى الخارج عبر الردهة واقتادها على السلالم.

نشجت بيأس إذ أدركت أنها لن ترى لوك مجددًا أبدًا، سحقتها تلك الحقيقة بقوة مطرقة هوت فوق رأسها. ارتخت ساقاها فجأة، فترنح الحارس الذي يمسك بها إلى الخلف بينما يحاول أن يبقيها على قدميها بعد أن انزلقت.

يمكنني فعلها. فكرت جلاس في نفسها أن بإمكانها انتهاز لحظة انعدام توازنه لتلوذ بالفرار. أحست جلاس بحماسة الأمل تحل محل الذعر بداخلها. هذه هي فرصتها، وسوف تهرب.

ولكن الحارس جذبها من دبر، فاختل توازنها وسقطت. ارتطمت كتفها ببسطة الدرج، ثم على نحو مفاجئ، تتابع سقوطها عن السلالم الحادة والضيقة والمظلمة، فغشى الظلام كل شيء.

عندما فتحت جلاس عينيها مجددًا، أحست بألم في كل جسدها: ركبتيها، وكتفيها، وبطنها...

بطنها! حاولت جلاس أن تُحرك يديها لتتحسَّس بطنها، ولكنهما كانتا مربوطتين، لا، بل مقيّدتين بالأصفاد. تزايد الرعب في صدرها لدى إدراكها ذلك. بالطبع، فقد أصبحت مجرمة.

حياها صوتٌ حانٍ قائلًا: «لقد استيقظتِ يا عزيزتي».

تمكنت فقط من خلال رؤيتها المشوشة أن تميز هيئة المرأة التي اقتربت من سريرها؛ لقد كانت ممرضة.

قالت جلاس بصوت مبحوح: «أرجوكِ، هل هو بخير؟ هل يمكنني أن أحتضنه؟»

ترددت المرأة، فعرفت جلاس ما الذي ستقوله من قبل حتى أن تتكلم. استطاعت أن تشعر به بالفعل؛ ذاك الفراغ الفظيع والمؤلم بداخلها.

قالت الممرضة بهدوء: «أنا آسفة. لم ننجح في إنقاذه».

بالكاد استطاعت جلاس أن ترى فمها، ممَّا جعلها تشعر أن الصوت كان آتيًا من مكان مختلف كليًّا.

تحركت جلاس في اضطراب، تاركةً معدن القيود البارد يضغط بقوة على يديها غير عابئة بالألم الذي نتج عن هذا. كان أي شعور سيكون أفضل من هذا، هذا الحزن الذي ملأ قلبها، والذي لن يذهب عنه أبدًا.

وأخيرًا، ظهر الرجلان مجددًا من تحت الجسر السماوي. زفرت جلاس زفرة عالية بينما ترفع يدها إلى النافذة. ترى منذ متى كانت تحبس أنفاسها؟

أتي صوت أحدهم يسألها: «هل أنتِ بخير؟».



ولحظة ظنت جلاس وقد تملكها الرعب أنها عادت إلى تلك الغرفة في المستشفى مع المُمرضة. ولكنها فقط كانت الحارسة صديقة لوك، بيكا، تنظر إليها بقلق.

أدركت جلاس أن وجهها كان مبللًا. لقد كانت تبكي. لم تتمكَّن حتى من أن تجبر نفسها على الشعور بالحرج، إذ غمرها شعور بالارتياح لأن لوك قد عاد سالمًا.

قالت جلاس، وهي تأخذ المنديل الذي قدمته لها بيكا وتمسح به دموعها: «شكرًا».

بالخارج، كان لوك منهمكًا في سحب نفسه بالحبل عائدًا إلى السفينة،

يبدل بيده المغطاة بالقفاز الأخرى في أثناء طريق عودته إلى غرفة ضغط الهواء.

بدأ العديد من المشاهدين الذين حولها يصفقون ويضربون كف كل منهم بكف الآخر، ولكن بقيت جلاس قرب النافذة. بدت الأفكار التي حملتها معها إلى الجسر السماوي بعيدة كحلم ولى منذ زمن. لم يعد بإمكانها أن تنهي علاقتهما مثلما لم يكن بإمكانها أن تقطع الحبل الذي يربطه إلى السفينة. من دون لوك ستُصبح الحياة فارغة وباردة مثلها مثل الفضاء.

- مرحبًا، أنت!

أتى صوته من خلفها، فالتفتت جلاس بسرعة وارتمت بين ذراعيه، كان قميصه الحراري مشبعًا بالعرق، وشعره المجعد رطبا ومتسخًا، ولكن جلاس لم تهتم.

أتى صوتها مكتومًا في قميصه وهي تقول: «كنت قلقة عليك».

ضحك وضمها بذراعيه بقوة أكبر بينما يطبع قُبلة فوق رأسها، وقال: «يا لها من مفاجأة جميلة».

رفعت جلاس عينيها إليه. لم تكترث لعينيها المنتفختين، ولا لأنفها الذي يسيل. تبادل لوك نظرة اندهاش مع علي قبل أن يلتفت إلى جلاس، وقال: «لا عليك، ذلك كله جزء من وظيفتنا».

كان قلبها لا يزال ينبض بسرعة هائلة، لدرجة أنها لم تقو على أن تتكلم، واكتفت بأن أومأت ورمت بيكا وعلي والبقية بابتسامة خجولة، أمسك لوك بيدها وقادها حتى الجسر السماوي، وقال: «هيا بنا».

عندما عبرا الجسر إلى والدن، كان تنفس جلاس قد استقر أخيرًا. قالت بهدوء: «لا يمكنني أن أصدق أنك تفعل ذلك. ألست مرتعبًا؟».

- إنه أمر مُخيف، ولكنه يبعث على النشوة أيضًا. إن الخارج... هائل جدًّا. أعلم أن ذلك يبدو شيئًا غبيًّا نوعًا ما.

توقف عن الكلام، ولكن جلاس هزت رأسها نافية. كان كلاهما يعرف الأماكن المغلقة، وكيف يشعر المرء بأنه محاصر فيها، حتى لو كان مكانًا رحبًا كالسفينة.

قالت: «إنني مسرورة أن كل شيء سار على ما يُرام».

- أجل، هذا صحيح. حسنًا، إلى حد ما.

أرخى لوك أصابعه المحتضنة أصابعها، واصطبغ صوته بشيء من التوتر، وأكمل: «كان هناك أمر غريب يحدث في غرفة ضغط الهواء، لا بد أن صمامًا ما قد خل؛ إذ كان هناك تسريب للأكسجين إلى خارج السفينة».

- ولكنكم أصلحتموه أيها الرفاق، أليس كذلك؟

- بالطبع، ذلك ما تدربنا لكي نفعله.

شد لوك على يديها. توقفت جلاس فجأة، والتفتت إلى لوك وشبت على أطراف أصابعها لكي تقبله، في منتصف الرواق المزدحم تمامًا. لم تعد تكترث بعد الآن بمن يراهما.

لا يهم ما حدث، فكرت في نفسها وهي تقبله بنهم مستميت، لم تكن لتدع أي أحد يفرقهما عن بعضهما مرة أخرى.

الفصل الخامس والعشرون

بيلامي

أخذ بيلامي يحدق إلى النيران التي ترفرف في الهواء، وغمغمة المحادثات التي تدور من حوله تختلط بطقطقة الخشب المحترق. مضت بضع ساعات منذ مواجهته أوكتافيا، ومنذ ذلك الحين إلى الآن لم تظهر قط. كان يأمل أن تعيد الأدوية على الفور. لم يستطع أن يجبرها على تسليمها، كان يدرك ذلك، وإلا فعلاقتهما لن يكتب لها أن تتعافى أبدًا. توجب عليه أن يظهر لها أنه يثق بها، وتوجب عليها أن تفعل الشيء الصحيح لكي تستحق تلك الثقة بدورها.

توقف المطر، ولكن الأرض كانت لا تزال مبتلة. نشبت بعض المُشاجرات من أجل حفنة من الصخور التي أصبحت مجالس فاخرة حول نيران المخيم، ولكن بشكل عام، بدا أن الجميع لا يُمانعون في أن يمنحوا العشب المُشبع بالماء فرصة أخرى في سبيل أن يجلسوا بالقرب من دفء النيران. بينما وجد بعض الفتيات حلًّا ثالثًا، واتخذن من أحضان بعض الفتيان المتسكعين مجلسًا لهن.

بحث بعينيه عن كلارك حول حلقة النار. كان هناك الكثير من الدخان على غير المعتاد، على الأرجح لأن كل الخشب المستخدم في إشعال النار كان مُبللًا، وتطلب الأمر بضع ثوانٍ حتى استقرت عيناه على لمعة شعرها النحاسي المحببة. دقق النظر وأدرك -مما أثار دهشته- أنها كانت تجلس بجانب ويلز،

لم يتلامسا ولا يتحدث كل منهما إلى الآخر حتى، ولكن شيئا قد اختلف بينهما. لقد اختفى الانزعاج الذي كان يجتاح جسد كلارك كلما لمحت ويلز بالقرب منها، وبدلًا من أن يحدج كلارك بنظرات جريحة خلسة عندما تدير رأسها، كان ويلز يحدق في سكون إلى النار، ونظرة مسرورة تعلو وجهه.

أحس بيلامي بشظية من الغيظ تشق معدته شقًّا. كان ينبغي أن يعرف أنها ليست إلا مسألة وقت قبل أن تعود كلارك إلى ويلز. لم يكن ينبغي أن يقبلها في الغابة. مرة واحدة فقط في حياته اهتم بأمر فتاة أخرى من قبل، وقد جُرِح قلبه في تلك المرة أيضًا.

تكاثفت الغيوم حتى حجبت معظم النجوم، ولكن بيلامي أمال رأسه إلى الخلف رغم ذلك. راح يتساءل إلى متى سيكون أمامهم وقت قبل أن تصل سفينة إنزال أخرى. هل سيكون بإمكانهم رؤيتها تشق السماء باتجاههم مثل شعلة تحذيرية في السماء؟

ثم وقعت عيناه على شخص ما يتحرك في الظلام باتجاه النار؛ ظل فتاة صغيرة مربوط شعرها إلى الأعلى. نهض بيلامي عندما خطت أوكتافيا إلى حدود المنطقة التي تضيؤها النيران المتراقصة، مما بعث موجة من الهمسات حول حلقة النار.

سمع بيلامي جراهام وهو يصيح قائلًا: «اللعنة، بحق الله! من الذي يفترض به مراقبتها الليلة بحق الجحيم؟».

رمى ويلز بنظرة إلى كلارك، ثمَّ نهض واقفًا ليواجه جراهام، وقال: «حان الوقت، يُمكنها أن تنضم إلينا».

توقفت أوكتافيا وأخذت تبدل نظرها بين ويلز وجراهام، بينما أخذ الاثنان يرمقان كلاهما الآخر. ولكن قبل أن يملك أحدهما الوقت لكي يتكلم، سحبت

نفسًا إلى رئتيها وتقدمت إلى الأمام. كانت ترتجف، ولكن صوتها أتى ثابتا، قالت: «لدي شيء لأقوله».

انقطعت همسات المتحمّسين وهمهمات المُتسائلين عندما التفت ما يقرب من مئة رأس لينظروا إلى أوكتافيا. استطاع بيلامي أن يرى الذعر يتسلل إلى ملامح وجهها تحت ضوء النيران المُرتعشة، فانتابه شعور مُلحّ بأن يهرع نحوها ويمسك بيدها، ولكنه أجبر قدميه على أن تظلا مثبَّتَتَين في الأرض. لقد أنفق زمنا طويلًا وهو يُحاول أن يهتم بتلك الفتاة الصغيرة التي يتخيلها في عقله، لدرجة أنه لم يتمكن من أن يعرف الشخص الذي أصبحت عليه. وما حدث في تلك اللحظة، كان شيئا وجب أن تقوم به بنفسها.

تكلمت أوكتافيا: «لقد سرقت الأدوية».

توقفت ثواني لتتأكد أن الجميع قد سمع كلماتها، ثم سحبت نفسًا عميقًا وتابعت، بينما أخذت تمتمات مثل: كنت أعلم ذلك، ولقد قلت لك تتزايد وتَعلو كالرعد. قصت أوكتافيا على الجمع نسخة مُماثلة للقصّة التي قصتها على بيلامي سابقًا ذاك اليوم، عن مدى صعوبة أن تكبر في مركز الرعاية، وكيف أن اعتمادها على الحبوب قد تحول إلى إدمان.

انقطع الهمس واللمز عندما اخترقه صوت أوكتافيا وهي تقول: «في السابق، عندما كنت في المستوطنة، لم أظن قط أنني كنت أؤذي أحدًا. لم تبدُ لي السرقة إلا سبيلاً للحصول على ما هو حق لي. كنت أفترض أن الجميع يستحق أن يكون قادرًا على النوم ليلًا، وأن يستيقظ الواحد منا دون أن يشعر أن كوابيسه قد تركت ندوبًا بداخل رأسه».

سحبت نفسًا عميقًا وأغمضت عينيها. تمكن بيلامي عندما فتحتهما من أن يرى لمعة الدموع في عينيها. ثم تابعت: «كنت أنانية جدا، وخائفة جدًّا، ولكنني لم أقصد قط أن أؤذي تاليا أو أي أحد».



التفتت أوكتافيا نحو كلارك وابتلعت نشيجًا بدا أنه كان يتجمع بداخل حلقها، وقالت: «أنا آسفة جدًّا. أعلم أنني لا أستحق مسامحتك، ولكن كل ما أستطيع أن أسألك إياه هو أن تعطيني فرصة لكي أبدأ من جديد».

رفعت ذقنها عاليًا وأجالت بصرها حول الدائرة حتى لمحت بيلامي، فابتسمت له ابتسامة صغيرة وعادت تقول: «فقط مثلما يُريد كل واحد هنا أن يفعل. إنني أعلم أن الكثير منا قد ارتكب أفعالًا لا يفتخر بها، ولكننا منحنا فرصة لبداية جديدة. أعلم أنني كدت أفسدها على الكثير منكم، ولكنني أود أن أبدأ من جديد، وأن أصبح شخصًا أفضل، وأن أساعد على أن نصنع من كوكب أرض العالم الذي نرغب في أن نعيش فيه».

انتفخ قلب بيلامي من الفخر، وترقرق الدمع في عينيه مشوّشًا رؤيته، ولكن لو أن أحدًا ناداه في تلك اللحظة، كان سيعزو دموعه إلى الدخان. لقد كانت حياة شقيقته ملآنة بالمعاناة والصعوبات منذ بدايتها. لقد ارتكبت أخطاء -كلاهما قد فعل- ولكنها لا تزال قادرة على أن تظل شجاعة وقوية.

مرت ثوان دون أن ينبس أحد ببنت شفة. حتى طقطقة النيران قد خفتت، وكأن الأرض نفسها كانت تكتم أنفاسها. ولكن أتى صوت جراهام ليخترق الصمت اختراقًا، وقال: «هذا هراء».

انتصب بيلامي في وقفته إذ أخذت شرارة غضب تعتمل بداخل صدره، ولكنه صرّ على أسنانه. لا شك في أن جراهام سيصبح نذلًا كعادته. لم يعنِ ذلك أن الآخرين لم يتعاطفوا مع حديث أوكتافيا. ولكن بدلًا من أن تحض على التهكم أو إثارة الهمسات المُعارضة، أطْلقت كلمات جراهام همهمات مؤيدة طفقت تتعالى إلى صيحات. أجال بصره حول الدائرة بينما يتابع قائلًا: «لماذا توجب علينا أن نرهق أنفسنا اليوم بطوله في تقطيع الأخشاب ونقل المياه وفعل كل ما يتطلبه الأمر لكي يبقى كل منا على قيد الحياة؟ فقط لكي نسمح لمدمنة حبوب واهمة بأن تخدعنا بهذه البساطة؟ الأمر أشبه بأن...»

قاطعه بيلامي قائلًا: «حسنًا، هذا يكفي».

ثم ألقى نظرة على أوكتافيا وقد أخذت شفتها السفلية ترتجف بينما تدور عيناها حول حلقة النار.

تابع بيلامي: «لقد أدليت برأيك، ولكن يوجد أربعة وتسعون شخصًا هاهُنا لديهم آراؤهم الخاصة، وهم ليسوا في حاجة إليك لكي تُملي عليهم كيف يفكرون».

أتى صوت فتاة تصيح قائلة: «أنا أتفق مع جراهام».

التفت بيلامي فرأى فتاة والدنية ذات شعر قصير ترمق أوكتافيا. ضيقت الفتاة عينيها وتابعت: «لقد عاش كلٌّ منّا حياة بائسة في المستوطنة، ولكنكم لم تروا شخصًا آخر يسرق. من يدري ما الذي سوف تسرقه في المرة المقبلة؟».

نهضت كلارك واقفة، وراحت تقول: «فليهدأ الجميع فقط. لقد اعتذرت، علينا أن نعطيها فرصة ثانية».

أخذ بيلامي يحدق إليها في دهشة. كان ينتظر أن يندفع السخط بداخله؛ فرغم كل شيء، قد كانت هي الشخص الذي اتهم أوكتافيا في بادئ الأمر. ولكنه بينما كان ينظر إلى كلارك، لم يشعر بشيء سوى الامتنان.

- كلا.

كان صوت جراهام حادًّا. وبينما يجيل بصره حول الدائرة، ومضت عيناه بشيء ما غير انعكاس ضوء النار. التفت إلى ويلز -الذي لم يزل واقفًا بجانب كلارك- وقال: «إن الأمر كما قلت أنت؛ لا بد أن يكون هناك نظام نوعًا ما، وإلا فلن نملك أي فرصة في النجاة هنا بحق الجحيم».

سأله ويلز: «ما الذي توصي به إذن؟».

ابتسم جراهام، فأحس بيلامي وكأن أحدهم قد صب فوق رأسه شلالًا من الماء المثلج. أخذ يحدج جراهام بنظراته، بينما يسرع نحو أوكتافيا ويُحيطها بذراعه. همس: قائلًا: «سيكون كل شيء على ما يُرام».

التفت جراهام نحو بيلامي وأوكتافيا بينما راح يقول: «أنا آسف، ولكننا لا نملك خيارًا. لقد وضعت حياة تاليا في خطر. لا يمكننا أن نُخاطر على الإطلاق، لا بد أن تموت أوكتافيا».

انفعل بيلامي قائلًا: «ماذا؟ هل جُننتَ يا هذا؟».

راح يقلب رأسه يمنة ويسرة، متوقعًا أن يرى بحرًا من الوجوه المستنفرة مثله. ولكن في أثناء ما أخذ بضعة أشخاص يحدِّقون إلى جراهام بوجوه تعلوها أمارات الصدمة، كان هناك عدد منهم يومئ بالموافقة.

خطا بيلامي ووقف أمام أوكتافيا متصدِّيًا لهم، بينما أخذت الأخيرة ترتعد بعنف. لسوف يحرق هذا الكوكب الملعون عن آخره قبل أن يسمح لأي أحد أن يقترب من أخته.

رفع جراهام ذقنه وأومأ إلى ويلز قائلًا: «هل علينا أن نطرح الفكرة للتصويت؟ إنك أنت من كان يتحرق من الحماس لكي يجلب الديمقراطية إلى الأرض. هذا في غاية العدل».

احتجَّ ويلز وقد غادر وجهه تحفظ الرجل السياسي، واكفهرَّت ملامح وجهه بالغضب قائلًا: «ليس هذا ما عنيته. نحن لن نجري تصويتًا من أجل معرفة إذا كنا سنقتل أحدهم أم لا».

رفع جراهام حاجبًا وقال: «حقًّا؟ إذن لا مانع في أن يفعل أبوك ذلك، ولكن نحن كلا؟».

جفل بيلامي وأغمض عينيه إذ سمع موجة من الأصوات المؤيدة تتردد بين الحشد. لقد كان ذلك بالضبط ما سوف يقوله هو في ذلك الموقف، عدا أن بيلامي لم يكن ليعني بذلك سوى إثارة غيظ ويلز. لم يكن قط ليؤيد فعليا قتل شخص ما.

قال ويلز بصوت يرتجف من الانفعال: «إن المجلس لا يقرر إعدام الناس على سبيل التسلية. لقد تطلب الأمر إجراءات استثنائية من أجل الحفاظ على بقاء الجنس البشري في الفضاء؛ إجراءات قاسية ومؤلمة أحيانًا». توقف ويلز ثواني. «ولكن نحن لدينا فرصة لكي نفعل ما هو أفضل».

تذمر جراهام قائلًا: «ماذا إذن؟ هل سنضربها فقط على يدها ثم نجعل كل واحد يرفع خنصره ويقسم ألا يخرق القواعد؟».

تعالت بعض الضحكات المكتومة من بين الحشد، فهز ويلز رأسه نافيًا وقال: «كلّا، إنك محق، لا بد أن يكون هناك عواقب لذلك».

وتنفس نفسًا عميقًا، ثم قال: «سوف ننفيهما بعيدًا عن المخيم».

كان صوته صارمًا. ولكنه عندما التفت إلى بيلامي، بدت عيناه وكأنهما تحملان مزيجًا غريبًا من الألم والارتياح.

اعترض جراهام قائلًا: «ننفيهما؟ حتى يتمكنا من أن يتسللا إلى هنا خلسة وقتما يحلو لهما ويسرقا المزيد من المؤن؟ هذا هراء».

فتح بيلامي فمه شروعًا في الكلام، ولكن ابتلعت صوته غمغمة الأصوات المختلطة التي علت فجأة. وهكذا، إلى أن نهضت فتاة واقفة. تعرف عليها



بيلامي بصعوبة من والدن، وصاحت بصوت مرتفع لكي يتمكن الحشد من سماعها. وقد عم الصمت إذ التفتت الرؤوس لكي تنظر إليها عندما قالت: «هذا عادلًا، ما داما يَعِدان بألا يعودا إلى هنا أبدًا».

شد بيلامي ذراعه حول أوكتافيا التي كادت تسقط، ثم أومأ قائلًا: «سنُغادر عند شروق الشمس».

التفت ليبتسم إلى أوكتافيا؛ إن هذا ما كانا يخططان له منذ البداية. لماذا إذن شعر بالخوف أكثر من شعوره بالارتياح؟

***

خمدت النار، وخيمت الظلماء فوق المخيم مثل الغطاء الوثير. أخذت خطوات الأقدام تقل والأصوات تخفت شيئا فشيئا في أثناء ما اختفى الجميع في داخل الخيام، أو من حملوا أغطيتهم واتجهوا إلى حدود ساحة المخيم.

لقد كانت رحلة بيلامي مع كلارك في الغابة من أجل العثور على الأدوية ملآنة بالتوتر. لم يتكلم أحد منهما، ولكن كان بإمكان بيلامي أن يشعر بعيني كلارك تكادان تخترقانه من ظهره بينما يقطع طريقه.

الآن جلس إلى جوار أوكتافيا مسندًا ظهره إلى الشجرة، ويحدق إلى الظلام. كان من العسير على عقله أن يتقبل حقيقة أنهما في الغد سوف يغادران إلى الأبد.

رأى شبح شخص ما يتحرك في اتجاههما؛ ويلز. كان يحمل رمح بيلامي مُعلقًا على كتفه.

- لقد ظننت حقًّا أن جراهام كان سيصر على تحريضهم على أن...

قطع ويلز حديثه عندما وقعت عيناه على أوكتافيا، ثم عاد يقول: «ليس كنت سأسمح لذلك بأن يحدث. ولكن لا يوجد سوى كلينا أمام الكثير أنني منهم».

شعر بيلامي برد مفحم ومتعجرف يشق طريقه عبر حلقه، ولكنه ابتلعه بداخله مجددًا؛ فلقد فعل ويلز أفضل ما يمكن فعله تحت تلك الظروف.

- شكرًا لك.

حدق كلاهما إلى الآخر ثواني، ثم تنحنح بيلامي وقال: «انظر، على الأرجح يجب عليَّ أن...»

تردد ثواني ثم قال: «أنا آسف بشأن والدك».

تنفس بيلامي بعمق وأجبر نفسه على النظر إلى عيني ويلز، وأردف: «آمل أنه بخير».

قال ويلز بهدوء: «شكرا لك، وأنا أيضًا آمل ذلك».

التزم الصمت ثواني، ثم عندما تكلم مجددًا، كان صارمًا: «أعلم أنك كنت تحاول أن تحمي أختك فقط. كنت سأفعل الشيء ذاته».

ابتسم ويلز.

- أفترض أنني فعلت بالفعل.

ثم مد ويلز يده، وقال: «أتمنى لك أنت وأوكتافيا أن تظلا سالمين بالخارج».

صافح بيلامي يده بدوره وابتسم بحزن، وقال: «لا يمكنني أن أتخيل أي شيء بالخارج أسوأ من جراهام. لا تدع هذا الفتى يغيب عن ناظريك».



أومأ ويلز وقال: «سوف أفعل».

ومن ثم استدار ومضى عائدًا إلى الظلام مثلما جاء.

أنزل بيلامي نفسه إلى فرشته وأخذ يحدق إلى ساحة المخيم. كان بإمكانه فقط أن يرى طرف خيمة المستوصف، حيث كلارك تعطي تاليا الدواء الذي طال انتظاره. تقلصت معدته بغرابة عندما استرجع ما حدث عند حلقة النار، وضوئها المنعكس على وجه كلارك العازمة ملامحه. لم يسبق أن عرف فتاة فاتنة الجمال وقوية في الوقت ذاته مثلها.

تنهد بيلامي وأسند ظهره إلى الوراء ثم أغمض عينيه يتساءل إلى متى سيتطلب الأمر وقتًا حتَّى تتوقف عن كونها آخر شيء يُفكر فيه قبل أن ينام.

الفصل السادس والعشرون

كلارك

كانت المضادات الحيوية تجدي نفعًا. على الرغم من أنه لم تمض سوى ساعات قليلة منذ دخلت كلارك الخيمة وهي تقبض على علبة الأدوية تحت ذراعها، فإن حمى تاليا قد انخفضت بالفعل، وأصبحت أكثر يقظة عما كانت عليه في الأيام الماضية.

مالت كلارك بجسدها لكي تجلس على حافة سرير تاليا عندما فتحت صديقتها عينيها.

قالت كلارك مبتسمة: «مرحبًا بعودتكِ، كيف تشعرين؟».

دارت عينا تاليا في أرجاء الخيمة الفارغة، ثم نظرت إلى عيني كلارك وقالت: «هذه ليست الجنة، أليس كذلك؟».

هزت كلارك رأسها نافية، وقالت: «يا إلهي، آمل أنها ليست كذلك».

- حسنٌ، لأنني كنت أفترض دومًا أنه سيكون هناك فتيان؛ فتيان لا يتحججون بتقنين استهلاك الماء حتى لا يستحموا.

نجحت تاليا في أن تبتسم، وتابعت: «هل بني أحدهم أول كابينة استحمام على الأرض في أثناء غيابي عن الوعي؟».

- ليس بعد، لم يفُتكِ الكثير.

- إنني أجد هذا صعب التصديق بطريقة ما.

رفعت تاليا كتفيها في أثناء ما كانت تحاول الجلوس، ولكنها تراجعت إلى الخلف مجددًا وهي تئنّ، فأسندت كلارك ظهرها ببطانية مطبقة.

تمتمت تاليا: «شكرًا».

ثم ألقت نظرة متفحصة على كلارك قبل أن تتكلم مجددًا قائلة: «حسنًا، ما خطبك؟».

ابتسمت لها كلارك ابتسامة دهشة، وقالت: «لا شيء! إنني سعيدة للغاية لأنكِ تتحسنين فقط».

- بحقك، لا يمكنكِ أن تخفي أي شيء عني؛ تعلمين أنني أنجح دائمًا في كشف ما تخفين من أسرار. يمكنك أن تبدئي بإخباري أين عثرت على الأدوية.

قالت كلارك: «لقد سرقتها أوكتافيا».

ثم راحت تخبر تاليا سريعًا بما حدث، إلى أن قالت أخيرًا: «ستُغادر هي وبيلامي المخيم غدًا؛ ذلك جزء من الاتفاق الذي عقده ويلز مع الجميع. أعلم أن ذلك يبدو ضربا من الشطط، ولكن بدا أن الأمر سيتطور حقًّا إلى حد أنهم سيعتدون عليها». هزت رأسها مستنكرة. «لو أن ويلز لم يتدخل، لستُ واثقة ما الذي كان سيحدث».

أخذت تاليا تحدق إلى كلارك بتعبيرٍ فضولي على وجهها.



سألتها كلارك: «ماذا؟».

- لا شيء. فقط... هذه هي أول مرة أسمعكِ تنطقين اسمه دون أن يبدو عليكِ أنكِ ترغبين في لكم الحائط إلى أن تصنعي به ثقبًا.

اعترفت كلارك بابتسامة على شفتيها: «هذا صحيح».

كانت تظن أن مشاعرها قد تغيرت، أو على الأقل بدأت تتغير.

- إذن؟

أخذت كلارك تعبث بزجاجات الحبوب. لم تكن ترغب في أن تخبر تاليا بما حدث في الغابة، في حالة لو تسبب ذلك في أن تشعر تاليا بالذنب؛ فرغم كل شيء، لقد خرجت للبحث عن نباتات من أجلها، ولقد انتهى بها الأمر على شفا حفرة من الموت.

- هُناك شيء آخر لم أخبركِ به. لم أشعر أنه مهم من قبل، إذ كنت مريضة للغاية، ولكن...

تنفست بعمق وراحت تحكي لتاليا نبذة مختصرة عن إنقاذ ويلز إياها من أنقاض البناء القديم.

- لقد تبعك طوال الطريق؟

أومأت كلارك وقالت: «الغريب في الأمر انني في اثناء ما كنتُ معلقة في الهواء على حافة الهاوية وقد تأكدت أنني سأموت، كان هو الشخص الوحيد الذي أفكر فيه. وعندما رأيته أمامي فجأة، لم أشعر بالغضب من أنه تبعني، فقط شعرت بالسعادة لأنه كان يهتم بي بما يكفي لكي يتبعني رغم كل الأشياء القاسية التي قلتها له».

- إنه يحبكِ. ليس أي شيء تقولينه أو تفعلينه بقادر على أن يغير ذلك. أغمضت كلارك عينيها -رغم خوفها من الصور التي كانت تعرف أنها ستتراءى أمامها بين الظلال- وقالت: «أعلم ذلك... حتى عندما كنا في الحبس وقلت لك إنني أود أن أرى أعضاء جسمه تنفجر في الفضاء، كنت أظن أن جزءًا مني كان لا يزال يُحبه. وكان من شأن ذلك أن يزيد من وطأة الألم».

كانت تاليا تنظر إليها نظرة تحمل مزيجًا من الشفقة على حالها والتفهم.

- حان الوقت لكي تتوقفي عن معاقبة نفسك يا كلارك.

- تقصدين معاقبته هو.

- كلا، إنني أقصد أن الوقت قد حان لكي تتوقفي عن معاقبة نفسك لأنك تحبينه. تلك ليست خيانة لوالديك.

تصلبت ملامح كلارك وقالت: «إنك لم تعرفيهما، ليست لديكِ أي فكرة عمَّا قد يظنانه».

- ولكنني أعلم أنهما سيرغبان فيما هو أفضل لك. لقد أقدما على فعل أمور كانا يعلمان أنها خاطئة في سبيل حمايتك.

ترددت ثانية وأردفت: «مثلما فعل ويلز».

تنهدت كلارك ورفعت ساقيها لتجلس متربعة على سرير تاليا كما اعتادت أن تفعل عندما كانتا في زنزانتهما.

- ربما تكونين محِقَّة، لا أعلم لو كنت سأستطيع مُقاومة ذلك بعد الآن. إن كُرهَه يرهقني.

- يجب أن تتكلمي معه.



أومأت كلارك وقالت: «سوف أفعل».

تألقت عينا تاليا بحماس وقالت: «لا، أنا أعنى على الفور، هيا، اذهبي وتكلمي معه».

- ماذا؟ الوقت متأخر.

- إنني واثقة من أنهُ مستلقٍ بعينين متيقظتين يفكر فيكِ.

فردت كلارك ساقيها، ثم نهضت واقفة وقالت: «حسنًا، لو كان ذلك ما يتطلبه الأمر لكي تستريحي وتهدئي».

سارت عبر الخيمة تُجيلُ بصرها بمرح باتجاه صديقتها بينما تزيل ستار الخيمة جانبًا. خطت إلى ساحة المخيم ثم توقفت متردّدة تتساءل إذا كانت ترتكب خطأ.

ولكن كان الأوان قد فات لكي تدير ظهرها وتعود. أخذ قلبها ينبض بسرعة جنونيّة، بدا وكأنه يندفع تحت وطأة إرادة حرّة، وكأنه عن طريق دقاته المحمومة يُرسل رسالة إلى ويلز عبر الظلام: أنا قادمة.

الفصل السابع والعشرون

ويلز

يحب أخذ ويلز يحدق إلى السماء. لم يتمكن من أن ينعم ببعض الهدوء بداخل الخيام التي تعجّ بالبشر. كانت فكرة بقائه محشورًا وسط أشخاص كانوا مستعدين لتمزيق أوكتافيا إربًا لا تحتمل. ورغم برودة الليل، أعجبه أن ينام وهو ينظر إلى النجوم نفسها التي اعتاد أن يراها على سريره في المنزل. كان يحب تلك الأوقات التي يختفي فيها القمر خلف إحدى الغيوم ويشتدّ دجى الليل حتى لا يعود بإمكانه رؤية معالم الأشجار، إذ تبدو السماء وكأنها تمتدّ حتى تُلامس الأرض من أبعد نقطة على امتداد بصره، ممَّا يخيل إليه أنهم ليسوا على الأرض، وأنهم عادوا إلى الأعلى بين النجوم. لطالما تسبب له ذلك في بعض الألم عندما يفتح عينيه في الصباح ويجدها قد ذهبت.

ولكن حتى السماء لم تكن كافية لكي تهدئ عقل ويلز الليلة. دفع نفسه إلى وضعية الجلوس، وجفل وهو يزيل غطاءه عن الصخور المبعثرة وغصون الأشجار. جذب انتباهه صوت حفيف بالقرب من إحدى الأشجار، فنهض ورفع رقبته لكي يرى بشكل أوضح.

أخذ ويلز يحدق في عجب إلى الشجرة التي لم تَزهُ بزهرة واحدة منذ هبوطهم وقد أزهرت بغزارة، وأبدت بتلاتها الوردية الزاهية للعيان بعدما تفتحت براعم لم يلحظها من قبل، كالأنامل التي تمتدّ في الظلام، كانت جميلة. شبَّ ويلز

على أصابع قدميه، ومد ذراعيه إلى الأعلى، وأحاط بأصابعه ساق إحدى الأزهار.

- ويلز؟ استدار مُسرعًا، فرأى كلارك تقف على بعد بضعة أمتار.

- ما الذي تفعله؟

كان على وشك أن يسألها السؤال نفسه، ولكنه بدلًا من ذلك سار نحوها صامتًا ووضع الزهرة في يدها. راحت تُحدّق إليها، ففكر لحظة في أنها ربما تلقيها في وجهه مجددًا. ولكنها -ممَّا أثار دهشته وارتياحه- نظرت إلى وجهه وابتسمت، وقالت: «شكرًا لك».

- على الرحب.

حدق كل منهما إلى الآخر ثواني، ثم سألها: «ألم تستطيعي أن تنامي أيضًا؟»

هزت رأسها نافية.

جلس ويلز على جذر شجرة مكشوف، والذي كان كبيرًا كفاية من أجل شخصين، فأشار إليها لكي تجلس بجانبه.

ترددت لحظة قبل أن تجلس تاركةً بضعة سنتيمترات بينهما. سألها ويلز: «كيف حال تاليا؟».

- تحسنت كثيرًا. إنني سعيدة للغاية أن أوكتافيا عادت إلى عقلها.

نظرت إلى الأسفل وتحسست الزهرة بإصبعها وأردفت: «إنني فقط لا أستطيع أن أصدق أنهما مُغادِران غدًا».

بدت في صوتها نبرة ندم انقبضت لها معدة ويلز.



- لقد ظننتُ أنك ستكونين سعيدة لرؤيتها تغادر، بعد ما جعلتك تعيشينه.
التزمت كلارك الهدوء ثواني، ثم قالت ببطء: «يمكن للأناس الجيدين أن يرتكبوا الأخطاء». نظرت إلى الأعلى، وتقابلت عيناها مع عيني ويلز، «ولا يعني هذا أن تتوقف عن الاهتمام بأمرهم».

ثواني طويلة كان كل ما أمكنهما سماعه هو صوت حفيف الرياح بأوراق الشجر. لعب الصمت دور كل الكلمات التي لم تُقَل. كل كلمات الاعتذار التي لم تنجح قط في أن تحمل حزنه وأسفه.

أضحت محاكمة أشهر عالمين من علماء فينيكس بمنزلة حدث العام. لقد كان عدد الأشخاص الذين اجتمعوا في حجرة المجلس يفوق عدد الذين حضروا أي محاضرة قبلًا، أو أي حدث آخر غير احتفال يوم إحياء الذكرى.

ولكن ويلز لم يكن منتبهًا كثيرًا إلى الحضور. لقد اختفى الاشمئزاز الذي شعر به نحو فضولهم المرضي -مثل انتظار الرومان مذبحة المسرح- في اللحظة التي وقعت عيناه فيها على الفتاة التي تجلس وحدها في الأول. لم يرَ كلارك منذ الليلة التي عاهدته فيها بشأن بحث والديها. لقد أخبر ويلز والده، الذي وزن المعلومة بحرص. وكما توقع ويلز، لم يكن المستشار على دراية بأي شيء بشأن التجارب، وعلى الفور أمر بفتح تحقيق. ولكن التحقيقات قد اتخذت منحى فظيعًا لم يتوقعه ويلز، والآن سيمثل والدا كلارك أمام المجلس كونهما مجرمين. لقد أمضى ويلز الأسابيع القليلة الماضية في البحث عن كلارك، مرتعبًا وشاعرًا بالذنب، ولكن سيل رسائله لم يُقرأ، وعندما ذهب إلى شقتها، وجدها محاطة بالحرَّاس من كل ناحية.

كان وجهها خاليا من أي تعبير وهي تشاهد أعضاء المجلس يتخذون مجالسهم. ثم التفتت، فرأت ويلز. ثبتت عينيها عليه، وأخذت ترمقه بنظرة ملأها من الكره والبغض ما أطلق عصارة مرة من معدته إلى حلقه.

انكمش ويلز ورجع بظهره على كرسيه في الصف الثالث. لقد أراد فقط أن يوقف والده أبحاث والديها، من أجل ألا تحزن كلارك. لم يتخيل قط أن الأمر سينتهي بهما ينتظران الحكم على حياتيهما.

اقتاد الحراس أم كلارك إلى مقعد في المقدمة. أبقت ذقنها عاليًا فيما راحت تتفحّص المجلس، ولكن لاحقًا، وقعت عيناها على ابنتها، ثم طأطأت رأسها.

انتصبت كلارك واقفة، وقالت شيئًا لم يسطع ويلز سماعه، ولكن لم يكن هذا يهم. الابتسامة الحزينة التي لاحت على وجه أمها كانت كافية لكي تشطر قلب ويلز إلى نصفين.

اقتاد حارسان آخران أباها إلى الداخل، وبدأت المحاكمة. افتتحت إحدى أعضاء المجلس إجراءات الدعوى وقدمت ملخصًا عن التحقيق. أقرت بأن الملة السيد والسيدة جريفين قد ادعيا أنهما كانا ينفذان أوامر نائب المستشار رودس بإخضاع البشر لتجارب الإشعاع الذري، وهذا ما نفاه رودس بشدة.

شعر ويلز بخواء غريب يملؤه وهو يشاهد نائب المستشار يقف، ويشرح بمنتهى الوقار أنه عندما وافق على طلبهما بإنشاء مختبر جديد لم يسمع أي كلمة بشأن إجراء التجارب على الأطفال.

بدت أصوات الجميع وكأنها تأتي من البعيد: أسئلة أعضاء المجلس، وأجوبة السيد والسيدة جريفين التي كانت تصل إلى أذنيه مشوشة، مثل موجات صوتية آتية من مجرة بعيدة.

سمع ويلز شهقات الحشود من قبل أن يُتاح لعقله وقت ليستوعب الأمر الذي يتفاعلون معه.

ثم فجأة، وجد المجلس يتقدم بالتصويت.



اخترقت أول كلمة «مذنبان» غشاء الضباب الذي أحاط بويلز. التفت لينظر إلى كلارك، التي ظلت ساكنة.

- مذنبان.

فكر ويلز في نفسه: لا، لا، أرجوكم.

- مذنبان.

ترددت الكلمة على طول الطاولة، حتى أتى دور والده. تنحنح المستشار، ولحظة عابرة، اعتقد ويلز أن هناك أملا، أن والده سيجد طريقة ليغير ما يحدث.

- مذنبان.

- كلا!

تعالت صرخة كلارك المعذبة على جلبة الهمسات المصدومة والتمتمات الراضية. هبت واقفة على قدميها، وصاحت قائلة: «لا يمكنك أن تفعل ذلك».

اكتسى وجهها بالغضب وهي تُشير إلى نائب المستشار قائلة: «أنت! أنت من أجبرتهما أن يفعلا ذلك. أنت أيها الوغد الكاذب الخسيس!».

تقدمت خطوة باتجاهه، وعلى الفور حُوصرت بالحُرَّاس.

أطلق نائب المستشار زفرة طويلة وقال: «أخشى أنكِ ماهرة في إجراء التجارب على الأطفال الأبرياء أكثر من الكذب يا آنسة جريفين».

ثم التفت إلى والد ويلز وقال: «إننا نعرف من خلال سجلات الأمن أنها كانت تزور المختبر بصفة دورية. كانت تعلم بشأن ما يرتكب أبواها من فظائع، ولم تحرك ساكنًا من أجل إيقافهما. من المحتمل حتى أنها كانت تساعدهما».

سحب ويلز بعض الهواء إلى رئتيه. كان بإمكانه أن يشعر بمعدته تحتكّ بأضلاعه، انتظر والده لكي يرمي رودس بواحدة من نظراته الغاضبة الرادعة، ولكن ممَّا أثار رعب ويلز، أخذ المستشار يحدج كلارك بنظرة مُخيفة. وبعد ثوانٍ طويلة، أطبق فكيه، والتفت ليواجه بقية أعضاء المجلس، وقال: «بموجب هذا، أتوجه بطلب لمحاكمة كلارك جريفين بتهمة المشاركة في الخيانة».

كلا. وقعت كلمات والده عليه مثل الشلل، حتى كاد قلبه يتوقف.

كان بإمكان ويلز أن يرَ أفواه أعضاء المجلس وهي تتحرَّك، ولكنه لم يستطع أن يتبيّن شيئًا مما يقولونه. كان مركزًا كل ذرة في جسده على التضرع إلى أي إله منسي، لربما يستمع إليه في تلك اللحظة. أخذ يتوسل في داخله: دعها لتذهب، سوف أفعل أي شيء. كان هذا صحيحًا؛ لقد كان مستعدًّا ليعرض حياته في مقابل حياتها.

خُذوني بدلًا منها.

مال نائب المستشار بجسده ليهمس بشيء ما إلى والد ويلز.

لا يهمني لو كان ذلك مؤلمًا.

ازداد وجه المستشار قسوة وخطورة عمَّا كان من قبْل.

ألقوا بي عبر بوابة الإطلاق لينفجر جسدي من الداخل.

ارتجف الشخص الواقف إلى جوار ويلز لدى الشيء الذي أعلنه المستشار.

فقط دعوها لتذهب.

عاد إليه ذلك الشعور المؤرق بعودة الأصوات إلى أذنيه عندما عمَّت الجلبة وعلت بين الحضور، ومن ثم جذب اثنان من الحراس كلارك وأخذاها بعيدًا.

قريبًا، سوف يُحكم على الفتاة التي سيفعل أي شيء من أجل أن يحميها بالموت، وسيكون لديها كل الحق في أن تموت وهي تكرهه.

كان كل شيء خطأه هو.

همس ويلز، وكأن ذلك -بطريقة ما- كان سيجعل الأمر أفضل: «أنا آسف».
قالت كلارك بصوتٍ حانٍ: «أعرف».

تجمد ويلز، ولحظةً كان خائفًا من أن ينظر إليها، كان خائفًا من أن يرى الحزن يشقّ طريقه من الجرح الذي كان يعرف أنه لن يُشفى أبدًا. ولكنه عندما التفت إليها أخيرًا، رأى أنها بينما اغرورقت عيناها بالدموع كانت تبتسم.

قالت وهي تنظر إلى الأعلى فوق الأشجار: «أشعر أنني أقرب إليهما من هنا. لقد قضيا حياتيهما يُحاولان معرفة كيف يعيداننا إلى موطننا».

لم يدرِ ويلز ما الذي يمكن أن يقوله دون أن يفسد سحر اللحظة؛ لذلك بدلًا من أن يقول شيئًا، مال نحوها وقبّلها. كان يكتم أنفاسه، حتى رأى رموشها المنكمشة بفعل الدموع تطبق على بعضها.

في البداية، كانت شفتاه تلامسان فمها برفق ونعومة، ولكنه بعد ذلك شعر بها تقبّله بدورها، حتَّى اشتعلت كل خلية في جسده. أُلفة لمستها ومذاق قُبلتها أطلقا سراح شيء ما بداخله، فضمَّها إليه أكثر.

غرقت كلارك بداخل ويلز، وأخذت شفتاها تلتصقان بشفتيه، وجلدها يذوب في جلده، وأنفاسها تختلط بأنفاسه. اختفى العالم من حولهما، وتموَّهت الأرض حتّى لم يبقَ منها سوى دوّامة من الروائح اللاذعة والهواء الرطب، الذي جعله يلصق جسده بها بقوّة أكبر. اهتزّت من تحتهما الأرض الملساء عندما سقطا من فوق جذع الشجرة.

كان هُناك الكثير ممَّا يرغب في إخبارها به، ولكنّه أضاع كلماته بينما يُبحر بشفتيه عبر جلدها، ينقلهما من فمها إلى رقبتها.

في تلك اللحظة، لم يكن هُنالك أحد آخر. كانا هما الاثنين الوحيدين على كوكب الأرض، تمامًا كما اعتاد أن يتخيّل أنهما سيكونان.

الفصل الثامن والعشرون

جلاس

كانت الموسيقى تُسمَع في أرجاء فينيكس مرتين ذلك العام. لقد وافق المجلس على هذا الاستثناء، وللمرة الأولى التي يمكن لأي أحد أن يتذكرها، أخرجت الآلات الموسيقيّة الأرضية من حجرات الحفظ وحملت بحرص بالغ إلى طابق الرصد من أجل حفل مشاهدة المذنب.

كان يجب تجمع لتلك الليلة أن تكون أكثر الليالي سحرًا في حياة جلاس. لقد سكان فينيكس بكلِّيتهم في طابق الرصد في أبهى صورهم، وعلت أصوات الحشود المتأنقة في حماس. من حولها، أخذ الناس يتحدَّثون ويتضاحكون في أثناء ما يذرعون المسافة باتجاه النوافذ الهائلة، يمسكون بكؤوس من النبيذ الغازي المعتق.

وقفت جلاس بجانب هكسلي وكورا، اللتين كانتا مُنهمكتَين في حديث مشوِّق. ولكن على الرغم من أن جلاس أمكنها أن ترى شفاه صديقتيها تتحرك، فلم تصل كلماتهما إلى أذنيها. كانت كل خلية في جسدها مركزة على الموسيقيين الذين اتخذوا أماكنهم في هدوء في إحدى زوايا طابق الرصد.

ولكن عندما بدأ العازفون في العزف، بدلت جلاس وقفتها من ساق إلى الأخرى وقد ازدادت اضطرابًا إذ فكرت في لوك. من دونه، الموسيقى التي اعتادت أن

تلفها مثل السحر بدت فارغة على نحو غريب. الألحان التي كانت يوم قادرة على أن تعبر عن أعمق أسرار روحها لم تعد بذلك الجمال الآن.

ولكنها آلمت صدرها لكي تعرف أن الشخص الوحيد الذي أرادت أن تشاركها معه كان في مكان آخر.

بحثت جلاس من حولها وعثرت على أمها بسرعة، التي كانت ترتدي ثوبًا رماديًّا طويلًا، وقفازات عائلتهم المصنوعة من جلد الماعز؛ آخر زوجين بقيا على متن السفينة. كانا ملطّخين بالبقع بحكم الزمن، ولكن ذلك لم يقلل من قيمتهما، التي لا تقدر بثمن. كانت تتحدث إلى شخص يرتدي زي المستشار، ولكنه لم يكن المستشار. لقد أدركت جلاس منذ الوهلة الأولى أنه كان نائب المستشار رودس. على الرغم من أنها لم تره سوى مرات قليلة، استطاعت أن تتعرف على أنفه المستدق وضحكته الساخرة.

أدركت جلاس أنها يجب عليها أن تذهب وتعرف وتبتسم في وجه نائب المستشار، وأن ترفع كأسها في نخبه. توجب عليها أن تشكره من أجل حريتها، وأن تتظاهر بالامتنان والسعادة الغامرة بينما سكان فينيكس المتأنقون يراقبون ويتهامسون. هذا ما كانت أمها ستُريده، هذا ما كان ينبغي لها أن تفعله، لو أنها كانت تعطي حياتها قيمة. ولكن لما نظرت جلاس إلى عينيه الداكنتين الملآنتين بالكراهية، وجدت نفسها عاجزة عن إجبار نفسها على أن تتحرك خطوة واحدة باتجاهه.

قالت جلاس وهي تعطي كورا كأس نبيذها التي لا تزال ملآنة: «انظري إلي، خذي هذا، أحتاج إلى بعض الهواء».

رفعت كورا حاجبيها، ولكنها لم تجادل، فلم يسمح لكل منهم سوى بكأس واحدة في تلك الليلة. بعد أن استرقت نظرة أخرى لكي تتأكد أن أمها لم تكن تُراقبها، شقت جلاس طريقها بين الحشود وخرجت إلى الرواق مجددًا. لم

تُصادف شخصًا واحدًا بينما تقطّع طريقها بسرعة إلى شقتهما، حيث خلعت عنها ثوبها وبدلت به بنطالًا رتيبًا، ثمَّ جمعت شعرها أسفل قبعة.

لم يكن هناك طابق مخصص للمشاهدة على متن والدن، ولكن كانت هناك بعض الأروقة التي تحتوي على نوافذ صغيرة على جانب السفينة الأيمن، حيث كان من المتوقع أن يمر المذنب. وكان الوالدنيون ممَّن ليس لديهم مناوبات في ذلك اليوم قد بدؤوا في التجمع منذ بكرة الصباح من أجل حجز أفضل المقاعد. لدى وصول جلاس، كانت الردهات تعج بالحشود. يتحدثون بأصوات حماسية، ويتلاصقون حول النوافذ الصغيرة. وكان بعض الأطفال يلصقون وجوههم في زجاج الكوارتز بالفعل، أو يصعدون على أكتاف والديهم.

عندما انعطفت من إحدى الزوايا، وقعت عينا جلاس على مجموعة أشخاص بالقُرب من النَّافذة على بعد بضعة أمتار: ثلاث سيِّدات، وأربعة أطفال. تساءلت عمَّا إذا كن السيدات يراقبن الطفل الرابع لأحد الجيران، أو إذا كانت طفلًا يتيمًا قد أخذنه معهن خلسة.

سارت الطفلة الأصغر ببطء نحو جلاس، ونظرت إليها بابتسامة خجول. مالت جلاس نحوها حتى أصبحت في نفس مستوى الطفلة، وقالت: «مرحبًا، . هل أنتِ متشوِّقة لرؤية المذنب؟».

لم تقل الفتاة أي شيء، كانت عيناها الواسعتان الداكنتان مثبتتين على رأس جلاس.

انتبهت جلاس إلى نفسها ورفعت يدها بسرعة وقد تجهم وجهها بعض الشيء لما أدركت أن شعرها قد سقط خارج قبعتها. راحت تدخله مجددًا تحت القبعة، ولكن الفتاة الصغيرة شبت على أصابع قدميها وجذبت خصلة طويلة من شعرها.

- بوسي، دعي السيدة وشأنها.

نظرت جلاس فرأت واحدة من السيدات تسير نحوها، ثم قالت لجلاس وهي تضحك: «آسفة، إنها مُعجبة بشعرك».

ابتسمت جلاس، ولكنها لم تقل أي شيء. لقد تعلمت كيف تُخفي لكنتها الفينيكسيّة، ولكن كلما تجنَّبت الحديث، كان أفضل. قالت المرأة وهي تضع يدها على كتف الفتاة وتأخذها بعيدًا عن جلاس: «هيا بنا يا بوسي».

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة، وأوشك المذنب أن يظهر في أي وقت الآن. لا بد أن طابق الرصد على متن فينيكس سيكون صامتًا بينما ينتظر الجميع في رهبة وسكون، بينما هُنا، كان الأطفال يتقافزون ويضحكون، وراح بعض المراهقين يصيحون بالعد التنازلي.

أجالت جلاس بصرها في كل أرجاء الرواق، ولكنها لم تعثر على أي أثر له. صاحت فتاة صغيرة قائلة: «انظروا!».

ظهر خط أبيض مر من فوق القمر، وبدلًا من أن يَخفت شيئًا فشيئًا مثله مثل معظم المذنبات، أخذ يكبر ويتّسع، وأخذ الذيل يمتد ويتوهَّج عبر الفضاء، حتَّى أصبحت النجوم باهتة مقارنة به.

تقدَّمت جلاس إلى الأمام وكأنها غائبة عن الوعي، فتنحى اثنان ممَّن يلتصقون بأقرب نافذة جانبًا ليفسحَا لها مجالًا. كان في غاية الجمال، ومُرعبًا أيضًا. فكرت جلاس في عجاب. لم ينفك المذنب يتسع ويتسع في أثناء مروره، حتى ملأ مساحة العرض في النافذة بكليتها، وكأنه كان يتّجه نحوهم مباشرة.

هل من الممكن أن يكون قد حدث خطأ تقديري؟ ضغطت جلاس يديها على الحافّة بشدة. كانت تحس بها وهي تجرح راحتي يديها. من حولها، بدأ الناس

يتراجعون إلى الوراءِ وقد علت موجة من الهمهمات المهتاجة والصيحات الفزعة.

أغمضت جلاس عينيها، لم تقوَ على أن تنظر.

أحاطت بها ذراع من خلفها، لم تحتج حتَّى إلى أن تلتفت لكي تعرف أنه لوك. كانت تعرف رائحته، وتعرف لمسته، وكأنه جلدها الثاني.

قالت وهي تُدير رأسها لتنظر إليه: «كنت أبحث عنك».

على الرغم من أن حدثًا فلكيًّا يحدث مرة واحدة في العُمر كان يحدث أمام عينيه مُباشرة، كان ينظر إليها فقط. همس في أذنها قائلًا: «كنت آمل أن تأتي».

تفجرت همهمات الحشود الهلعة، واستحالت إلى صيحات ذهول وتعجب، إذ ارتفع المذنب وعبر من فوق السفينة وهو يتوهج كاللهب. شدّ لوك ضمّة ذراعيه من حولها، ومالت جلاس بداخل صدره، وقالت: «لم أستطع أن أتخيل أن أرى ذلك من دونك».

- ألم تواجهي أية متاعب في الهروب إلى هنا؟

- لا، ليس بالضبط.

تقلصت معدتها لدى تذكرها أمها وهي تقف بجانب نائب المستشار. مدَّت بدها إلى وجهه ومررت إصبعها على خدّه، وقالت: «أتمنى فقط لو أننا لسنا مضطرين إلى التسلل».

أمسك لوك بيدها وقربها من شفتيه، وتكلم بجدية قائلًا: «ربما هناك طريقة لكي نغير رأي والدتكِ. ربما يمكنني أن أتحدَّث معها. هكذا، أحاول أن أثبت لها

أنني لست همجيًّا بربريًّا، وأنني جادٌّ بشأن مستقبلي... مستقبلنا؛ أنني جادٌّ بشأنكِ».

ابتسمت له جلاس بحنو، وقالت: «أتمنى لو أن الأمر بهذه السهولة».

احتضن كلتا يديها في راحتيه، وقال: «كلّا، إنني أعني هذا. إنها تظن أنني مجرد والدني أرعن يريد أن يستغلكِ. هي في حاجة إلى أن تعرف أن ما بيننا ليس مجرد علاقة عابرة. إن ما بيننا حقيقي».

شدت جلاس على يده وقالت: «أعلم ذلك. أعلم ذلك».

قال لوك بينما راح يخرج شيئًا من جيبه: «لا، لا أظن أنكِ تعلمين».

التف ليقف أمامها دون أن يبعد عينيه عنها، وراح يقول: «جلاس... لا أرغب في أن أعيش يومًا آخر من دونكِ. أود أن أذهب كل ليلة إلى النوم وأنتِ بجانبي، وأن أستيقظ كل صباح وأنا إلى جواركِ. لا أريد أي شيء سواكِ، طوال ما تبقى من حياتي».

فتح راحة يده الممدودة وبها شيء صغير ذهبي. كانت قلادتها.

- أعلم أنه ليس خاتمًا، ولكن...

- أجل.

هكذا قالت ببساطة؛ إذ لم يكن هُنالك شيء آخر لتقوله، لم يكن هنالك شيء آخر لتفعله سوى أن تلبس القلادة وتقبل الفتى الذي عشقته إلى حد الألم، بينما من خلفهما رسم المذنب خطوطًا من الذهب في السماء.

الفصل التاسع والعشرون

بيلامي

لم يستطع بيلامي أن ينام. كان عقله مثل حلبة مصارعة للأفكار التي تتنازع من أجل الحصول على انتباهه، فبات من المُستحيل أن يعرف إلى أين انتهت إحداها ومن أين بدأت الأخرى.

أخذ يحدّق عاليًا إلى السماء، يُحاول أن يتخيّل ما الذي كان يحدث على متن السفينة. بدا من الغريب أن يفكر في أن الحياة تمضي كالمعتاد على بعد مئات الكيلومترات، الوالدنيون والأركاديون يرزحون ويكدحون، بينما يجامل الفينيكسيون بعضهم بعضًا ويثنون على ملابسهم في طابق الرصد ويتجاهلون النجوم. كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي سيفتقده في المستوطنة، المنظر. كان قد سمع قبل الإطلاق عن مرور مذنب ما. لا بد أن ذلك كان سيُصبح شيئًا باهرًا أن يراه على متن السفينة.

ضيَّق عينيه في قلب الظلام محاولًا أن يتذكر كم يومًا قد مر منذ هبوطهم إلى الأرض. لو أن حساباته صحيحة، فإذن يفترض بالمُذنب أن يظهر الليلة. لا بد أنه سيكون هناك حفل فاخر لمشاهدة المذنب على متن فينيكس، وتجمعات أقل رسمية على متن والدن وأركاديا. نهض بيلامي إلى وضعية الجلوس ومسح السماء بعينيه. لم يكن بإمكانه رؤية أي شيء من ساحة المخيم -إذ حجبت الأشجار جزءًا كبيرًا من السماء ولكنه سيتمكّن من الحصول على رؤية أفضل عند حدود المخيم.

كانت أوكتافيا نائمة في سلام بالقرب منه، وشعرها اللّامع مفرود أسفلها، وشريط شعرها الأحمر مربوط حول رسغها.

همس بيلامي: «سوف أعود على الفور».

ثم انطلق مسرعًا عبر ساحة المخيم.

كان سرادق الأوراق الكثيف يحجب جل ضوء النجوم، ولكن بعد كل رحلات الصيد التي قام بها، بات يعرف ذلك الجزء جيدًا؛ يتوقع كل منحدر ومنعطف، وجذوع الأشجار المتخفية. عندما بلغ حدود ساحة المخيم أخيرًا، توقف ليلتقط أنفاسه، وقد ساعد هواء الليل البارد على تصفية ذهنه، والاشتعال الذي أصاب عضلات ساقيه كان بمنزلة عنصر ترحيبي لتشتيت الانتباه.

بدت السماء الملبدة بالنجوم كما اعتادت أن تكون في كل ليلة منذ هبوطهم على الأرض، ولكن شيئًا مختلفًا بها، إذ كانت النجوم نابضة وممتلئة، وكأنها تنتظر شيئًا ما يوشك على الحدوث. ثم -وعلى حين غرة- حدث شيء بالفعل. اندفع المذنب عبر السماء كخط من الذهب فوق صفحة من الفضة اللامعة ليُنير كل ما حوله، حتى الأرض.

التهب جلده وكأنّ بعضًا من ذلك الشرر قد تسرب إلى جسده، وأنعش خلاياه بشيء يفوق الطاقة قوة: الأمل. ففي صباح الغد، سوف يُغادر هو وأوكتافيا هذا المكان دون رجعة. في صباح الغد، سوف يتحرَّر كلاهما من المستوطنة إلى الأبد. لن يكون هناك أحد يملي عليهما ما يفعلانه، وما ينبغي لهما أن يصبحا عليه.

أغمض عينيه وراح يتخيَّل كيف يبدو ذلك الشعور؛ التحرر من كل أحد ومن كل شيء، حتى من ماضيه، بل وحتى -ربما- من الذكريات التي لم تنفك تطارده طوال حياته.

ذرع بيلامي الممشى بأكمله ركضًا، مُتجاهلًا جيرانه المُتَبرّمين، والتهديدات الفارغة من الحراس الذين علم أنهم كانوا أكثر كسلًا من أن يطاردوا شابًّا في التاسعة عشرة وهو أسرع منهم بكل وضوح فقط لكي يحرروا ضده تقريعًا رسميًّا. ولكنه عندما أصبح قريبًا من شقته، تبخر كل ما لديه من حماسة.

فمنذ تلك الليلة الفظيعة عندما أمسك بأمه وهي تُحاول إيذاء أوكتافيا، باتت عودته إلى المنزل تُثير اضطرابه.

فتح بيلامي الباب ودلف إلى الداخل، ونادي قائلًا: «أمي؟».

ثم أغلق الباب من خلفه بحرص قبل أن ينطق بأي شيء آخر.

- أوكتافيا؟

انتظر من يجيبه، ولكنه لم يحصل على جواب سوى الصمت.

نادى مجددًا: «أمي؟».

سار عبر الغرفة الرئيسية وقد اتّسعت عيناه عن آخرهما لدى رؤيته الأثاث المقلوب رأسًا على عقب. لا بد أن أمه قد مرت بنوبة أخرى من نوبات مزاجها السيئ. توجه إلى المطبخ وقد أخذت معدته تتمعج وتتلوَّى وكأنما تُحاول أن تخترق سُرة بطنه وتفر هاربة.

سمع أنين شخص ما، فهرع إلى الداخل ليجد أمه مُستلقية على الأرض وسط بركة لزجة من الدماء، وسكين ملقىً بجانبها.

شهق بيلامي وهرع إليها، وأخذ يهزّ كتفيها باهتياج. وصاح قائلًا: «أمي، قومي يا أمي».



ولكنها لم تأت سوى بحركة ضئيلة من جفونها، وأطلقت أنينًا خافتًا مرة أخرى. هب بيلامي واقفًا، وشهق مفزوعًا عندما أدرك أن النصف السفلي من بنطاله أصبح منقوعًا في الدِّماء. كان عليه أن يجد أحدهم، كان عليه أن يجد من يساعده.

شقَّ طريقه إلى الغرفة الرئيسيّة مسرعًا، وأوشك أن يهرع ليجد أحد الحراس، قبل أن يجبره صوت ما على أن يتوقف فجأة. وقعت عيناه على خزانة الملابس، والتي كانت مواربة قليلًا، وظل ضئيل يمر من خلال الفتحة التي بين باب الخزانة والحائط. تقدم بضع خطوات نحوه وقد ظهر وجه صغير محتقن بالدموع. اقترب ليمسك بيد أخته، بينما يهمس إليها قائلًا: «هل أنتِ بخير؟ تعالي إليَّ».

ولكنها تراجعت إلى الخلف منكمشة على نفسها وهي ترتعد خوفًا. تبخر خوفه على أمه في أثناء ما راح يحدق إلى الطفلة الصغيرة التي تسببت أمهما في جعلها مرتعبة من أن تخرج إلى الضوء. حثّها قائلًا: «تعالي إليَّ يا أوكتافيا».

فأخرجت رأسها ببطء وتردد مرة أخرى، إلى أن خرجت أخيرًا من خزانة الملابس، وراحت تُجيل بصرها بعينين متّسعتين عن آخرهما. التَقط بيلامي الشريط الأحمر الذي كان قد أعطاها إياه من أرضيّة الخزانة، وقال: «ها هُنا».

ربطه حول خصلات شعرها الدّاكنة بأقرب شكل قوسي تمكن من صنعه.

- تبدين جميلة.

أمسك بيدها، فشعر بقلبه يعلو ويهبط بداخل صدره لما أحاطت أصابعه بأصابعها الصغيرة. قادها إلى غرفة نوم أمهما، ورفعها إلى السرير، ثم تكوَّر حول نفسه إلى جوارها يدعو ألا تصل أي أصوات إلى مسامعه من المطبخ مجددًا.

ظلا جالسين معًا على السرير، ينتظران في هدوء، إلى أن خفت أنين أمهما أخيرًا ولم يعد هناك سوى الصمت. قال بينما يضم أخته الصغيرة بقوة على صدره: «لا بأس يا أو، لا تخافي، لن تضطري إلى الاختباء مجددًا أبدًا».

مع اختفاء آخر أثر للمذنب وقد ابتلعه الظلام، أسرع بيلامي عائدًا أدراجه المنحدر. كان حريصًا على أن يرجع قبل أن تستيقظ أوكتافيا وتُلاحظ عبر ذهابه. ولكنه ما إن انعطف وراح يبحث بعينيه عن حشد الخيام المألوف، كان كل ما تمكن من أن يراه هو ألسنة اللهب.

كان المخيم بأكمله يحترق.

كاد بيلامي ينزلق إذ توقف بغتة، وأخذ يسعل عندما امتلأت رئتاه بأول نفس من الهواء الملبد بالدخان. ظلت رؤيته مشوشة ثواني بفعل النيران والظلال، ولكن لاحقًا، بدأت الأشكال تتّضح أمامه: أشخاص يركضون في كل اتجاه، بعضهم يصب الماء على الخيام المُشتعلة، بينما يهرع آخرون باتجاه الأشجار.

فكرة واحدة فقط هي التي استبدَّت به بينما كان يعدو إلى مكان أغطيتهما. راحت عيناه تُفتِّشان في الظلام عن جسد أخته النائم، فأخبرته عقدة الهلع التي تلوَّت بها معدته بما كان يعرفه بالفعل: أوكتافيا لم تكن هناك.

أخذ يصيح باسمها، ويلوح برأسه من جانبٍ إلى آخر، يدعو بأن تناديه من خارج حدود ساحة المخيم، من أي مكان تكون فيه بأمان.

صاح مجددًا وهو يبحث بعينيه في كل الأرجاء بجنون محموم. ضيق عينيه ليتمكن من أن يرى من خلال الدخان.

- أوكتافيا!



راح يقول في نفسه: لا تفزع. ولكن دونما فائدة. تعالت النيران عبر الظلام، ولم يظهر أي أثر لأوكتافيا.

لقد هبط بيلامي من السماء فقط ليجد نفسه في أعماق الجحيم.

الفصل الثلاثون

كلارك

مدة من الوقت -دقائق، ربما ساعات، لم تكن كلارك متأكدة- كل ما أمكنها سماعه هو صوت قلبيهما، وهمسات أنفاسهما المختلطة. ولكن لاحقًا دوت صرخة مزَّقت الهواء من ساحة المخيم وصولًا إليهما، فانفصلا عن بعضهما تحت وطأة المفاجأة. هب كل من كلارك وويلز وتمسّكت كلارك بذراع ويلز لكي تتوازن بينما تعود بوعيها إلى العالم الواقعي المروع.

أمسك ويلز بيدها وانطلقا يعدوان باتجاه ساحة المخيم. تعالت المزيد من الصرخات، ولكنها لم تكن مُخيفة مثل صوت قصف وطقطقة النيران، التي جعلت كل عصب في جسدها ينتصب واقفًا.

تصاعدت ألسنة اللهب من جميع الخيام، التي كان بعضها قد احترق بالفعل، وانهارت واستحالت إلى كومة من الركام. بدت مثل ساحة حرب قديمة. وبدا الكثيرون كالظلال وهم يهرعون في هلع نحو بر الأمان يداخل الغابة تطاردهم مخالب النيران الجائعة.

فكرت كلارك مرتعبة: تاليا! وانطلقت تعدو إليها. كانت من الضعف بمكانة جعلتها غير قادرة على بلوغ خيمة المستوصف بمفردها. صاح ويلز في خضم فوضى الصرخات لكي يوقفها: «لا. كلارك، توقفي، هذا ليس آمنًا!».

ولكن كلماته مرت من فوقها كذرات الرماد. سلكت طريقًا مباشرًا إلى الخيمة، وامتلأت رئتاها بالدخان، وراحت تغمض عينيها وتفتحها لكي تتمكَّن من أن ترى في خضم الهواء المُحترق.

التفَّت ذراعه حول وسطها كقبضة حديدية، وجذبها قسرًا إلى الغابة ليلتجئا إلى الأشجار. صرخت كلارك بينما تتخبط بين ذراعيه بكل قوتها: «دعني أذهب».

ولكن ويلز لم يخفف قبضته حولها، وأجبرها على أن تُشاهد النار وهي تلتهم خيمة المستوصف عن آخرها على بعد أقل من مئة متر دون حول منها ولا قوة. كانت ألسنة اللهب تُمسك بالخيمة بكليتها، وأخذ الغطاء البلاستيكي فوق الخيمة يذوب، والدخان يتصاعد خارج الخيمة عبر فتحة الستار الأمامي.

راحت تتلوَّى محاولة أن تحرر نفسها، ونشجت قائلة: «ابتعد».

انزلقت ذراعه قليلًا، وأخذ يسحبها إلى الخلف. شعرت أن صوتها يمزق حلقها وهي تصيح بينما راحت تضربه بقبضتيها دونما جدوى قائلة: «كلا! يجب عليّ أن أخرجها. تاليا!».

غرزت قدميها لتثبتهما بالعشب، ولكن ويلز كان يفوقها قوة، ولم تتمكن من أن تظل متمسكة بالأرض. همس ويلز في أذنها قائلًا: «أنا آسف يا كلارك».

تمكنت من أن تشعر بأنه كان يبكي، ولكنها لم تكترث.

- ستموتين لو دخلتِ إلى هناك، لا يمكنني أن أتركَكِ.

أشعلت كلمة ستموتين قوة كامنة تفجرت بداخلها. صرت كلارك على أسنانها واندفعت بكل قوتها إلى الأمام، وتمكنت لحظات من أن تفلت نفسها من

قبضة ويلز وقد استبدت فكرة وحيدة يائسة بكيانها بأكمله، وهي أن تنقذ صديقتها الوحيدة التي تبقت لها في هذا العالم.

صرخت بينما يقيد ويلز ذراعيها خلف ظهرها، وكانت صرخاتها هذه المرة أشبه بتوسل وليس بأمر: «دعني أذهب، أتوسل إليك، دعني أذهب».

أحاطها بذراعيه مجددًا، وقال لها بصوت مرتجف: «لا أستطيع أن أتركِكِ، لا أستطيع».

باتت ساحة المخيم خالية الآن، ونجح الجميع في الهرب إلى الغابة، وحمل كلٌّ منهم ما استطاع أخذه من المؤن، ولكن أحدًا منهم لم يفكر في أن ينقذ الفتاة العاجزة التي التهمتها النار وهي على قيد الحياة على بعد أمتار قليلة منهم.

صاحت كلارك: «النجدة، فليساعدنا أحدكم. أرجوكم».

ولكنها لم تحصل على جواب سوى صوت أجيج وطقطقة النار.

تصاعدت ألسنة اللهب من خيمة المستوصف، وازدادت ارتفاعًا، وهوت جوانبها بعضها فوق بعض، وكأن النيران كانت تبتلع الخيمة وكل ما بداخلها ابتلاعًا.

- لا.

دوى صوت فرقعة هائل، وازدادت النيران ارتفاعًا فوق ارتفاعها. صرخت كلارك بينما تُشاهد في رعب الخيمة وهي تتداعى وسط عاصفة من النيران، ولم تلبث أن استحالت رمادًا. انتهى الأمر.

بينما كانت تمضي مُبتعدة عن المركز الطبّي، استطاعت كلارك أن تشعر بالقنينة الصغيرة وكأنها تنبض بداخل جيبها، مثل القلب في القصة التي اكتشفها ويلز في المكتبة ________ قبل يومين. لقد عرض عليها أن يقرأها لها، ولكنها رفضت رفضًا قاطعًا. كان آخر شيء تُريده في تلك اللحظة أن تسمع قصة مريبة عن أحداث ما قبل وقوع الكارثة. كان لديها ما يكفي من الأحداث المرعبة التي تراها في حياتها الواقعية.

من المُستحيل أن يكون للقنينة التي تحملها في جيبها قلب نابض، أدركت كلارك ذلك، بل العكس هو الصحيح؛ إذ صممت توليفة المركبات الكيميائية بداخلها لكي تجعل القلب النابض يتوقف إلى الأبد.

عندما وصلت كلارك إلى البيت، لم يكن والداها هناك. فعلى الرغم من أن كليهما كان يقضي أغلب اليوم في المختبر طيلة الأسابيع القليلة الماضية، فإنهما عكفا على اختلاق الأعذار لكي يغادرا قبل أن تعود كلارك من تدريبها مباشرة، ونادرًا ما كانا يعودان قبل أن تخلد إلى النوم. وعلى الأرجح، كان ذلك الملف أفضل شيء يفعلانه؛ فكلما اشتدَّت وطأة المرض على ليلي، بالكاد تمكّنت كلارك أن تنظر إلى والديها دون أن تشعر بالغضب يعتمل في داخلها.

كانت تدرك أنها لم تكن عادلة في حكمها؛ إذ إنه في اللحظة التي يعترض فيها أي أحد، سوف يأمر نائب المستشار بإعدام والديها وحبس كلارك في غضون أيام. ولكن تلك الحقيقة لم تجعل من السهل عليها أن تنظر إلى أعينهما.

كان الهدوء يخيم على المختبر. بينما تشقّ كلارك طريقها عبر متاهة الأسِرَّة الفارغة، كل ما أمكنها سماعه هو أزيز نظام التهوية؛ إذ إن همس المحادثات الخافت قد اختفى شيئًا فشيئًا مع اختفاء كل جسد.

ازدادت ليلي غثاثةً وهزالًا عما كانت عليه قبل يومين. مشت كلارك بتؤدة إلى سريرها، ومررت يدها برفق على ذراع صديقتها، فسرت رجفة في جسدها عندما تساقطت قطع من جلدها. أدخلت يدها الثانية في جيبها ولفت أصابعها حول القنينة الصغيرة. سيكون ذلك في غاية السهولة، ولن يتمكن أحد من معرفة الأمر.

ولكن حينها ارتعشت رموش ليلي الباهتة وفتحت عينيها، فتجمدت كلارك. شعرت وهي تحدّق إلى عيني ليلي بموجة من الخوف البارد والنفور تضربها. ما الذي كانت تُفكر فيه؟ أحسَّت برغبة طاغية في تحطيم القنينة، واضطرت إلى أن تسحب نفسًا عميقًا لكي تمنع نفسها من ضربها بالحائط.

أخذت شفتا ليلي تتحرَّكان، ولكن صوتًا لم يغادرهما. مالت كلارك نحوها وابتسمت لها ابتسامة صغيرة، وقالت: «آسفة يا ليل، لم أسمع ذلك».

أنزلت رأسها بحيث تكون أذنها أقرب إلى فم ليلي.

- ما الذي قُلتِه؟

في البداية، أمكن كلارك أن تشعر بنسمة الهواء الصامتة تصطدم بجلدها، كما لو أنه لا يوجد في رئتي ليلي ما يكفي من الهواء لكي تتمكَّن من أن تدفع الكلمات إلى خارج فمها. ولكن لاحقًا، هربت أنَّة واهنة من شفتيها المتشققتين، وقالت: «هل أحضرتِها؟».

رفعت كلارك رأسها لكي تنظر إلى داخل عيني صديقتها البنيتين اللتين يسكنهما الرعب، ثم أومأت ببطء.

- الآن.



كانت الكلمة بالكاد مسموعة، احتجت كلارك. كان صوتها يرتجف: «لا... هذا مبكر جدًّا».

أغمضت عينيها لتخبئ الدموع التي ملأتها، وقالت: «لا يزال هناك أمل في أن تتحسني».

ولكن كذبتها بدت خاوية وهاوية حتى بالنسبة إليها.

تلوَّى وجه ليلي من الألم، فأمسكت كلارك بيدها. قالت ليلي بصوت متهدج: «أرجوكِ».

ربَّتت جلاس على يد ليلي الهشة برفق بينما تتساقط دموعها على خدها، وقالت: «أنا آسفة. لا أستطيع».

اتسعت عينا ليلي. تنشقت كلارك بحدّة وقالت: «ليل؟».

ولكن ظلت ليلي صامتة، تحدق إلى شيء لا يراه سواها، شيء ملأ عينيها بالفزع. كانت كلارك تعلم ذلك، ولكن الهلوسات والشياطين الذين كانوا معها في كل ثانية يحومون حول سريرها أصبحوا أكثر بشاعة.

- ليس بعد الآن.

أغمضت كلارك عينيها. إن ما ستشعر به من ذنب وندم لا يمكن أن يُقارن بما تشعر به ليلي من ألم. سيكون من الأنانية أن تدع خوفها يمنعها من أن تمنح صديقتها السلام الذي أرادته، والراحة التي تستحقها.

أخذ جسدها بأكمله ينتفض بقوة. بالكاد استطاعت أن تخرج القنينة من جيبها، ناهيك بأن تملأ المحقن. وقفت إلى جوار السرير وأمسكت بيد ليلي بإحدى ذراعيها، بينما استخدمت الأخرى لكي توجه الإبرة إلى وريد ليلي.

همست قائلة: «نومًا هنيئًا يا ليل».

أومأت ليلي وابتسمت إلى كلارك ابتسامة كانت تدرك أنها ستبقى محفورة في عقلها ما حيت.

- شكرًا لكِ.

ظلت كلارك ممسكةً بيد ليلي طيلة البضع الدقائق التي استغرقتها صديقتها لكي تسلم روحها. ثم وقفت ووضعت أصابعها على رقبة ليلي التي لا تزال دافئة تفتش عن النبض.

لقد رحلت.

هوت كلارك إلى الأرض الرطبة وأخذت تلهث بينما تُصارع رئتاها بيأس لكي تستنشقا بعضًا من الهواء البارد، ثم رقدت على جنبها. استطاعت من خلال رؤيتها المشوّشة بالدموع أن تحدّد هيئات الأشخاص الواقفين من حولها، وظلالهم الداكنة الخالية من الملامح ساكنة وهادئة.

صديقتها المقربة، الشخص الوحيد الذي كان يعرف كلارك حقًّا، التي كانت تعرف بما فعلته لليلي ________ وظلت تحبها. كانت تاليا هي من قالت لكلارك أن تذهب إلى ويلز لكي تصلح ما بينهما الليلة، ثم ما كان من ويلز إلا أن أمسك بكلارك بينما يشاهدان تاليا وهي تموت.

راح ويلز يقول وهو يمد يده إليها: «أنا آسف جدًّا يا كلارك».

دفعت يده بعيدًا عنها، وقالت له بصوت هادئ وبارد: «لا أستطيع أن أصدقك».



أحست بغضب هائل يعتمل في صدرها، كأن ثمة نيرانًا تتأجَّج بداخلها ولم تكن تحتاج إلى سوى الغضب والحزن لكي تنفجر وتستحيل جحيمًا.

تلعثم ويلز قائلًا: «كان من المستحيل أن تنجي من هذا، أنا فقط... لم أستطع أن أترككِ تذهبين. كنتِ ستقتلين نفسكِ».

- فتركت تاليا لتموت بدلًا مني إذن، وكأن لديك الحق لتقرر من يعيش ومن يموت.

أوشك أن يحتج، ولكنها تابعت حديثها وهي تموج غضبًا: «ما حدث الليلة كان خطأ. إنك تدمر كل شيء تلمسه يداك».

- كلارك، أرجوكِ، أنا...

ولكنها فقط نهضت واقفة، ونفضت قطع الرماد عن ملابسها ومضت في طريقها إلى الغابة دون أن تنظر خلفها.

كان لدى جميعهم رماد في رئاتهم ودموع في أعينهم، ولكن ويلز كان لديه دم على يديه.

الفصل الحادي والثلاثون

جلاس

قال لوك لجلاس: «سوف أشتري خاتمًا ما إن أجد واحدًا في قسم المقايضة».

وضع يده أسفل ظهرها فيما كان يقودها عبر الأروقة المزدحمة في طريق العودة إلى فينيكس. كان معظم الناس الذين تجمعوا لمشاهدة المذنب يتَّجهون عائدين إلى وحداتهم السكنية في الطوابق السفليّة، ممَّا زاد من صعوبة وصولهم إلى الجسر السماوي. ولكن جلاس لم تكن تملك أي فكرة عن الاتجاه الذي كانا يسلكانه. كان قلبها لا يزال ينبض بسعادة عارمة، وأخذت ترتعش بينما تمسك يد لوك وتشد عليها بقوة.

رفعت يدها لتلمس القلادة، التي بدت وكأنها تبعث الدف بداخل صدرها، وقالت: «لا أحتاج إلى خاتم».

كانت تدرك أن لا شيء يمكن أن يحدث على الفور. على الرغم من أنها ستبلغ الثامنة عشرة في غضون أسابيع قليلة، لم يكن في وسعهما أن يخاطرا بأن يتزوجا قبل أن يستفيق المستشار ويصدق على قرار عفوها، أو ألا يستفيق على الإطلاق. أمها كانت ستتفهم في نهاية المطاف، عندما ترى أن لوك يحب جلاس كثيرًا. سوف يتزوجان ثم سيتقدمان بإذن لإنشاء عائلة، يومًا ما. أما في الوقت الحالي، فمجرد الوعد بمستقبل يجمعهما معًا كان كافيًا.

- هذه مثالية.

انعطفا خارجين من بيت الدرج إلى الرواق المؤدِّي إلى الجسر السماوي. توقف لوك فجأة وسحب جلاس إليه إذ ظهر عدد من الحراس يمرُّون بالقرب منهما، كانوا قريبين جدًّا، لدرجة أن أكمام بعض منهم لامست ذراع جلاس، ولكن أعيُنهم كانت مركزة على الأمام مباشرة. راحت ترتجف، والتصقت بجسد لوك، الذي كان يراقبهم بتعبير غريب على وجهه.

سألته جلاس: «هل تعلم ما الذي يحدث؟»

- إنني واثقٌ من أنه ليس هُناك شيء.

أجابها لوك بسرعة شديدة، بينما تعارضت كلماته مع فكه المشنَّج. ثم رفع أيديهما المتواشجة أصابعها إلى شفتيه، وقبل يديها وقال: «هيا بنا».

ابتسمت جلاس بينما يتابعان طريقهما. اختفى صوت ارتطام أحذِية الحراس بالأرض، وأصبحت الردهة بأكملها لكليهما فقط. توقف لوك على حين غرة ورفع ذراعها في الهواء، وقبل أن تتمكَّن جلاس من أن تسأل عما كان يفعله، جعلها تدور حول نفسها ثم انحنى بها إلى الأسفل.

أخذت جلاس تضحك بينما يحيط لوك خصرها بذراعه ويدفعها برفق عبر الردهة الفارغة.

- ماذا دهاك؟

توقف، ثم جذبها إليه أكثر، ثم مال نحوها وهمس في أذنها قائلًا: «إنني أسمع الموسيقى عندما أكون معك».

ابتسمت جلاس، ثمَّ أغمضت عينيها وراحا يتمايلان من جانب إلى آخر في وسط الردهة.

أخيرًا، خطا لوك خطوة إلى الخلف وأشار تجاه الجسر السماوي، وقال: «لقد أوشك حظر التجول أن يبدأ».

وافقته على مضض قائلة: «حسنًا».

سارا يدًا بيد عبر الجسر السماوي، يتبادلان ابتسامات ذات مغزى جعلت كل خلية في جسد جلاس تنبض بالحماس. توقَّفَا لما بلغا مدخل فينيكس، يأبى كل منهما أن يودع الآخر. مرر لوك إصبعه على سلسلة القلادة، ثم شدّ على يدها قبل أن يحثّها على الذهاب، وقال برفق: «أحبكِ. أعلميني لدى وصولكِ إلى البيت. سوف أمر غدًا لكي أتحدث إلى والدتكِ».

- اتفقنا، غدًا.

استدارت جلاس أخيرًا ومضت عبر الجسر السماوي. لم تكد تصل إلى نصف المسافة، حتى دوى صوت صفير حادّ عبر الفضاء. أخذت تنظر إلى ما حولها في فزع مُباغت. انفصل جمع الحراس عند نهاية الجزء الخاص بفينيكس من الجسر كل في اتجاه، واستطاعت أن تسمع أحدهم يصيح بتوجيه الأوامر. تجمدت جلاس إذ أضحى الصوت أعلى وأكثر استعجالًا. التفتت لتنظر إلى لوك، الذي شرع في أخذ بعض الخطوات المترددة نحوها. تردد صوت امرأة ما وهي تعلن عبر مكبرات الصوت: «الجسر قيد الإغلاق، برجاء إخلاء المنطقة».

مر فاصلٌ قصير، ثم ترددت الرسالة مرة أخرى: «الجسر قيد الإغلاق، برجاء إخلاء المنطقة».

شهقت جلاس إذ بدأ حاجز في النّزول عند نقطة تفتيش فينيكس. هرعت إلى الأمام، وأمكنها أن ترى لوك يجري هو أيضًا، ولكنهما كليهما كانا بعيدَين جدًّا.



بلغت جلاس الحاجز الشفاف مُباشرة قبل أن يغلق تمامًا ويلتصق بالأرض، وأخذت تضرب يديها به. توقف لوك فجأة على الجانب الآخر. كان يقول شيئًا ما، ولكن على الرغم من أنها تمكنت من أن ترى فمه يتحرك، فإن صوتًا لم يصل إلى أذنيها.

امتلأت عيناها بالدموع بينما تنظر إليه وهو يضرب الحائط بقبضتيه بإحباط. لم تفهم ما الذي يحدث. إن الجسر السماوي لم يُغلق منذ تفشي الجائحة في القرن الأول. كانت تعلم أنه لو أغلق الآن، فمن الممكن ألا يفتح مجددًا.

صاحت، بينما غادرت الكلمة من بين شفتيها مشبعة بالعجز: «لوك!».

ألصقت يديها بالحاجز الشفاف دون أن تزيلهما عنه، وثبت كل منهما عينيه بعينَي الآخر.

قالت جلاس: «أحبك».

ألصق لوك يده على الحاجز بدوره، ولحظة، تمكنّت جلاس من أن تشعر بدفء جسده. نطقت شفتاه: «وأنا أيضًا أحبك».

ابتسم لها بحزن ولوح لها بيده لكي تذهب في طريقها. ظلت واقفة، أبت أن تغادر من دون أن تعرف ما الذي يحدث، ومتى سوف تراه مجددًا. كانت صفارات الإنذار لا تزال تدوي من حولها، وترن بداخل أذنيها.

تحركت شفتا لوك مجددًا وقد اكتسى وجهه بالجدية: «اذهبي!».

أومأت جلاس واستدارت، مجبرة نفسها على أن تبقي عينيها أمامها مباشرة. ولكنها قبل أن تنعطف إلى الردهة التي ستقودها بعيدًا عن الجسر السماوي، ألقت نظرة من فوق كتفها مرة أخيرة. لم يتحرك لوك، كان لا يزال واقفًا هُناك ملصقًا يده بالحاجز.

***

ركضت جلاس إلى المنزل تتخبط بين حشود المواطنين الهلعين والحراس الوجوه المتحجرة.

قالت سونيا عندما دلفت جلاس مسرعة إلى الشقة: «آه، حمدًا لله. كدتُ أموت من القلق».

دفعت بدورق إلى يدي جلاس قائلة: «اذهبي واملئي هذا من الحمام، لستُ أدري إلى متى سيكون لدينا ماء».

سألت جلاس: «ما الذي يجري؟ لقد أغلقوا الجسر السماوي».

سألتها أمها: «ماذا كنت تفعلين بالقرب من الجسر؟».

ثم رمشت بعينيها وأخذت تتفحّص الملابس التي كانت جلاس قد بدّلتها بُعَيد حفل مشاهدة المذنب. اكتست ملامحها بتعبير من أدرك شيئًا أحزنه بشدة، واستنكرت قائلة: «آه، هذا حيث كنتِ إذن».

سألت جلاس مجددًا متجاهلة نظرة أمها المستنكرة: «ما الذي يحدث؟».

- لستُ واثقة مما يحدث، ولكن يخالجني شعور بأن...

توقفت بغتة، ثم ضمّت شفتيها معًا، وأردفت: «أظن أن هذا هو، هذا هو اليوم الذي كنا نعرف جميعًا أنه آتٍ».

- ما الذي تتحدثين عنه؟

تناولت أمها الدورق من جلاس مجددًا، واتجهت إلى الحوض.



- إن السفينة لم تُبنَ لتظل طوال هذا الزمن. كان الأمر مسألة وقت لا أكثر قبل أن تبدأ الأمور في التدهور.

امتلأ الدورق عن آخره وأخذ الآن يفيض في الحوض. ولكن سونيا ظلت واقفة حيث كانت.

- أمي؟

أقفلت أمها الصنبور أخيرًا، والتفتت كي تواجه جلاس، وقالت بهدوء: «إنه صمام الهواء؛ به تسريب منذ فترة».

دوت صيحة عالية في الرواق الخارجي، فرمت أمها نظرة سريعة نحو الباب قبل أن ترسم على وجهها ابتسامة متكلفة، وتابعت: «ولكن لا تحملي همًّا؛ لدينا احتياطي من الأكسجين على متن فينيكس، سوف نكون بخير إلى أن نتمكن من معرفة ما ينبغي فعله. أعدكِ يا جلاس، سوف نتخطَّى ذلك».

شعرت جلاس بالإدراك يفرض حضوره في عقلها. سألت أمها، أتى صوتها هادئًا جدًّا يقترب من الهمس: «وما علاقة هذا بالجسر؟».

- إن الأكسجين يكاد ينفد بالفعل على متن أركاديا ووالدن، فاضطررنا إلى أن نأخذ بعض الاحتياطات الأمنية حتى نتأكد من أن...

همست جلاس: «لا. هل سيدعهم المجلس يموتون جميعًا؟»

اقتربت سونيا واعتصرت ذراع جلاس برفق، وراحت تقول: «كان عليهم أن يفعلوا شيئًا، وإلا فلن ينجو أحد. إنها الطريقة الوحيدة لكي نحمي المستوطنة».

ولكن جلاس بالكاد استوعبت كلماتها. قالت بينما ترتعد أوصالها: «عليَّ أن أجده».

ترنَّحت خطوة إلى الخلف. اضطرب رأسها بموجات مُتلاطمة من الكلمات أخذت تقفز بعضها فوق بعض، مولدة بداخلها الرعب بدلًا من والصور التي التعقل.

قالت أمها بشيء بدا مثل الشفقة على حالها: «جلاس، أنا آسفة، ولكن لا يمكنكِ. هذا مُستحيل، إن كل المخارج مُحكمة الإغلاق».

تقدَّمت سونيا وجذبت ابنتها في عناق، حاولت جلاس أن تتمعج لتفلت نفسها، ولكن شدت أمها إحكام مسكتها، وقالت: «ليس في أيدينا شيء لنفعله».

انتحبت جلاس بينما يرتجف جسدها.

. أنا أحبُّه.

مدَّت سونيا يدها وأمسكت بها يد جلاس، وقالت: «أنا أعلم. وإنني متأكدة من أنه يحبك أيضًا، ولكن ربما يكون هذا أفضل ما يمكن فعله رغم كل شيء».

ابتسمت ابتسامة حزينة أصابت جلاس بالقشعريرة في جسدها بكليته. «على الأقل، بهذه الطريقة لن تضطري إلى أن تعيشي وداعًا في غاية الفظاعة».

الفصل الثاني والثلاثون

ويلز

أخذ ويلز يتابع كلارك فيما تذرع طريقها إلى الغابة. كان يحس كأنها غرزت قبضتها عبر عظام صدره ومزَّقت شطفة من قلبه بيدها. بالكاد كان ما حوله من النيران التي تتأجَّج وتزأر في ابتهاج بينما تلتهم مؤنهم بالكلية؛ الخيام... وكل من كان ذا حظ تعس بما يكفي لكي يترك بداخل المخيم. تساقط بعض الأشخاص من حوله على الأرض، إما يلهثون لكي يلتقطوا أنفاسهم، وإما يرتعدون تحت وطأة الخوف. ولكن أكثرهم وقفوا كتفا إلى كتف في مواجهة الجحيم المستعرة، أجسادهم ساكنة وثابتة.

سأل ويلز بصوت مبحوح: «هل الجميع بخير؟ من هم المفقودون؟».

أخذ الخدر الذي سببته كلمات كلارك يحترق بدخله، ويستحيل شيئًا فشيئًا إلى طاقة ثائرة. خطا متجهًا إلى خارج حدود غطاء الأشجار. ظلل عينيه بيديه فيما راح يمعن النظر من خلال جدار اللهيب. عندما لم يجبه أحد، التقط نفسًا وراح يصيح: قائلًا: «هل تمكن الجميع من الخروج؟»

لم يكن هنالك سوى بضع إيماءات غير واضحة.

سألت فتاة والدنية صغيرة كان صوتها يرتجف بينما تتخذ خطوة أخرى داخل الغابة: «هل نحتاج إلى أن نبتعد أكثر؟».

أجابها فتى من أركاديا بصوت أجش: «لا يبدو أنها ستنتشر إلى الأشجار.

كان واقفًا بالقرب من بضع دوارق مياه محطمة وعبوات مسودة قد حملها معه من المخيم. كان الفتى محقًّا؛ إذ إن التراب الذي يُحيط بساحة المخيم متسع الحدود بما يكفي للنيران التي التهمت الخيام بكليتها لكي يمنع ألسنتها من أن تصل إلى أقرب الفروع.

استدار ويلز وراح يفتش عبر الظلام عن أي أثر لكلارك، ولكنها قد اختفت بين الظلال. أمكنه أن يشعر بحزنها يتردد عبر غياهب الظلماء. أخذت كل خلية في جسده تصرخ به لكي يلحق بها، ولكنه كان يعرف أن الأمر ميؤوس منه.

كانت كلارك محقة، لقد دمر كل شيء لمسته يداه.

قال المستشار في أثناء ما يتفحّص ويلز على طاولة العشاء: «تبدو متعبًا». رفع ويلز عينيه عن الطبق الذي كان يحدق إليه، ثم أومأ باختصار وقال: «أنا بخير».

الحقيقة أنه لم ينم طيلة أيام. لقد حفرت نظرة الحنق التي رمته بها كلارك في عقله إلى الأبد، وفي كل مرة يغمض عينيه، كان يرى الرعب الذي استحوذ على وجهها بينما كان الحراس يسحبونها بعيدًا، وصرخاتها المعذبة تملأ الصمت الذي بين كل نبضة وتاليتها لقلبه.

بعد المحاكمة، توسل ويلز إلى أبيه لكي يرفع التهم عنها. أقسم له إن كلارك ليست لها أي علاقة بتلك الأبحاث، وإن الذنب الذي كانت تحمله فوق عاتقها كاد يقتلها، ولكن ما كان من المستشار إلا أن ادعي أن الأمر لم يكن بيده.

تقلب ويلز في كرسيه في اضطراب. بالكاد أمكنه أن يحتمل وجوده على متن السفينة نفسها مع والده، ناهيك بأن يجلس مقابله على العشاء، ولكن كان عليه أن يُحافظ على بعض التأدّب في مظهره الخارجي. لو أنه سمح لغضبه

بأن يتحرر من داخله، فسوف يتهمه والده ببساطة بأنه يفتقر إلى التعقل، وبأنه لا يمتلك النضج الكافي حتى يفهم القانون، قال المستشار قبل أن يرتشف بعض الماء: «أنا أعلم أنك غاضب مني، ولكن لا يمكنني أن ألغي التصويت. لهذا السبب وُجِدَ المجلس؛ لكي نمنع شخصًا واحدًا من أن يكون ذا قوة مطلقة».

نظر سريعًا إلى الشريحة التي تومض في ساعته، ثم نظر مجددًا إلى ويلز.

- إن عقيدة الجايا قاسية بما يكفي كما عليه، يجب علينا أن نتعقل فيما تبقى لنا من فتات الحرية.

- إذن أنت تقول إنه حتى لو كانت كلارك بريئة، فليس هناك ما يمنع من أن تموت في سبيل أن تبقى الديمقراطية على قيد الحياة؟

حدج المستشار ويلز بنظرة كانت -منذ بضعة أيام مضت- كافية لكي تجعل حجمه يتقلص على كرسيه، وقال: «أعتقد أن بريئة هنا كلمة نسبية بعض الشيء. ليس هناك شك في أنها كانت تعرف بأمر التجارب».

- رودس هو من أجبرهما على إجراء تلك التجارب، إنه هو من يجب أن يُعاقب.

قال المستشار بصوت بارد لدرجة أنه كاد يخمد غضب ويلز: «هذا يكفي، إنني أرفض أن أستمع لمثل هذه الهرطقة في منزلي».

أوشك ويلز أن يرد بما في صدره من غضب، ولكنه قوطع بفعل صوت جرس الباب. أسكته والده بنظرة قاطعة بينما يفتح الباب، ورحب بنائب المستشار ودعاه للدخول بنفسه.

بصعوبة بالغة، تمكن ويلز أن يحتوي كراهيته بينما يحييه رودس بإيماءة صغيرة. تحلى نائب المستشار بنظرته المعتدة بنفسه المعتادة بينما يتبع

المستشار إلى مكتبه. بعد أن أغلقا الباب بصرامة من خلفهما، نهض ويلز عن الطاولة. أدرك أنه وجب عليه أن يذهب إلى غرفته ويغلق الباب، كما جرت العادة عندما يعقد والده اجتماعًا في المنزل.

قبل بضعة أيام ربما فعل ذلك. قبل بضعة أيام، لم يكن ليتنصت على محادثة خاصة. ولكنه الآن لم يكن يكترث. تسلل على أطراف أصابعه إلى الباب ثم ألصق نفسه بالجدار.

استهل رودس: «إن سفن الإنزال جاهزة، ليس هنالك داعٍ للانتظار».

- هناك عدة أسباب للانتظار.

كانت هناك نبرة انزعاج في صوت والده. بدا الأمر وكأنهما سبق وأن خاضا هذا الحديث مرات عديدة بالفعل.

- ما زلنا غير واثقين من أن مستويات الإشعاع أصبحت آمنة.

تنفس ويلز بعمق، ثم تجمد ليمنع أنفاسه من أن تقاطع الصمت الذي من المفترض أن يعم خارج غرفة المكتب.

- لهذا السبب سوف تفرغ مركز الاحتجاز، ما ضير أن نستغل المعتقلين من أجل شيء ذي فائدة؟

- حتَّى الأطفال المُعتقلون يستحقون فرصة في الحياة يا رودس. لهذا السبب تُعاد محاكمتهم في يوم ميلادهم الثامن عشر.

قال نائب المستشار بلهجة ساخرة: «أنت تعلم جيدًا أن أحدًا منهم لن يعفى عنه. لا يمكننا أن نتحمل إهدار الموارد هذا، إن الوقت ينفد منا على أي حال».

تساءل ويلز: ما الذي يعنيه بأن الوقت ينفد منا؟



ولكن قبل أن تسنح له الفرصة بأن يمعن التفكير فيما سمعه، تدخل والده قائلًا: «إن تلك التقارير مبالغة إلى حد مفرط؛ إن ما لدينا من الأكسجين سوف يكفينا بضع سنوات أخرى على الأقل».

- ومن ثم ماذا؟ سوف تأمر المستوطنة بكليتها أن تصعد على متن سفن الإنزال وتعتمد على الحظ فقط؟

- سوف نُرسل الأحداث الموقوفين إلى مركز الاحتجاز بناء على توصيتك، ولكن ليس الآن، ليس قبل ألا يصبح أمامنا أي حل آخر نلجأ إليه، وليس قبل أن يتفاقم حجم التسريب في القطاع (ج14). لا يزال لدينا قليل من الوقت، سوف ترسل أول بعثة من السجناء في خلال عام من الآن.

- لو أن ذلك ما تظن أنه الأفضل.

سمع ويلز نائب المستشار ينهض عن كرسيه، وفي لمح البصر، كان قد ركض في صمت إلى غرفته وارتمى على السرير. أخذ يحدق إلى السقف يُحاول أن يسْتوعب ما قد سمعه. كانت المستوطنة تلفظ أنفاسها الأخيرة، لم يكن أمامهم سوى سنوات قليلة في الفضاء.

انبثق كل شيء في عقله، وأدرك السبب وراء أن يصدر الحكم على أي أحد بإدانته: لم يكن هناك ما يكفي من الموارد على السفينة لدعم كل سكانها. كانت فكرة فظيعة لتراوده، ولكن إدراكًا آخر أكثر وأشد فظاعة كان طريقه إلى فص دماغه الجبهي. سوف تبلغ كلارك الثامنة عشرة في غضون ثمانية أشهر، وكان ويلز يدرك أنه لن ينجح في إقناع والده بأن يعفو عنها. إرسالها إلى الأرض سيكون بمنزلة فرصة ثانية لها، ولكنهم لا ينوون بدأ تنفيذ المهمة قبل سنة. لو أنه لم يفعل شيئًا ما، فسوف تموت كلارك.

كانت فرصته الوحيدة هي أن يسرع من تنفيذ المهمة، وأن يفعل شيئا من شأنه أن يعجل من إرسال المجموعة الأولى إلى الأرض.

بدأت خطة مرعبة تتّضح معالمها في عقله، فشعر بضيق في صدره عندما أدرك ما سيجب عليه فعله لتنفيذها. ولكن ويلز أدرك أنه لم يكن أمامه طريقة أخرى، وأنه لكي ينقذ الفتاة التي يحبها، سيكون عليه أن يعرض الجنس البشري برمته للانقراض.

الفصل الثالث والثلاثون

بيلامي

انزلق بيلامي من فوق جذع الشجرة وسقط على الأرض. يشعر بأنه فارغ مثله مثل هيكل سفينة الإنزال المحترق. لقد ظل يبحث عن أوكتافيا ساعات؛ يجوب أرجاء الغابة ويصرخ باسمها حتَّى انسلخ حلقه، ولكن لم يكن من الغابة إلا أن أجابته بالصمت المُثير للجنون.

- مرحبًا.

قاطع حبل أفكاره صوت منهك لأحدهم. التفت بيلامي فوجد ويلز يسير باتجاهه. كان وجهه ملطَّخًا بالهباب، ولديه جرح سيئ على ساعده.

- هل وجدت أي شيء؟

هز بيلامي رأسه نافيًا.

- أنا آسف جدًّا.

ضمَّ ويلز شفتيه إلى بعضهما بعضًا وأخذ يحدّق إلى موضع ما على الأرض خلف بيلامي مباشرة ثواني طويلة، وتابع قائلًا: «لو كان ذلك سيؤسيك قليلًا،

فأنا حقًّا لا أظن أنها كانت هناك؛ لقد فتّشنا ساحة المخيم تفتيشًا دقيقًا. لقد تمكَّن الجميع من مغادرة المكان في الوقت المناسب عدا...».

لم يستطع أن يكمل جملته.

قال بيلامي بهدوء: «أعرف ذلك. أنا آسف حقًّا يا رجل. أنا واثق من أنك فعلت ما بوسعك».

جفل ويلز وقال: «لم أعد أعرف ما الذي يعنيه ذلك حتَّى».

نظر إليه بيلامي في عدم فهم، ولكن قبل أن يسمح له الوقت لقول أي شيء، ابتسم له ويلز ابتسامة مقتضبة، وقال: «سوف تعود أوكتافيا قريبًا، لا تقلق».

ثمَّ التفت وعاد في تثاقل إلى ساحة المخيم، حيث كان هناك بعض الأشخاص يمحصون خلال الرماد بحثًا عن أي شيء نجى من بطش النيران.

مع انبلاج أول خيوط الفجر، تمكن بيلامي تقريبًا من أن يقنع نفسه أن ما عاشوه من رعب في السويعات الماضية لم يكن سوى كابوس. مرَّ وقت طويل منذ أن خمدت النيران، وعلى الرغم من أن مساحة واسعة من العشب قد احترقت عن آخرها، كانت الأرض من تحته رطبة. لم تصل النار إلى الأشجار، التي تمدَّدت أزهارها في تثاقل وابتهاج لتحيي ضوء الصباح الباكر، لا تعي أو لا تكترث- بالفاجعة التي حلت بالقرب منها. أدرك بيلامي أن تلك هي حقيقة الحزن؛ لا يمكنك أن تنتظر أحدهم ليشاطرك ما تكابده من معاناة، وأن على المرء أن يحمل ألمه وحده.

سمع بعض الفتية يتجادلون حول ما يظنُّون أنه سبب اشتعال النار: إمَّا أن الرياح قد حملت شرارة من نيران المخيم فأضرمت النار في الخيام، وإمَّا أن أحدهم قد ارتكب حماقةً ما.

ولكن بيلامي لم يعطِ أدنى قدر من الاهتمام لسبب حدوثها. كل ما كان يهمُّه هو أوكتافيا: هل ضلت طريقها في أثناء هروبها إلى مكان آمن؟ أم إنَّها غادرت المخيم قبل اندلاع الحريق؟ ولو كان ذلك ما حدث، لماذا إذن؟

نهض على قدميه مترنِّحًا. تمسك بجذع الشجرة لكي يتوازن. لم يستطع أن يتوقف لكي يستريح، ليس الآن، ليس عندما تكون كل ساعة تمر تعني أن أوكتافيا ربما تكون في خطر. والآن، بعد أن طلع النهار، سيتمكن من أن يتابع البحث إلى مسافة أبعد هذه المرة. لا يهم إذا استغرق الأمر وقتا طويلًا، فهو لن يتوقف إلى أن يجدها.

زفر بيلامي عندما مضى عميقًا إلى المناطق الظليلة. انتابه شعور بالارتياح لدى ابتعاده عن الضوء الساطع على نحو مهين، ولأنه أصبح بمفرده. ولكن لاحقًا، وقعت عيناه على كائن يشقّ طريقه باتِّجاهه. توقف ودقق النظر عبر الظلام الذي تضفيه ظلال الأشجار. كانت كلارك.

قال بصوت مبحوح إذ تقلَّصت معدته في اضطراب لدى رؤية وجهها المتعب الباهت: «مرحبًا، هل أنتِ بخير؟».

- هل ماتت تاليا؟

قالتها على نحو أقرب إلى السؤال، وكأنها تأمل منه أن يطمئنها بأن ذلك ليس صحيحًا.

أومأ بيلامي ببطء.

. أنا آسف.

أخذ جسدها يرتعد فجأة، فما كان منه إلا أن أخذها بين ذراعيه بحركة تلقائيّة. ظلا واقفين على هذا الوضع ثواني طويلة؛ يحتضن بيلامي جسد كلارك المُلتصق به بقوّة بينما يهتز، همس من خلال شعرها قائلًا: «أنا آسفٌ جدًّا».

الخلف بعد مرور بعض الوقت، اعتدلت كلارك في وقفتها وتراجعت خطوة إلى وهي تتنهَّد. رغم الدموع التي تجري على صفحة وجهها، فإن لمعة عينيها قد عادت. واحتقن خدَّاها الباهتان بلمحة من اللون.

سألته بينما تمسح خديها بظهر يدها: «أين أختك؟».

- إنها ليست هنا. إنني أبحث عنها منذ ساعات، ولكن الظلام كان كثيفًا جدًّا. إنني ذاهب لأبحث عنها مجددًا.

- انتظر.

وضعت كلارك يدها في جيبها قائلة: «لقد وجدت هذا في الغابة، فيما وراء النهر باتجاه ذاك التكوين الصخري الضخم».

وضعت شيئًا في يد بيلامي. استنشق نفسًا عاليًا بينما يضمّ أصابعه حول الشريط الحريري المألوف. كان شريط أوكتافيا الأحمر.

سألها وقد بهت لونه، غير واثق ما هي الإجابة التي يود سماعها: «هل كان مربوطًا في شجرة؟».

لانت قسمات وجه كلارك المُلوَّث بالأتربة، وقالت: «لا، رأيته على الأرض. لا بد أنه سقط من شعرها في وقت ما. كانت ترتديه الليلة الماضية، أليس كذلك؟».

قال بيلامي بينما أخذ عقله يبذل جهدًا مضنيًا لكي يتذكر بوضوح: «أظن ذلك... أجل، لقد كان معها قبل أن تنام».

قالت كلارك بجدية مفاجأة: «حسنًا...».

ثم أضافت لتُجيب نظرة بيلامي المتسائلة: «إذن هذا يعني أنها غادرت المخيم قبل اندلاع الحريق. انظر، لا يوجد رماد عليه، ليس هناك أي دليل على أنها كانت في أي مكان بالقرب من النيران».

قال بيلامي بصوت خفيض وهو يفرك الشريط بين أصابعه: «ربّما تكونين مُحِقة. إنني فقط لا أفهم لمَ قد تُغادر قبل اندلاع الحريق». نظر إلى كلارك. «ألم تكوني خارج خيمة المستوصف ليلة البارحة؟ هل لاحظتِ أي شيء؟»

هزت كلارك رأسها نافية، وقد تعذر قراءة تعبير وجهها على نحو مفاجئ، وقالت بصوت متوتِّر: «لقد ابتعدت بعض الوقت. آسفة».

وضع بيلامي الشريط في جيبه، وقال: «لا عليكِ. لم أكن لأعتذر على الإطلاق، لقد كنتِ محقة طوال الوقت. أنا آسف».

أومأت كلارك في تفهم.

- شكرًا لإخباري بشأن الشريط. إنني ذاهبٌ للبحث عنها مجددًا.

أوشك أن يلتفت، ولكن كلارك اقتربت بسرعة ووضعت يدها على معصمه، وقالت: «سوف آتي معك».

- هذا لُطفٌ منكِ، ولكن ليست لدي أي فكرة عن إلى متى سيطول بحثي.

هذا ليس مثل خروجنا للبحث عن الأدوية، قد يستغرق مدة طويلة.

قالت مجددًا بإصرار، وكانت هناك نيران في عينيها جعلته يتردد في أن يعارضها.

رفع بيلامي حاجبًا وقال: «هل أنتِ متأكدة؟ أشكُّ أن ويلز سيكون سعيدًا لدى سماع ذلك؟».

- إنه لن يسمع بذلك مني، لقد انتهت علاقتنا.

عج دماغ بيلامي بأسئلة لم تتمكَّن قط من أن تبلغ شفتيه.

- حسنًا إذن.

تقدم خطوة إلى الأمام وأشار إليها لتتبعه، ثم قال: «ولكن يجب أن أحذركِ... من الممكن أن أخلع قميصي في أي وقت».

استرق نظرة من خلف كتفه ولمح ابتسامة ترتسم على وجهها، كانت صغيرة جدًّا، لدرجة أنها ربما كانت خدعة بفعل أشعة الضوء التي تتخلل أوراق الشجر الكثيفة.

الفصل الرابع والثلاثون

جلاس

خيم صمت مخيف على المستوطنة، رغم حلول الصباح. لم ترَ جلاس أي شخص آخر بينما تسير عبر الأروقة المُظلمة التي لم يضئها سوى وميض خافت لأضواء الطوارئ الزرقاء المثبتة على طول الأرضية.

تسللت إلى الخارج بعد أن ذهبت أمها لتنام أخيرًا، وكانت الآن تحاول أن تمحو من عقلها صورة أمها عندما تستيقظ وتجد أن جلاس قد ذهبت، الألم والفزع اللذين ستتلوَّى بهما قسمات وجهها الناعمة، تمامًا كما اعتادا أن يفعلا بها مرات لا تُعد ولا تُحصى طوال العامين الماضيين. لن تسامح جلاس نفسها من أجل ما سببته لأمها من ألم أبدًا، ولكن لم يكن لديها خيار.

كان عليها أن تصل إلى والدن، ثم إلى لوك.

توقفت لدى وصولها إلى الطابق (ف)، وأصاخت سمعها من أجل أي خطوات أقدام، ولكنها لم تَسمع شيئًا غير أنفاسها المتهدّجة. إما أن الحراس كانوا يطوفون في دوريّة حراسة في جزء آخر من فينيكس، وإما أنهم قد نفوا جميعًا إلى والدن وأركاديا، حيث لن يسرقوا المزيد من الهواء المخصص للرئات الفينيكسية حصرًا.

مضت جلاس عبر الرواق غير المألوف تمعن النظر بحثا عن اللمعة الفضية التي ستشي بوجود فتحة تهوية. في قاع السفينة تقريبًا، كان معظم الطابق (ف) مخصَّصًا للتخزين. وقد أدَّت بها فتحة التهوية التي تسللت من خلالها بعد هروبها من متن سفينة الإنزال إلى الطابق (ف) الخاص بوالدن. كانت فقط تأمل أن الشيء ذاته ينطبق على فينيكس. هدأت من سرعتها وسارت ببطء، وأخذت تفتش الجدران بعينيها بحثا عن أي فتحة، تشعر بالخوف يتسرَّب إليها مع كل خطوة تخطوها. ماذا لو أنها كانت مخطئة بشأن المُخطّط؟ أو ربّما كانت فتحة التهوية تصل والدن بفينيكس ذات يوم ولكنها قد سُدَّت منذ فترة طويلة؟

ثمَّ وقعت عيناها على لمعة معدنيّة، فتبخر القلق الذي تراكم في صدرها وحل محله الحماس والارتياح. أسرعت تشب على أصابع قدميها لكي تصل إلى حافة الشبكة الحديديّة، ولكنها كانت عالية الارتفاع. زفرت في انزعاج واستدارت حولها متفحّصة الردهة، لم يحمل أي باب أي علامة، ولكن لم يبدُ أن الأبواب كانت محميّة بماسحات القرنية. جذبت أقرب مقبض أمامها ودفعت إلى الداخل، فصر مفتوحًا ليكشف عن خزانة مُظلمة.

استقرَّت عينا جلاس على برميل صغير، فدحرجته خارجًا إلى الردهة. وقفت فوقه ونزعت الشبكة المعدنيّة، ثمَّ دفعت نفسها عاليًا إلى داخل الفتحة المظلمة.

تذكرت جلاس لمحات عن آخر مرة زحفت خلال فتحة تهوية، وكيف أحسَّت أن الجدران المعدنيّة تطبق عليها من كل جانب. ارتعش جسدها على إثر ذلك، فمدَّت يدها إلى جيبها الخلفي. على الأقل لقد أحضرت كشافًا معها هذه المرة. وجهت شعاع الضوء إلى الأمام، ولكن شيئًا لم يكن على مرمى بصرها عدا فتحة التهوية التي امتدت إلى ما لا نهاية أمامها.

لا بد لها أن تنتهي في النهاية، أدركت جلاس ذلك. كانت فقط تأمل ألا ينفد منها الهواء قبل أن تصل إلى نهايتها. لو كانت ستموت، أرادت أن تموت بين ذراعَي لوك.

***

كان المشهد على متن والدن مُختلفًا عمَّا تخيَّلَته. بدا أن الأضواء كانت تعمل على النحو المُعتاد. وفي أثناء ما مضت مُسرعة إلى شقّة لوك، لم تجد جلاس أي حراس. ساورها شعور بأمل لحظي يموج في داخلها. ربما كانت والدتها مُخطئة، وكان الذعر الذي يعم فينيكس ليس إلا سوء فهم. ولكنها بمجرد أن صعدت السلالم، شعرت بضيق غريب في صدرها لم يلبث أن ازداد سوءًا عندما توقَّفت لكي تلتقط أنفاسها. إن اشتياقها الدؤوب لرؤية لوك ربما يفسر نبضاتها الجنونيّة، ولكنها لم تتمكَّن من تجاهل الحقيقة؛ كان الأكسجين يوشك على الانتهاء بالفعل على والدن.

حملت نفسها على أن تَسير بِبُطء عندما انعطفت إلى طابق لوك، وراحت تسحب أنفاسًا قصيرة ومتقطِّعة لكي تبقي نبضات قلبها ثابتة. امتلأ الرواق بأشخاص بالغين يتحدَّثون بأصوات خفيضة، يرمون نظرات مشوبة بالقلق إلى الأطفال الذين يتقافزون في كل أرجاء الردهة متقدين بالحماس لكونهم لا يزالون مستيقظين حتَّى هذه الساعة المتأخرة، لدرجة أنهم لم يلاحظوا انقطاع أنفاسهم. أرادت جلاس أن تنصح الآباء بأن يبقوا أطفالهم هادئين وساكنين من أجل الحفاظ على الأكسجين أطول فترة مُمكنة، ولكن ذلك كان سيولد المزيد من الذعر ليس إلا، ولم يكن هناك ما في وسعه فعله على أي حال.

راحت جلاس تطرق باب لوك بصعوبة بالغة، قبل أن يسحبها إلى الداخل، ثمَّ إلى حضنه. مدة ثوانٍ، كان كل ما تعيه هو دفء جسده وثقل ضمّته. ثم ابتعد عنها، فتمكنت من رؤية الصدمة والقلق يُصارعان الفرح في عينيه. سألها وهو

يمرر يده على خدها كأنما به حاجة إلى أن يتأكد من أنه لا يتخيل وجودها: «ماذا تفعلين هنا؟».

استرق نظرة إلى الباب المقفول وخفض صوته قبل أن يُضيف قائلًا: «هذا ليس آمنا».

وضعت جلاس يدها في يده، وقالت بهدوء: «أعرف».

هز لوك رأسه، وقال: «لا أعرف كيف جئتِ إلى هُنا حتَّى، ولكن يجب عليكِ أن تعودي؛ لديكِ فرصة أفضل للنجاة على متن فينيكس».

- لن أعود من دونك.

تنهَّد وقادها إلى الأريكة، وضمَّها إلى حضنه، وقال بينما يلف خصلة من شعرها حول إصبعه: «استمعي إليّ. لو أمسك الحراس بنا ونحن نصعد خلسة إلى فينيكس، فسوف يضربونني بالنار، وعلى الأرجح فإنهم سيضربونكِ بالنار أنتِ أيضًا». أغمض عينيه جافلًا وتابع: «هذا ما كانوا يدربوننا عليه يا جلاس. لم يقولوا هذا علانية قط، ولكن... كنا نشعر جميعًا أن شيئًا جللًا على وشك أن يقع، وقد تدربنا على ما سنفعله حينها».

عندما فتح عينيه مجددًا، كانتا ملآنتين بغضب بارد لم يسبق أن رأته فيهما من قبل. مؤكد أنَّه لاحظ القلق على وجهها، إذ لانت قسماته وقال: «ولكن ليس عليكِ أن تقلقي بشأن أي من هذا، سوف تكونين بخير، وهذا كل ما يهمني».

قالت جلاس وقد ذهلت من حدة نبرتها: «كلا، لن أكون بخير».

عبس لوك وفتح فمه ليتحدث، ولكن جلاس قاطعته: «سوف يقتلني معرفة أنك هنا بمفردك. سوف يقتلني ذلك». كررت جملتها، وقد بدأت فجأة تلهث



بهياج شديد بحثًا عن بعض الهواء، وأضافت: «ولو كنتُ سأموت، فإنني أريد أن أكون هنا معك».

مرر لوك يده على مؤخرة رأسها، وهمس بابتسامة حزينة: «ششش، حسنًا، حسنًا. إن أسوأ شيء نفعله هو أن ينفد منا الأكسجين بينما نتجادل».

قالت جلاس بعد ثانية طويلة من الصمت: «هل أنت خائف؟».

التفت لوك ونظر إليها، ثمَّ هز رأسه نافيًا. وضع إصبعه أسفل ذقنها ورفعه إلى الأعلى حتى أصبحت تنظر إلى داخل عينيه مباشرة، وقال: «لا، لا أخاف أبدًا وأنا معكِ».

مال نحوها وقبَّلها ببطء. سرت في جسدها رعشة إذ بثت أنفاسه على جلدها قشعريرة حُلوة.

ابتعدت جلاس وقالت بابتسامة تعلو وجهها: «أليس هذا إهدارًا للأكسجين؟».

همس لوك وهو يسحبها إلى حضنه مجددًا: «العكس هو الصحيح، إننا نحافظ عليه».

عثرت شفتاه على شفتيها مجددًا، وراحتا تباعدان شفتيها إذ أخذ ينهل منهما بنهمٍ أكبر.

جرت يد جلاس على ذراع لوك، فابتسمت عندما أحسَّت برعشة جسده. ومن دون أن تبتعد عنه، راحت تفك أزرار قميصه وتقول لنفسها إن نبضات قلبه المُتسارعة على نحو غير عادي كانت استجابة للمساتها. تحركت شفتاها إلى ذقنه، ثمَّ انتقلتا شيئًا فشيئًا إلى رقبته. توقفت لما بلغت صدره، إذ وجدت أرقامًا موشومة على ضلوعه؛ تاريخين جعلا معدة جلاس تثور بعنف.

اعتدل لوك إلى وضعية جالسة وسألها: «ما الأمر؟».

وضعت إصبعها على الوشم، ثم أبعدتها بسرعة، إذ كانت تخشى أن تلمس الحبر.

- ما هذا؟

كشر لوك بينما ينظر إلى الأسفل.

- آه، ظننتُ أنني أخبرتكِ. أردت أن أفعل شيئًا تخليدًا لذكرى كارتر.

ازداد صوته شرودًا بينما يضيف: «إنه يوم ميلاده، واليوم الذي أُعدِم فيه».

نجحت جلاس في أن تكبح رجفة ألمَّت بها لما نظرت إلى مجموعة الأرقام الثانية مرة أخرى. لم تكن جلاس في حاجة إلى وشم ليذكرها باليوم الذي مات فيه كارتر، لقد طُبِع التاريخ في عقلها بوضوح مثلما كان واضحًا على جلد لوك.

- أخذت جلاس تئنّ وهي تضم ركبتيها إلى صدرها. كانت ملاءة سريرها الصغير مبعثرة ومشبعة بالعرق، كانت ظمأي بشدة، ولكن لا تزال أمامها ساعات قبل أن يحضروا صينيّة عشائها وحصتها المسائية من الماء. فكرت بتلهف في كل السنين التي قضتها في سعادة وهي لا تعي أن الماء كان مقسما إلى حصص في كل مكان على متن المستوطنة.

انبعث صفيرٌ خفيض، تبعته خطوات أقدام. جفلت جلاس عندما رفعت رأسها النابض عن الوسادة ورأت شخصًا عند الباب. لم يكن حارسًا، بل كان المستشار.

حملت جلاس نفسها إلى وضعية الجلوس، ولملمت خصلة مبلَّلة بعيدًا عن وجهها، واستجمعت قوَّاها لترمق بعينين مثبَّتتَين على الرجل الذي أعطى الأمر بالقبض عليها بنظرة غاضبة، ولكنَّها لم ترَ رئيس المجلس تحت وطأة الألم والإعياء، كل ما رأته هو وجه والد صديقها المقرب الذي اصطبغ بنظرة قلقة.

- مرحبًا يا جلاس.

أشار إلى الجانب الآخر من السرير وقال: «أتسمحين لي؟».

أومأت جلاس بوهن.

أطلق المستشار زفرة وهو يجلس. بدا عليه الإنهاك أكثر من أي مرة سبق لها أن رأته.

- إنني آسف لما حصل. لم أرد أن تتأذي.

دونما تفكير، وضعت جلاس يدها على بطنها.

- لست أنا من تأذيت.

أغمض المستشار عينيه ثانية بينما يدلك جبينه، لم يكن يبدي إعياءه على الملأ قط، ولكن جلاس تمكَّنت من فهم تعبير وجهه الذي رأته في المرات القليلة التي رأته يعمل في مكتبه في المنزل.

قال وقد أصبح صوته جادا: «آمل أن تتفهَّمي أنني لم يكن لدي خيار، لقد حلفتُ قسمًا على أن ألتزم قوانين هذه المستوطنة. لا أملك رفاهيّة التظاهر بالعمى فقط لأن المجرم تحت المساءلة هو صديقة ابني المقربة».

قالت جلاس بصوت أجوف: «إنني أتفهم أن ذلك ما تحتاج إلى أن تصدقه».

قست ملامحه وقال: «هل أنتِ مستعدّة لكي تخبريني باسم الأب؟»

- ولِمَ عليَّ أن أفعل ذلك؟ ألتسجنه هنا معي؟

- لأن هذا هو القانون.

نهض المستشار واقفًا، وقطع بضع خطوات نحوها وأردف: «لأنه ليس من العدل ألا يتحمَّل الأب العقاب مثله مثلكِ. ولأن الأمر لن يكلف المحققين وقتًا لتفتيش سجلات أجهزة بصمة القرنيّة واكتشاف الأماكن التي كنتِ تقضين وقتكِ بها، سوف نجده في كلتا الحالين. ولكن لو ساعدتنا، فسوف تحظين بفرصة أفضل لكي يتم العفو عنكِ في جلسة محاكمتكِ».

التقت أعينهما، فأشاحت جلاس بوجهها عنه، وجفلت عندما تخيَّلت لوك وهم يجرونه في مُنتصف الليل. تخيلت الفزع على وجهه بينما يتوسَّل إلى الحراس لكي يخبروه بما يحدث. هل كانوا سيخبرونه بالحقيقة ويسمحون له بالوقت الكافي لكي يشعر بالألم قبل أن يحقنوا الإبرة بداخل صدره؟ أم إنه سيموت وهو يظن أنه ضحية خطأ بشع؟

لم تتمكن من أن تسمح لذلك أن يحدث.

ولكن المستشار كان محقًّا، لن يهدأ للمجلس بال قبل أن يكتشفوا شريكها في الجريمة، وسينتهي الأمر بأن يتتبع أحد الحراس تحركات جلاس إلى والدن، وإلى طابق لوك، وربما إلى شقته.

وببطء، التفتت مجددًا إلى المستشار وقد أدركت ما يجب أن تفعله. عندما تكلمت أخيرًا، كان صوتها باردًا مثل حكم بالإعدام: «الأب هو كارتر جايس».

دوى صوت قعقعة عالية في الردهة. نهضت جالسة وأصاخت سمعها في قلب الظلام. أحسَّت بِحبل من الفزع يلتف حول صدرها. كان الصوت وكأنَّ السفينة تئنُّ ألمًا.

همس لوك بينما يهبُّ واقفًا: «يا إلهي، هيا بنا».

أتي الصوت مجددًا متبوعًا بهدير هز الجدران.

كان الرواق لا يزال يعج بالناس، عدا أن الأطفال قد التزموا الصمت الآن، وأخذت الأضواء ترتعش. ضمَّ لوك يد جلاس بقوّة، بينما راح يشقّ طريقه بين الحشود متَّجهًا إلى جارته. تجهَّم وجهها بينما تهمس بشيء ما إلى لوك لم تتمكَّن جلاس من سماعه، ولكن جلاس تمكنت من أن تعرف من تعبير وجهها أنه لم يكن شيئًا جيدًا. ثم ظهر شخص آخر بالقرب منهما، فزفرت جلاس بحدّة.

كانت كاميل، التي ضيَّقت عينيها ما إن وقعتا على جلاس.

أشاحت جلاس بوجهها، لم تكن في حال تسمح بأن تنظر إلى كاميل الآن. تستطع أن تكبح شعورها بالذنب بشأن ما آلت إليه الأمور. لم تكن لتلوم الفتاة على كرهها لها.

تكوَّمَ بعض الأطفال على الأرض بجانب والديهم، الذين كانوا يتحدَّثون بنبرات هادئة وقلقة. استحالت شفتا إحدى الفتيات إلى اللون الأزرق، والفتى الذي كانت تمسك بيده كان يتنفس بصعوبة بالغة.

فرقعت الأضواء مرةً أخرى قبل أن تنطفئ تمامًا. تصاعدت بعض الشهقات في قلب الظلام المُباغت والكثيف، وعلى عكس فينيكس، لم تكن والدن تحتوي على أضواء للطوارئ.

أحاط لوك خصر جلاس بذراعه وضمها بالقرب منه، وهمس في أذنها قائلًا: «سوف نكون بخير».

ثم أتى صوتٌ آخر عبر الظلال، إذ تسللت كاميل وأصبحت الآن تقف على الجانب الآخر لجلاس.

قالت لها بسرعة بحيث لم يتمَكَّن لوك من سماعها: «هل تنوين أن تخبريه؟ أم إن عليَّ أن أفعل؟»

التفتت إليها جلاس حائرة، ولكنها لم تتمكن من رؤية تعبير وجه كاميل.

- عمَّ تتحدثين؟

- إنه يستحق أن يعرف الحقيقة؛ أن صديقه مات بسببك.

ارتعدت جلاس. وعلى الرغم من أنها لم تتمكن من رؤية ابتسامة كاميل، فقد استطاعت أن تشعر بها في صوتها.

- أنا أعرف سركِ. أعرف ما فعلتِه بكارتر.

الفصل الخامس والثلاثون

كلارك

استمرا في المشي ساعات، يدوران في دوائر مُتَمركزة تزداد اتساعًا عبر الغابة، يُحاولان أن يغطيا كل بوصة من المنطقة بكليتها. كانت عضلات ساقي كلارك تحرقها ألمًا، ولكنّها كانت تستمتع بهذا الإحساس؛ فكان الألم الجسدي بمنزلة تشتيت مرحب به لما يجول في رأسها من أفكار: النيران التي تبتلع خيمة المستوصف من كلا الجانبين، وذراعي ويلز حولها تكبلانها كالأصفاد، وصوت الارتطام المثير للغثيان عندما انهارت الخيمة.

- مهلًا، فلتُلقِ نظرة هنا.

التفتت كلارك لتنظر إلى بيلامي، وجثت بركبتها على الأرض بالقرب من المكان حيث اكتشفت شريط أوكتافيا، وراحت تحدّق باهتمام بالغ إلى ما اتَّضح أنه كان آثار أقدام في التراب. لم تكن كلارك متقفية آثار مُحترفة، ولكن علامات النزاع كان من السهل قراءتها. كائنًا من كان الذي خلف تلك الآثار، فهو لم يكن يحظى بجولة مسلية عبر الغابة.

قالت كلارك بهدوء: «إنها تبدو وكأن أحدهم كان يجري، أو يُنازع...»

امتنعت عن إكمال جملتها: كما لو أن أحدهم كان يُجَرّ إلى مكانٍ ما. لقد افترضا أن أوكتافيا هربت... ولكن ماذا لو كانت قد اختُطِفَت؟

كان بإمكانها أن تقرأ السؤال نفسه الفظيع على حاجب بيلامي الذي تغضن، فجثت على الأرض بجانبه وقالت: «لا بد أنها لم تبتعد، سوف نجدها».

كانت كلارك تعني ما قالته. أومأ بيلامي ونهض واقفًا، واستعدَّا لاستئناف سيرهما. قال بيلامي: «شكرًا لكِ. إنَّني... إنني سعيد لأنكِ هُنا معي».

تابعا المسير لما بدا كساعات، إذ أخذت الشمس ترتفع إلى أن غاصت في قلب السماء. مع اتساع دوائرهما أكثر فأكثر، استطاعت كلارك أن تُخمن أنَّهما يقتربان من حدود الغابة. لمحت من خلال الأشجار قطعة أرض جرداء، فتوقفت. كان هناك المزيد من الأشجار، ولكنها بدت مختلفة عن تلك التي في الغابة؛ كانت تمتلك جذوعا عملاقة ومعقدة، وأطرافًا كثيفة مُغطَّاة بعرش هائل من الأوراق الخضراء. تدلت الأغصان محملة بفاكهة مستديرة وحمراء؛ تفاح.

اقتربت كلارك من شجر التفاح، وبيلامي في أثرها.

قالت ببطء: «هذا غريب. إن الأشجار مُتراصّة بجانب بعضها بتوزيع متساوٍ بدقة، إنها تبدو كبستان إلى حدٍّ كبير». اتجهت نحو أقرب واحدة. «ولكن كيف نجحت في أن تنجو طوال هذه السنوات حقًّا؟».

على الرغم من أن الأشجار كانت تلوح عاليًا من فوقها، فقد كان أقصر غصن يكاد يقترب من الأرض، كان من السهل لكلارك أن تشب على أصابع قدميها وتمد يدها لتقطف تفاحة. استدارت بجسدها نحو بيلامي وألقتها إليه قبل أن تأتي بأخرى.

أمسكت كلارك بالتفاحة ورفعتها أمام وجهها. كانوا يزرعون الفاكهة في الحقول الشمسيّة على متن السفينة، ولكن تلك لم تكن لتقارن بهذه. لم تكن قشرة هذه التفاحة حمراء فحسب، بل كانت تمتلك مزيجًا من خيوط ورديّة وبيضاء



تتخلَّل ثناياها، وأضفت عليها رائحة لا تُشبه أي شيء قد أدركته بأنفها من قبل. أخذت قضمة وشهقت إذ أخذ العصير ينهال على ذقنها. أنَّى لشيء أن يكون ذا مذاق حلو ولاذع في الوقت نفسه؟ سمحت كلارك لنفسها أن تنسى شأن كل ما حدث على الأرض، وأن تدع ذاك الإحساس يأخذها قلبًا وروحًا ثواني معدودة.

سألها بيلامي: «هل تفكرين فيما أفكر فيه؟».

نظرت إليه كلارك. وبينما كانت منشغلة في التهام تفاحتها، شرع هو في استخدام الأغصان المتساقطة ليقيس المسافة بين الأشجار.

اعترفت كلارك شاعرةً بابتسامةٍ تلوح على شفتيها: «لأصدقك القول، أنا لم أكن أفكر في أي شيء سوى كم أن مذاق هذه التفاحة لذيذ».

ولكن بيلامي لم يضحك ولم يمازحها، فقط انهمك في التحديق إلى الأشجار التي تتباعد بعضها عن بعض على نحوٍ مثالي.

تكلم ببطء، وبصوتٍ مشبَّع بالعجب والخوف: «هذه لم تنجُ من الكارثة، ولم تنمُ هكذا من تلقاء نفسها».

قبل أن يُكمل حديثه، أدركت كلارك ما كان سيقوله، وشعرت بصدرها يضيق فزعًا.

- هناك من زرعها.

الفصل السادس والثلاثون

ويلز

- هل هذه أفضل؟

التفت ويلز ليرى آشر -الفتى الأركادي- يُشير إلى جذع الشجرة الذي انهمك في تقطيعه. كان العشب مغطّى بنشارة الخشب، والقطع التي تناثرت إثر عدة بدايات غير موفقة، ولكن هذه المرة بدت واعدة بالفعل.

- بالطبع.

أومأ ويلز وربض بالأسفل بالقرب من الجذع، ومرَّر أصابعه فوق الأخاديد التي حفرها آشر في الخشب، وأضاف قائلًا: «احرص فقط على أن تكون جميعها بالعمق نفسه تقريبًا، وإلا فلن تعشق القطع في بعضها».

عندما نهض ويلز واقفًا، مرّ جراهام بالجوار حاملًا قطعة من غطاء بلاستيكي منصهر ليُضيفها إلى تل المؤن الناجية الآخذ في الارتفاع في وسط ساحة المخيم. انتصب ويلز في وقفته متأهبًا لأي ضحكة ساخرة أو تعليق وضيع، ولكن جراهام أبقى عينيه إلى الأمام ومضى في طريقه دون أن ينبس بكلمة.

لقد دمرت النيران خيامهم، ولكنَّهم تَمَكَّنوا من إنقاذ مُعظم أدواتهم، والأدوية كذلك. لقد كانت فكرة ويلز أن يحاولوا بناء أكواخ من الخشب. كان الأمر أصعب ألف مرة عمَّا بدا في الكتب، ولكنهم أخذوا يتقنون الأمر شيئًا فشيئًا.

- ويلز!

جرت فتاة من والدن باتجاهه، وقالت: «كيف سنعلق الأراجيح الشبكيّة؟ إن إليزا تقول إننا سنعلقها في أعمدة السقف، ولكن تلك لن تصبح جاهزة قبل عدة أيام، أليس كذلك؟ كنت أفكر أيضًا في أن...».

قاطعها ويلز قائلًا: «سوف أمر إلى هْناك في غضون دقائق، حسنًا؟».

لاحت نظرة جريحة على قسمات وجهها الدائري، فأضاف ويلز بابتسامة صغيرة: «أنا واثق من أنكِ وإليزا تقومان بعمل رائع، سألحق بكِ على الفور».

أومأت، ثمَّ ابتعدتْ مُسرعة، وراحت تدور حول كومة من أعمدة الخيام المنصهرة التي لم تزل تبدو ساخنة جدًّا لكي تلمسها.

ألقى ويلز نظرة من فوق كتفه، ومن ثم شرع في السير باتجاه خط الأشجار. كان في حاجة إلى الانفراد بنفسه لحظات لكي يفكر. سار ببطء بينما يشعر بالثقل الذي يجثم فوق صدره يتسرب إلى أطرافه، جاعلًا كل خطوة يخطوها شاقّة ومؤلمة. توقف عند حافة الغابة، وراح يسحب الهواء البارد عميقًا إلى رئتيه، وأغمض عينيه. هنا حيث قبل كلارك أول مرة على كوكب الأرض، وبدا مؤكدًا الآن أنها كانت المرة الأخيرة في حياته.

كان يظن أنه قد جرب من ألوان الألم أفظعها بالفعل، كمعرفته بأنَّ كلارك باتتْ تكرهه، وأنها لم تعد تحتمل رؤيته. ولكنه كان مُخطئًا؛ فقد كادت رؤيته إيَّاها وهي تُغادر مع بيلامي تقتله. إنها لم تنظر إليه حتى عندما جاءت لتجمع ما تبقى

من أمتعتها، فقط أومأت دون كلمة واحدة إلى بقية المجموعة قبل أن تتبع بيلامي إلى الغابة.

لو أنها فقط علمت بما قد فعله حقًّا ليكون معها على الأرض. لقد خاطر بكل شيء، وكل ذلك ذهب أدراج الرياح.

لم يتكلف أيٌّ من الحراس سوى نظرة خاطفة بينما يضع عينيه أمام ماسح القرنيّة، ومن ثمَّ انطلق عبر الباب. كان الدخول إلى القطاع (ج14) محظورًا بشدّة، ولكن مع زيّه العسكري ومشيته التي توحي بأنه عازم على أمر معين، بالإضافة إلى وجهه المعروف؛ كلها امتيازات من شأنها أن تضمن له إمكانيّة الوصول إلى أي جزء من المستوطنة. لم يسبق أن استغل مركزه قط، إلى الآن. فبعد أن سمع الحديث الذي دار بين والده وبين نائب المستشار، شيء بداخل ويلز قد تبدل.

كانت خطته يائسة وغبيّة وأنانية إلى حدّ لا يصدق، ولكنه لم يهتم. كان عليه أن يحرص على أن تُرسل كلارك إلى كوكب الأرض بدلًا من حجرة الإعدام.

ركض ويلز عبر بيت الدرج الفارغ والضيق، الذي لم يكن يضيئه سوى أضواء الطوارئ الخافتة. لم يكن هنالك داع لأي أحد إلى أن يزور غرفة ضغط الهواء سوى للفحوصات الدوريّة، وكان ويلز قد تمكن بالفعل من الوصول إلى ملفات الصيانة ومعرفة جداول التوقيت، فعلم أنه سيكون بمفرده تمامًا.

إن غرفة الضغط هي الجزء الأصيل الذي تقوم عليه السفينة منذ نشأتها. وعلى الرغم ممَّا بذله المُهندسون من جهود للحفاظ عليها في أحسن حالة، فقد بدأت في التدهور بعد ثلاثمئة سنة من مجابهة درجات الحرارة المتطرِّفة

والأشعة فوق البنفسجيّة في الفضاء. ثمة شقوق دقيقة على طول حافتها، ومربعات لامعة من مواد كانت قد لُحِمَت حديثًا في غرفة الضغط.

مدّ ويلز يده خلف ظهره ليجذب الكماشة التي حشرها في حزام بنطاله. أخبر نفسه أن كل شيء سيكون بخير، بينما أخذت ذراعاه ترتَجِفان. سوف يتم إخلاؤهم جميعًا قريبًا على أي حال، هو فقط سيُسرع العملية. ولكن في أعماق عقله، كان يدرك حقيقة أنه لم يكن هناك سفن إنزال تكفي لتحمل الجميع. ولم تكن لديه أدنى فكرة عمَّا سيحدث عندما يحين وقت استخدامها.

ولكن تلك كانت مشكلة والده، ليست مشكلته.

اقترب وبدأ في نزع الصمام الضعيف لغرفة الضغط، وجفل لدى سماعه صوت الصفير الخافت. ثمَّ بعدما انتهى، التفت وهرع عائدًا إلى الدرج، يُصارع كي يتجاهل الرعب الذي راح يتدفَّق بداخل معدته. بالكاد استطاع أن يحمل نفسه على أن يقف ويفكر فيما قد فعله، ولكن بينما يذرع السلالم مسرعًا، أخبر نفسه بأنه قد فعل ما توجب أن يفعله.

***

نهض ويلز واقفًا على مضض. أوشك الليل أن يحل، ولا يزال أمامهم الكثير من العمل ليقوموا به في الأكواخ الجديدة. كانوا في حاجة إلى الانتهاء من بعضها على الأقل ليحتموا بها قبل العاصفة التالية. عندما اقترب من المُخيم، تساءل عمَّا إذا كانت كلارك قد أخذت معها أغطية كافية، وأنها ستنعم بالدفء عندما تنخفض درجات الحرارة. اقترب منه آشر وطرح عليه تساؤلًا آخر. أمسك قطعة خشب مقطوعة، وبدا أنه أراد أن يأخذ رأي ويلز في حجمها وطريقة قطعها.

كان ويلز منهمكًا للغاية في أفكاره الخاصة، لدرجة أنه لم يسمع ما كان آشر يقوله. وفي أثناء سيرهما جنبًا إلى جنب باتجاه الخيام، استطاع أن يرى أن فم الفتى كان يتحرك بشيء ما، ولكن الكلمات لم تصل إلى أذني ويلز.

- استمع إليَّ.

أوشك ويلز أن يخبر آشر أن الأمر يمكن أن يؤجل إلى الغد، ولكن في تلك اللحظة، مر شيء ما أمام وجهه، ثمَّ دوى صوت ضربةٍ عنيفة ومُثيرة للغثيان طار آشر إلى الوراء على أثرها، وانبعثت الدماء من فمه وقد هوى على الأرض.

سقط ويلز جاثيًا على ركبتيه، وصرخ بينما تكافح عيناه لكي تستوعبا المنظر الذي أمامه: «آشر!».

لقد اخترق سَهمٌ عُنق الفتى.

كانت أول فكرة جنونيّة واتته هي بيلامي؛ إذ كان هو الوحيد الذي بإمكانه أن يصوب بهذا الشكل.

انتفض ويلز ونظر وراءه وهو يصرخ، ولكن بيلامي لم يكن خلفه. اصطفَّ طابور مكوَّنٌ من عدّة ظلال لأشخاص عند نهاية التل. شهق تحت وطأة الصدمة والرعب اللذين تدفقا داخل عروقه. اتضح فجأة من الذي قد أضرم النار في المخيم، ومن الذي اختطف أوكتافيا. لم يكن أي شخص من المستوطنة.

ربما يكون المئة أول من وطئوا كوكب الأرض من البشر منذ ثلاثة قرون، ولكنهم لم يكونوا الوحيدين.

إذ إن هُناك أُناسًا لم يغادروه قط.



تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق:

▪ ميساء طه ▪

▪ إسراء▪

▪ شادية الرياشي ▪

ترتيب وتصميم:

▪ أشرف غالب ▪




عَصِيرُ
الْكُتُبْ



كاس مورجان

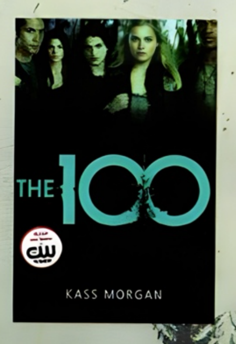
مؤلفة ومحـــررة أمريكيـــة، متخصصـــة في أدب الخيـــال للشباب، وصاحبــــة السلسلة الديســتوبية الأكثـــر مبيعًا في نيويـــورك تايمـــز "المئــــة"، المســتوحى منها أحداث مسلسل تليفزيوني شـهير بالاسـم نفسـه. كمـا صـدرت لهـا سلسـلة روائية ناجحة بعنــوان "سـنوات ضوئية"، ومؤخـرًا سلســلة أخـرى بعنــوان "الغربـان". حصلت كاس على درجة البكالوريـوس مـن جامعـة براون، ودرجـة الماجسـتير مـن جامعـة أوكسـفورد، فـي مجـال الأدب الفيكتــوري، وتعيــش حاليًّـا فــي بروكلين، نيويورك.



لم تطأ قدم إنسان كوكب الأرض طيلة قرون - إلى الآن.

بعد حرب نووية فتاكة، نزحت البشرية للعيش على متن سفن فضائية فرارًا من كوكب الأرض المشع. الآن، يتوجب على مئة من المراهقين الخارجين عن القانون أن يشدوا الرحال في مهمة محفوفة بالخطر: استوطان الأرض من جديد. إما أن تصبح فرصتهم الثانية للحياة . . . وإما أن تكون مهمة انتحارية.

يُلقى القبض على كلارك بتهمة الخيانة، ولكن تطاردها ذكرى الجرم الحقيقي الذي ارتكبته. يذهب ويلز إلى كوكب الأرض من أجل الفتاة التي يحبها.. ولكن هل تتمكن من مسامحته يومًا؟ ويقاتل بيلامي ليتمكن من الصعود على متن سفينة الإنزال في سبيل حماية شقيقته، بينما تنجح جلاس في الفرار، لتكتشف أن الحياة على متن السفينة لا تقل خطورة مما خشيت أن تجده على الأرض.



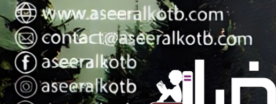
يخوض المئة غمار صراع البقاء على قيد الحياة في أرض بدائية موحشة. لم يكن مقدرًا لهم أن يصبحوا أبطالًا قط، ولكن ربما يكونون الأمل الأخير لبقاء الجنس البشري.

تصميم الغلاف: محمود هشام


9 789779 922294







t.me/twinkling4